

مُشَرِّحَاتُ

وَلَمْ يَشْكِبْ

الْكَامِلَةَ

لِلْكَلاهِ

تَرْجِم

أ. د. مشاطي ج. يونس

إشراف وتشليم
نظير محمد

توزيع
دار الجليل

مَسْرَحِيَّات
وَلِيَمْ شَكْسِير
الكَامِلَة

لِلْاَلَاهِي
١

تَعْرِيب
أ. ر. مَشَاطِي ج. يُونَس

إِشْرَاف وَتَقْدِيم
نَظِير عِبُود

دَار نَظِير عِبُود
ص. ب. : ٨١-٨٠-١١ تَلْفُون : ٩٢١٧٧٢

ولار نظير عبود

جميع حقوق
التعريب والتنسيق والصف
محفوظة للناشر

طبعة ثانية

١٩٩٧

ص. ب : ١١ / ٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

يحتوي هذا المجلد على:

صفحة

١٧ العاصفة
٨٩ سيدان من فيرونا
١٦٥ زوجات وندسور المرحات
٢٤٥ واحدة بواحدة
٣٣٧ مهزلة الاخطاء



تعريف

وليم شكسير

١٥٦٤ - ١٦١٩

بقلم نظير عبود

كُتِبَ عن وليم شكسير، أكثر مما كُتِبَ من روايات، لا بل أكثر مما مُثِّلَتْ رواياته.

ولكنه ما كُتِبَ فيه أصبح كالأسطورة بل كاد يصبح أسطورة. منهم من شك في وجود رجل حقيقي يحمل هذا الاسم! وبعضهم انزله عن المستوى اللائق فاتهمه بكونه سكيراً، فاسقاً، مغتصباً النساء، الخ...

أما حقيقة ما يجب أن يقال عنه، أو عن كتابات هذا الفرد فتختصر بثلاث:

١ - شاعر انقادت له ملكة الشعر غير مستجد القافية.

٢ - أديب مبدع.

٣ - انسان حكيم، متأمل، صوّر ما يحدث بلوحات كتابية فنية ولا أروع، كتب كابريل هارفي عن أحد العمال:

« إنه شاب لم يتعلّم في جامعة ولكنه يخجل اساتذتها الذين يتعلمون منه. هم يملكون الكتب والعمال يملكون المعرفة ».

هذا ما ينطبق على هذا الرجل مبدع الروائع المجليّ في كتابة السير التي كانت عبرة للبشر:

وتصفى روايات وليم شكسير في طليعة ما تفخر به الانسانية. فأيّة مشاهد أشدّ ألماً من غيرة عطيل، وجنون الملك لير، ومناجاة هملت الكتيب، وأيّ سحر أكثر هولاً من مكبث، وأيّة واقعية أوفر قساوة من تاجر البندقية وأيّة

شاعرية اعظم من حلم ليلة صيف، وأي ضحك ابهج من مرح زوجات
وندسور المرحات؟

ان هذا الرجل قد أحدث ثورة في عالم المسرح، ونفخ فيه حياة صاخبة
نتاج شكسبير ثروة بشرية لا تنضب.

ولست هنا لأعرض على القارئ شيئاً جديداً لم يطالعه عن حياة هذا
العبقري أو عن أعماله، انما صدور مجموعة كاملة لأعماله بالعربية يستلزم
مني مثل هذا التقديم .

وند عبقرى الأدب الانكليزي والذي يدعي الالمان أنهم أول من اكتشف
أهمية أعماله بعد كتابتها بلغتها الأم — في ستراسفورد احدى قرى واركشير
في انكلترا في ٢٣ نيسان ١٥٦٤ وقيل سر العماد في ٢٦ نيسان حسب
سجل العماد المحفوظ في كنيسة القرية.

أبوه من عامة الناس اسمه يوحنا، وأمه ماري اردن من عائلة تفوق عائلة
أبيه مقاماً. أول ابنتيهما وليم بعد أن رزق بابنتين توفاهما الله قبل ولادة
وليم وهما: حنة ١٥٥٨ — مرجريت ١٥٦٢.

ثم كان له ثلاثة أشقاء هم، جيلبرت، ريتشارد، وادموند. وشقيقتان حنة
وآن.

توفيت والدته ١٦٠٨ بعد وفاة والده بست سنوات. واخوته لم يعمروا،
ولم يخلفوه ولم يشتغل معه في التمثيل سوى جيلبرت.

تعليمه

لا يعرف شيء عن تعليمه قبل انخراطه في مدرسة القرية، ولكن قد يكون
تعلم في البيت من امه وزوار أبيه بعدما صار والده آنذاك من المرموقين.
وبعد أن عيّن محضراً للجلسات ١٥٦٩ لمحكمة ستراسفورد.

ولما حان وقت قبوله في المدرسة، أي في الثامنة دخلها وقضى فيها

خمس سنوات وكان البرنامج مقررأ في جميع البلاد ومراقبأ من أأد خريجي اوكسفورد؛ يتلقى التلميذ فيها أبسط مبادئ القراءة والحساب واللغة اللاتينية. ويرأون فيها حكايات ايزوب ومختارات من شيشرون وفرجيل وهوراس ويحفظون نبذأ من كتابة البلغاء، كما كانوا يمثلون بعض مناظر بلوتس.

تركه المدرسة

ترك المدرسة بعد خمس سنوات من دخولها. ليساعد والده الذي حلت به ضائقة مالية بعد ان كان من ذوي الرخاء وما وقوعه بتلك المحنة المالية الا نتيجة مغامرات تجارية كان يهدف من وراثها الى نيل الغنى والثروة، فعمل في تجارة الجلود، وصناعة القفازات، وتجارة الصوف ومبيع المحاصيل الزراعية كما تسلم وظائف عدة في القرية، غير أن الآمال لم تتحقق فأخفق الوالد في تجاراته ولم يحقق الغنى المنشود.

لهذه الأسباب خرج من المدرسة ليساعد والده بعد أن خسر كل ما امتلكه وحتى منزلته بين الناس.

حلت هذه الضائقة بالوالد، والولد في الثانية عشرة من عمره فترك المدرسة وعكف على مساعدة أبيه في صناعته وتجارته ورعي ماشيته.

حدثته

كان لتأخر حال والده تأثير كبير على حياته وقد اتصفت حدثته بشيء من الطوش ومنهم من قال أنه كان ينتمي الى جمعية جميع أفرادها يتباهون بالشرب.

بعد خروجه من المدرسة قيل انه علم في مدرسة القرية كما قيل انه اشتغل في محل جزار.

القسم الثاني.

زواجه

اقتن به (آن) كبرى بنات أبيها، من عائلة هانوي الريفية، وهي تكبره بشماني سنوات، أنجبا البنت الكبرى بعد ستة أشهر من زواجهما وهذا مما دعا إلى الشك في تاريخ القران. وبعدها بستين ولد له توأمان سمي الذكر هامنت والأنثى جوديث.

منصفوه من الناقدین يقولون أن ميلاد ابنته بستة أشهر بعد زواجه لا يستند إليه لأنه قد يكون سجل القران متأخراً في السجلات الرسمية كما كان يحصل. ولأن القانون يجيز ذلك، أي بعد الاكليل الكنسي هناك مدة لتسجيلها مدنياً بينما مبغضوه يقولون انه استغواها وفرض عليه الزواج منها ولا سيما لأنها تكبره بشماني سنوات، خاصة بعد أن ألح في رواياته، الى الزواج دون الفارق السني، وفي وصيته إلى الأشياء الثمينة التي وهبها الى اصدقائه وأقاربه ولم يهب زوجته الا سريريه الثاني. بينما خصّ ابنته وزوجها بالنصيب الأوفر.

أما محبّوه فيقولون ان وصيته هذه يبررها اعتباره ابنته وزوجها جديران بالثروة لتمكنهما من التمتع بملاذ الحياة ومباهجها أما زوجته فستملك حتماً بموجب القانون ثلث عقاره، وهذا يكفيها لأنها كانت في الستين عندما كتب وليم شكسبير وصيته.

هجرته

بعد أن أنعم الله عليه بهذه العائلة، لم يعد يكفيه ما كان يدخله من اعانة والده في تجارته وزراعتة لا سيما وحالة أبيه تتأزم، ووضع متجره

يتأخر وقد بدا أن والده سيخسر مرتبه في وظائفه الحكومية، اذ كان يضطر الى التخلف عن هذه الوظائف لمتابعة أعماله.

ومنهم من يعلل هجرته إلى لندن بالمحادثة التالية: ذهب ليصطاد الغزلان في مكان مسور « مصون » للسير توما لوسي، فساقه النواطير الى المحكمة فحكم عليه بالسجن يوماً واحداً.

لم يرق هذا الحكم له وقضى بالسجن ذلك النهار ينظم قصيدة يهجو فيها القاضي. ولما خرج من السجن وشاع خبر هذه القصيدة. استدعاه القاضي فخاف سوء المفبة وهرب الى لندن.

هاجر الى العاصمة ١٥٨٦ لأنه كان يعول اسرة عجز عن الانفاق عليها مما كان يوفره له دخله المحدود.

في لندن

فار من ستراتفورد القرية الى لندن العاصمة لم يجد ما يعمل الا الوقوف على باب المسارح يمسك الخيول لرواد المسرح من الأغنياء.

ولكن من في نفسه الموهبة كالنبيح المظموور ينتظر من يزيل عنه العوائق ليتفجر. وهكذا أزال هذا الرجل عن نفسه العوائق، وبسرعة تحول من سائس خيل خارج المسرح، إلى خادم في المسرح يتأمل ويحفظ الأدوار خلال خدمته، وما أن يصادف غياب أحد الممثلين لسبب من الأسباب حتى يتقدم هذا الرجل مندفعاً ليكون بديله موقراً في ذلك على مدير المسرح الكثير من الحيرة والارتباك.

ولكنه لم يكتف بالتمثيل فنفسه المتأججة المتعطشة وموهبته المنفتحة دفعته الى أن يؤلف ويمثل. وهنا أظهر مع براعته في التمثيل وفي التأليف، انه رجل أعمال أيضاً، فأخذ يشتري بما كان يقصده من أرباحه أسهماً حتى بات مساهماً في المسرح الذي يعمل فيه.

ترك التمثيل بعد أن تبين له انه لم يكن يجيد التمثيل ولم تصل درجته في التمثيل الا للدرجة مقبولة.

اما في التأليف فظهر تفوقه فوراً.

والذي يتطلب منا وقفة ولو سريعة. هو حقبة من حياة شكسبير غامضة، وما دار حولها من اشاعات وأقاويل. وهذه الحقبة تبدأ بهروبه من قريته الى لندن وتستمر حتى ظهوره على المسرح أي من سنة ١٥٨٥ إلى ١٥٩١.

فقد انقطعت عن شكسبير الأخبار، وكثرت الأقاويل. فمن قائل يرى أن هروبه الى لندن كان فراراً من العقاب كما مر بنا. ومن قائل يرى ان انتقاله الى لندن كان لالتحاقه بفرقة من الممثلين الجواله دفعها تجولها الى لندن فأثني معها دون علم أبيه.

ومن قائل يرى أنه ذهب في رحلة عسكرية.

وهناك من يزعم أنه زار بليموث، ومنها زار البلاد الايطالية ويدعم اصحاب هذا الرأي مذهبهم بالدقة التي يصف بها شكسبير البلاد الايطالية في رواياته وتمثلياته. وفي هذا الصدد يقول عباس محمود العقاد:

« ويذهب الأكثرون من اصحاب الأقاويل المختلفة من ملء فراغ هذه السنوات مذاهب من الظن والتخمين لا سند لها من الوقائع ولا من الشهادات المسلمة أو الوثائق المتفق عليها، وانما يأخذون فيها بالقرينة والاحتمال القريب قياساً على المعهود في أحوال العصر أو أحوال المترجم وأمثاله، وبعضها رجم بالظن لا يرجع الى شهادة عيان ولا الى شهادة سماع مقبول، وقد تكون القرينة في نفيه أقوى من القرينة في ترجيحه ».

اما جون سمارث فيقول :

كان يتردد الى جامعة اوكسفورد قبل زواجه ولم ينقطع عنها الا بعد الزواج.

وأخيراً قال الشاعر الناقد جون ماسفيلد :

كل هذا ليس بالبينة ولا بالرواية ولكنه تخمين جامح، وقد يقال مثله انه ارتقى عرشاً أو صار من قدماء الرومان أو عمل في صناعة النسيج أو افتتح حانة شراب، ولا فرق في السند بين ما قيل وما يقال على هذا المثال .

لما ذهب الى لندن وبقيت زوجته في سترامفورد، علّل الناس هذا العمل بسوء علاقته بزوجته. ونسوا ان معظم المهاجرين فعلوا ما فعل شكسبير.

ظهوره

بعد هذه الفترة التي قضاها في لندن، ظهر اسمه في عالم التمثيل ١٥٩١، اذ عمل في أكبر الفرق الـ (ايرل او ليستر).

بسرعة ارتفع شأنه ومنزلته وعزز مكانته الاجتماعية وحاز على لقب السيد وسجل اداء الرسوم لهذه الحلة في شهر تشرين الأول ١٩٥٦ واستعاد قسماً كبيراً من المقتنيات التي كان قد باعها والده بسبب الرهن أو العوز اذ استرد أولاً ما قبل الشارون رده. وعاد واقتنى املاكاً ويوتاً غيرها.

عودته الى مسقط رأسه

في سنة ١٦١١ عاد الى مسقط رأسه نهائياً يقضي أيامه الأخيرة فيه ولكنه كان يتردد مرة كل سنة بزيارة لمسقط رأسه وأقاربه وبقي هناك الى أن ادركته الوفاة في الثالث والعشرين من شهر ابريل أي في نفس اليوم الذي ولد فيه من عام ١٦١٩.

وصيته

لما أحس بدنو أجله كتب وصيته والذين خصّهم بتلك الوصية:

زوجته

بنته سوزان (الكبرى)

جوديث (الصغرى)

حفيدته (اليصابات)

وبعض الهبات للفقراء والمعوزين من أقاربه وبعضها لمساعدته.

كتب كثيراً عن هذه الوصية قيل أنه لم يصب زوجته من تركته إلا سريره الثاني منهم من قال ان لا غرابة في ذلك لأنه كان منكداً في عيشته البيئية وقد ورد عبارات كثيرة في رواياته تبين خطأ الزواج دون النظر الى الفارق السني كما مر معنا.

مؤلفاته

الملاهي

The Tempest	١ — العاصفة
The Two Gentlemen of Verona	٢ — سيدان من فيرونا
The Merry Wives of Windsor	٣ — زوجات وندسور المرحات
Measure for Measure	٤ — واحدة بواحدة
The Comedy of Errors	٥ — مهزلة الأغلاط
Much ado about Nothing	٦ — جعجعة دون طحن
Love's labour's lost	٧ — عذاب الحب الضائع
Midsummer Night's Dream	٨ — حلم ليلة صيف
The Merchant of Venice	٩ — تاجر البندقية
As You like it	١٠ — كما تشاء
The Taming of the Shrew	١١ — ترويض الشرسة
All's well that ends Well	١٢ — العبرة بالنهاية
Twelfth Night	١٣ — الليلة الثانية عشرة
The Winter's Tale	١٤ — حكاية الشتاء

المآسي

The Tragedy of Coriolanus	١ — مأساء كريولانس
Titus Andronicus	٢ — تيتس أندرونيكس
Romeo and Juliette	٣ — روميو وجوليت
Timon of Athens	٤ — تيمون الأثيني
The Life and Death of Julius Caesar	٥ — يوليوس قيصر
The Tragedy fo Macbeth	٦ — ماكبث
The Tragedy of Hamlet	٧ — هملت
King Lear	٨ — الملك لير
Othello, The Moor of Venice	٩ — عطيل
Anthony and Cleopater	١٠ — أنتوني و كليوباترة
Cymbeline King of Britain	١١ — سمبلين

التاريخيات

The life and Death of King John	١ — الملك جون وموته
The life and Death of Richard the second	٢ — ريتشارد الثاني
The First Part of King Henry the fourth	٣ — هنري الرابع: جزء أول
The Second Part of King Henry the fourth	٤ — هنري الرابع: جزء ثان
The Life of King Henry the Fifth	٥ — هنري الخامس
The First part of King Henry the sixth	٦ — هنري السادس: جزء أول
The Second par of King Henry the sixth	٧ — هنري السادس: جزء ثان
The Third part of King Henry the sixth	٨ — هنري السادس: جزء ثالث
The Life and Death of Richard the third	٩ — ريتشارد الثالث
The Life of King Henry the Eighth	١٠ — هنري الثامن

العاصفة

تعريب

أ.ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

آلوزنو	: ملك نابولي
سيسيتيان	: اخوه
بروسبارو	: دوق ميلانو الشرعي
انطونيو	: اخوه دوق ميلانو المقتصب
فردينان	: ابن ملك نابولي
غنزالو	: مستشار عجوز مستقيم
أدريان	{ وجيهان
فرنسيسكو	
كليبان	: عبد شرس ومشوّه
ترنكولو	: مهرّج
استيفانو	: خادم سكّير
ريّان سفينة	
رئيس بحّارة	
ملاحون	
ميراندا	: ابنة بروسبارو
أريال	: روح الأهوية
إيليريس	{ ارواح
ساراس	
جينون	

عرائس بحر، وحصادون.

الاحداث تجري في جزيرة مقفرة

الفصل الأول

المشهد الأول

رعود وبروق وصخب عاصفة. على متن سفينة في البحر.

(ريان ورئيس بحارة)

الريان : ايها الرئيس.

الرئيس : انا هنا ايها الريان، والحالة على ما يرام.

الريان : علينا ان نغير وجهتنا. فاعمل اللازم وكن يقظا، وإلا اصطدمنا بالشاطئ. عجلوا، عجلوا.

(يخرج ويدخل بعض الملاحين)

الرئيس : هيا، يا رجال، استبسلوا يا شجعان، استبسلوا وأسرعوا، أسرعوا. أنزلوا الأشرعة السفلى واتبعوا تعليمات صفارة الريان. استجمعوا عزائمكم، وقاوموا الرياح لتبتعد عن الساحل الى عرض البحر.

(يدخل آلونزو وسيسثيان وأنطونيو وفردينان وأتباعهم)

آلونزو : افتح عينيك يا رئيس البحارة. اين الريان؟ ارجوك ان تنادي الجميع.

الرئيس : انت ابق تحت، من فضلك.

آلونزو : اين الريان، يا رئيس البحارة؟

الرئيس : ألا تسمعه؟ انك تفسد علينا عملنا. الى حُجركم. اما انتم فساعدونا للتغلب على الموج.

غزالو : هدىء روعك، يا صديقي.
الرئيس : قل ذلك لهذه الامواج العاتية. ابتعدوا واحذروا اللجة المزمجرة.
أتظنون ان هيبة الملك تخيفها؟ وأنت، هيا الى حجرتك. إلزم الصمت، ولا
تعد الى ازعاجنا.
غزالو : على كل حال ايها الشجاع، لا تنس من معك على متن السفينة.
الرئيس : لا احد يستحق التقدير اكثر مني. فأنت المستشار، عليك ان
تُسكت هذه العناصر، وأن تسكُن غضب هذا الاعصار، ونحن من جهتنا لا
نلمس اية حبال. أرنا قدرتك وسطوتك. وإلا، اشكر ربك على بقائك حيا
حتى هذه الساعة. ترقب في حجرتك، وتحملّ المزيد ان قدّرت لنا النجاة.
استبسّلو يا اصحاب. أكرر عليك ان تذهب من هنا.

(يخرج)

غزالو : هذا الانسان يوحى اليّ بالثقة. وأعتقد بأنه لن يكون نصيبه الفرق ما
دامت سحته رهية كالجلاد المتحجر القلب. أوجد لنا حبالا متينا من القنب
لعله يساعدنا على الخلاص من الهلاك، ان حالفنا الحظ، لان هذه الجبال تكاد
تتقطع بين أيدينا. أما ان كنت قد ولدت لكي يحزّ جبل المشنقة على عنقك،
فهذا داء لن تلاقي له دواء.

(يدخل الرئيس ويخرج الحاضرون)

الرئيس : شد الشراع السفلى بقوة وأنزله، أنزله حتى مستوى الشراع الكبير.
(يسمع صراخ وضجة) ليحصلهم الطاعون مع صخبهم، فهم وحدهم
يضجون اكثر من زمجرة الامواج وصخب انهماك البحارة.

(يعود سيسيان وانطونيو وغزالو)

انتم من جديد هنا؟ ماذا اتيتم تفعلون؟ هل يترتب علينا ان ندع كل شيء ينهار
حتى نفرق؟ هل تنوون ان تغوروا في قعر اللجة؟
سيسيان : ليخطفك الوباء ايها الفاسق المجدف، ايها الكلب الأجرب.
الرئيس : هيا تعال، ووسّخ يديك مثلنا.
انطونيو : الى المشنقة ايها الحيوان القذر، يا ابن الزانية، الى المشنقة ايها
التجس الوقع، فنحن لا نخشى الفرق نظيرك.

غزالو : انا واثق بأنه لن يغرق، وان كانت هذه السفينة أقل صلابة من قشرة
الجوزة، وان ارتمت في أحضان الماء كالمستهتر.
الرئيس : قاوموا الرياح بكل قواكم، وارفعوا الاشرعة السفلى. ثم توجهوا نحو
عرض البحر.

(يدخل بعض الملاحين والمياه تسيل من ملابسهم)
الملاحون : كلنا هالكون. اركعوا وصلّوا، فكلنا هالكون.
الرئيس : ماذا تقولون؟ هل استسلمتم الى الموت بهذه السرعة؟
غزالو : الملك والامراء جميعهم يتضرعون. تعالوا نضم اصواتنا الى دعائهم
لان مصيرنا ليس افضل من مصيرهم.

سيبستيان : انا قد عيل صبري.
انطونيو : السكارى حطموا حياتنا. فهذا الاحمق الذي يتشدد بالسخافات لا
يد للجة من ان تبتله فتخلصنا من شره.
غزالو : انه يستحق الموت. فلتبتله الامواج الهائجة وهو واجم جاحظ
العينين من الهلع.

(تحدث ضجة)
اصوات واجفة : الرحمة. نحن نفوص. وداعا يا زوجتي ويا اولادي. وداعا يا
اخي. نحن نفوص، نحن نفرق.
انطونيو : لنذهب جميعا الى الملك كي نهلك معه.
سيبستيان : وتودعه.

(يخرجون)
غزالو : انا أحب الف فرسخ من الامواج حالا مقابل فدان واحد من الارض.
لكن، ما احلى الموت على الارض اليابسة.
(يخرج)

المشهد الثاني

الجزيرة. امام كوخ بروسبارو

(بروسبارو وميراندا)

ميراندا : اذا كنت، يا والدي الحبيب، قد أثرت بقدرتك هياج هذه المياه الطاغية، ارجوك ان تأمرها بالهدوء. لان السماء، كما يقال، تصب علينا نارها المحرقة، والبحر يصعد امواجه حتى تبلغ عنان الفضاء. ومع ذلك اراك عاجزا عن اطفاء اللهب. لقد تألمت مع من أبصرتهم يتعذبون في السفينة المترنحة التي تكاد تتحول الى حطام، وهي تحمل انسانا مثلك، آه! كم تعالت صيحات الذعر من أفواه المرؤعين، وتجاوبت اصداؤها في قلبي من جراء محتتهم. لو كنت إلهة ولي سلطان لدغنت البحر برمته في بطن الارض، ولم ادع هذا المركب الرائع يغرق في أعماق اللجة الهائجة مع حمولتها الوفرة من النفوس الغالية.

بروسبارو : عودي الى رشذك، وطمئني فؤادك الشفوق. فالفاجعة لن تحل بنا. ميراندا : تباً له من يوم اسود.

بروسبارو : لن يصيبنا اي اذى. اتكلي عليّ فأنا شديد الاهتمام بك يا بنيّتي العزيزة، يا من لا تعرفين من انت ولا تدريين من اين انا اتيت، انا ابوك بروسبارو صاحب هذا الكوخ الحقيق.

ميراندا : لم أشغل بالي ابدا بكشف النقاب عما لا ادركه.

بروسبارو : لقد حان الوقت لأطلعك على ما لا تعلمين. مدي يدك وانزعي عني هذا المعطف السحري.

(يضع معطفه جانباً)

استريحني هنا، يا عزيزتي، وامسحي دمعك وتجلدي. فان مشهد هذا الفرق الهائل الذي يروعك له مغزى عويص. أجل، انا بكل حكمتي وتبصّري قد امرت الانواء بأن لا تلحق أي ضرر بانسان، وأن لا تمس شعرة من رأس اي

مسافر على متن هذه السفينة التي يتصاعد منها العويل، وتكاد الامواج ان تبتلعها بمن فيها. اجلسي واصغي اليّ لأزيدك علما بما يحيط بك من غوامض. ميراندا : لقد اوشكت مرارا ان تقولي لي من انا. ثم لُذت بالصمت وتركتني في حيرة من امري. وأنت تردد على مسمعي عبارتك: لا لم يحن الأوان بعد. بروسيارو : الان قد حان الوقت، وأسألك أن تكوني آذانا صاغية. اطيعيني واسمعي بانتباه. هل تذكرين ايام لم نكن نحن من سكان هذا الكوخ؟ اني لأعجب ان كنت فعلا تذكرين، لان عمرك آنذاك لم يتعدّ الاعوام الثلاثة. ميراندا : بل اذكر جيدا يا سيدي.

بروسيارو : ماذا تذكرين؟ أيتها آخر ام شخصا آخر؟ وأية صورة تحفظين في مخيلتك، ان كنت ما زلت تذكرين شيئا من بقايا الماضي البعيد؟ ميراندا : أجل، الماضي اصبح الان بعيدا. لكني اذكره كحلم اكثر مما هو حقيقة. أذكر ان اربعا او خمسا من النساء كنّ يقمن بخدمتي. بروسيارو : نعم يا ميراندا، وأكثر. واني لأعجب كيف لا تزال هذه التذارات حية في ذهنك. فماذا تحفظين ايضا من صور الماضي ومن تقلبات الزمان؟ وفي هذه الحال، هل تذكرين من جاء بك، وكيف وصلت الى هنا؟ ميراندا : لا، ايدا.

بروسيارو : لقد مرت على ذلك اثنا عشرة سنة. فوالدك دوق ميلانو كان اميرا قديرا جديرا بكل تبجيل.

ميراندا : أولست انت ابي، يا سيدي؟

بروسيارو : والدتك الفاضلة روت انك ابنتي، كما روت انك اميرة من سلالة عريقة، وأن والدك هو دوق ميلانو، وانك انت وريثته الوحيدة. ميراندا : يا إلهي، اذاً هناك مؤامرة اجبرتنا على الرحيل. وعلينا ان نحمد الله على ما غمرنا به من نعمه.

بروسيارو : الامر ان جائزان، الامران معا، يا بنتي. أجل نحن ضحية مؤامرة قذفت بنا ذات يوم الى المجهول. ثم قادتنا العناية الالهية الى هذه الشواطئ. ميراندا : قلبي يتفطر عندما أفكر بالولايات التي حلت بك بسببي، بدون ان اذكر كيف. ارجوك ان تكمل لي شرحك.

بروسبارو : عمل المدعو انطونيو، مع انه اخي، كان انسانا عقوقا بالرغم من كل ما احطته به من محبة وتقدير. حتى اني كلفته بالسهر على شؤون دولتي. وكانت افضل اماره في هذه المنطقة. كما كان بروسبارو بجاهه ونفوذه من خيرة الحكام بما امتاز به من فطنة وعدالة. لكن ثقتي به لم تكن في محلها. ونظرا لانشغالي ببعض الدراسات. لم يتسن لي أن أعطي القوس باريها. فما كان من عمك الخائن الا... هل تصغين اليّ؟

ميراندا : لا يفوتني حرف مما تقوله، يا سيدي.

بروسبارو : فما كان منه الا ان أبعد أنصاري وبّد محبّي واستبدلهم على هواه بمن استمالهم اليه بطرق ملتوية، حتى دانت له كل مراكز القوة والنفوذ في امارتي. وعندما شدد قبضته على مقاليد الحكم... هل تسمعين جيدا؟

ميراندا : أجل، أجل، يا مولاي الكريم.

بروسبارو : ارجوك ان تتبهي الى كل كلمة افوه بها. وبما اني لم اكن أهتم كما يجب بشؤوني الدنيوية، وقد انصرفت الى رياضتي الروحية وتنمية الفضائل في نفسي بالانزواء والانقطاع عن اباطيل الدنيا، هاجراً ما يميل اليه معظم الناس، فما كان من زهدي الا ان ولّد في صدر اخي غريزة الجشع الكريه وشجّع غيايبي على الانفراد بالحكم والحلول مكاني نهائيا كأنه من ألد اعدائي، مستيحاً ثقتي العمياء به. فاختلس أموالي فوق ما استأثر به مما خلعته عليه من سلطان، مستعينا بالكذب والخداع لايهام أتباعي بأنه اصبح هو الدوق الأصيل نظرا لما صرّفه فيه أثناء اختلائي، من قدرة على الحل والربط باسمي. وما كان لؤمه وانحطاطه الا ليزيدا طمعه يوما بعد يوم. أتسمعين؟

ميراندا : حديثك يشوقني الى معرفة النهاية، يا سيدي.

بروسبارو : ولكي لا يترك فاصلا بين الدور الذي يقوم به والسلطة التي منحته اياها، شاء ان يصبح الحاكم الوحيد في ميلانو. واذ كنت انا معتصما بمكثبي الخاصة أرشف من ينابيع المعرفة، وأعترف من كنوز التقوى، كان هو يصمني بالتقصير والخنوع ويسعى الى محالفة ملك نابولي على ان يقاسمه الجزية ويشاركه في الامجاد ويخضع عرشه الى أطماع هذا الخصم الطاغية مقلدا من شأن ميلانو، مطأطفا هامته امام عنفوان حاكم نابولي المستبد.

ميراندا : يا إلهي.

بروسبارو : اصغي جيدا الى حجته والى مجرى الاحداث، ثم احكمي ان كان يجوز ان اعتبر هذا الخائن اخي.

ميراندا : سأخطيء حتما ان شككت بأن جدتي الشريفة الاصيلة قد انجبت مثل هذا الابن العاق.

بروسبارو : ها هي حجته: ان ملك نابولي الذي عاداني طويلا، قد احتضن شقيقي الذي ألتمس منه الاعتبار والمساندة لقاء ما أجهل من الموجبات، لكي يستأصلني من الامارة ويجردني من أنصاري ويثبت اخي في سدة حكم ميلانو الجميلة، بينما انا صاحب الحق الوحيد فيها، معتمدا على طغمة من الخونة. ففتح انطونيو ابواب مدينة ميلانو على مصراعيها في ليلة ظلماء وحرّض أعوانه على اقصائي معك بسرعة وأنت دامعة العين.

ميراندا : ما أشقاني انا التي لم اعد اذكر كيف بكيت آنذاك، وعليّ ان أنتحب مجددا لان مجرد الافتكار بهذه الجناية البشعة يقرح أجفاني.

بروسبارو : اسمعي ايضا ما حل بنا بعدئذ من بؤس مرير، وإلا، لا يكون لروايتي اي معنى ولا مغزى.

ميراندا : لكن كيف تسنى لنا الخلاص من برائتهم ولم يقضوا علينا فورا؟ بروسبارو : اليك السبب يا بنيّتي، وقد كنت أنتظر منك هذا السؤال. لم يجروؤا على ذلك يا حبيبتى، خوفا من مغبة ما يَكُنْه لي الشعب بكامله من محبة وتقدير. فامتنعوا عن تلوّث أيديهم بدمائنا. غير انهم لم يتورعوا عن سومنا اقصى العذابات. فألقونا في قارب، وأبعدونا الى عرض البحر حيث كانوا قد أعدوا لنا مركبا تننا مشؤوما، مجردا من الاشرعة، خاليا من المؤن، حتى الجرذان هربت منه بدافع غريزتها لصون حياتها، وأسلمونا الى جنون العاصفة وعنفها بدون رأفة ولا رجاء، آمليْن أن تنوب عنهم عناصر الطبيعة الغاضبة في ازهاق ارواحنا وازالتنا من عالم الوجود.

ميراندا : وأأسفاه! كم كنت عبئا ثقيلا عليك؟

بروسبارو : كلا، كنت بالعكس، ولا تزالين ملاكي الحارس، تبسمين لي

بوداعة سماوية، بينما كنت أمسح عن محياك ملوحة ماء البحر، وأنوء تحت ثقل حملك وأنت تساندين شجاعتني لمجابهة ما تحبّه لنا الايام المقبلة.

ميراندا : وكيف وصلنا الى شاطئ الامان؟

بروسبارو : العناية الالهية حمتنا وأرشدتنا. اذ كان لدينا بعض الطعام وقليل من الماء العذب زودنا بهما وجيه شهم من نابولي يدعى غزالو، استدّر وضعنا التعيس عطفه بالرغم من كونه قد اصبح على رأس الادارة، فأمر لنا بملابس خارجية وداخلية وأمتعة اسعفتنا كثيرا في محنتنا. وفوق كل ذلك: نظرا لما يعرفه عني من حب المطالعة، أمر بتزويدي بعدة كتب أفضلها على امارتي كلها.

ميراندا : هل يتسنى لي ان ارى يوما هذا الرجل الكريم لأشكره؟

بروسبارو : لا أعلم، اذ لا يسعني الان الا ترقب خاتمة محاولتنا وقد نجونا من البحر.

(يرتدي معطفه)

ووصلنا الى هذه الجزيرة، وأصبحت انا استاذك. فريتك على أكمل وجه، لا يحسنه اي امير مهما تمتع به من مقدرة وحسن نية.

ميراندا : جزاك الله عني خيرا. ارجوك يا سيدي ان تفضل بالاجابة على السؤال الذي ما فتىء يجول في خاطري، ألا وهو: ما الذي دفعك الى قبول مصارعة أنواء هذا البحر الغاشم؟

بروسبارو : اعلمي ان الحظ الاعمى، والغالي اليوم على قلبي، قد حالف اعدائي بصورة غريبة. وعلى هذا الشاطئ بالذات، انا واثق بأن الامور لن تلبث أن تنقلب يوما وتعود الى مجراها الطبيعي وترجع الينا غطتنا وسعادتنا، فما علينا الا ان نترقب الفرج. وأسألك ان تتوقفي هنا عن طرح المزيد من الاسئلة، لقد ذهبت عينك من طول السهر، وعليك ان تأخذي قسطا من النوم والراحة، لانك لن تقوي على المقاومة اكثر مما فعلت.

(ترقد ميراندا)

تعال، يا خادمي الامين، تعال. فأنا الان على أتم الاستعداد. اقترب مني يا أريال، هيا اقترب.

(يدخل أريال)

أريال : عليك السلام ايها المعلم الكريم، عليك السلام ايها السيد المطاع. ها انا ذا بين يديك وتحت امرك، وجاهز لكي اطيح وأسبح وأقتحم لهيب النار، وأجري على صهوة حصاني فوق الغمام. اصدر اوامرك فيخضع لمشيئتك السنة أريال نظرا لما امتاز به دوما من الامثال.

بروسبارو : هل اكملت اثارة العاصفة ايها الروح كما طلبت منك؟
أريال : نفذت اوامرك بحذافيرها. فجابته سفينة الملك تارة في المقدمة وطورا على متنها حتى في جميع حجراتها ثم في مؤخرتها. فنشرت الذعر والرعب، وأنا أجتاز المفارق، زرعت النار في عدة أمكنة وفي الأشربة وفي مختلف الصواري، فاشتعلت وأصبحت كتلة من اللهب كأن رعود السماء وبروقها انقضت على السفينة لتبيدها. فأتى الحريق على كل ما اعترض سبيله، كأن إله البحر نبتون العظيم، وهو يشهر شوكة الرهبة، قد هاجم بأواجه اللجة المدمرة هذه السفينة التي تراقص على شفير القناء.
بروسبارو : يا روحي الشجاع، هل وجدت في هذا الصخب الجهنمي شخصا واحدا حافظ على هלוأ أعصابه؟

أريال : لا احد، تحت وطأة هذيان هذه الحمى، استطاع ان يسيطر على أعصابه. فما عدا الملاحين ارتمى الجميع الى البحر المزبد هارين تاركين السفينة تنعي من بناها. ولقد وقف شعر رأس فردينان ابن الملك من الهول حتى بدا كالقصبه المروضه في مهب الريح، وكان اول من القوا بأنفسهم الى اليم صارخا: لقد هجر الجحيم جميع اهله، وها هم كل الأبالسة يتراقصون أمامنا.

بروسبارو : نعم، نعم. انت الان حاضر بجوارنا قرب الشاطئ الامين، أليس كذلك؟

أريال : انا دائما بجانبك، يا سيدي.

بروسبارو : ولكن، يا أريال، هل الجميع سالمون؟

أريال : لم تسقط من رؤوسهم شعرة، وليس على ثيابهم اية بقعة او خدش، بل هم مرتاحون اكثر مما اوصيتني به. وقد فرقتهم جماعات صغيرة في انحاء الجزيرة. اما ابن الملك، فوحده ارتمى على الحصى من شدة الاعياء. فتركه

يستريح ويستجمع قواه في زاوية نائية من الشاطئ، حيث جلس ويدها مضمومتان الى صدره هكذا.

بروسبارو : وماذا فعلت بسفينة الملك وبالبحارة وببقية الاسطول؟
ارياي : كلهم في أمان يا مولاي. وسفينة الملك راسية في فجوة خفية حيث استدعيتني سابقا عند منتصف الليل للانتعاش برطوبة الندى في مؤخرة الجزيرة الرائعة. هناك يجتمع الملاحون تحت نافذة سقف السفينة متمددين، وقد أنهكهم التعب جميعا فتركهم يهجعون. اما سائر قطع الاسطول التي كنت قد بددتها بسبب عداتها، فجمعتها ثانية فوق امواج البحر المتوسط لتتجه نحو نابولي مطمئنة الى رؤية مركب الملك يغوص في أعماق البحر وفي داخله شخصه المنبوذ يهلك.

بروسبارو : لقد قمت بمهمتك خير قيام. انما بقي امر واحد: قل لي في اية ساعة نحن الان حسب موقع الشمس.
ارياي : بعد الظهر، يا مولاي.

بروسبارو : (ينظر الى الشمس) : أجل، بمقدار ممرتين، ومن الان حتى الساعة السادسة ليس امامنا لحظة واحدة نضيعها.
ارياي : هل هناك من عمل ايضا؟ انت لا تريحنى مطلقا. عليك ان تتذكر ما وعدتني به. فأنا لا ازال أنتظر وفاءه.

بروسبارو : اراك قد اصبحت صاحب نكتة؛ يا اريال. فماذا تريد مني؟
ارياي : حريتي.

بروسبارو : ليس قبل ان يحين الاوان. كفاك ثرثرة.
ارياي : ارجوك ان تذكر انني خدمتك بصدق وأمانة. ولم اكذب عليك بتاتا، ولم أرتكب حماقة في خدمتك، ولم أتململ، ولم أشك. وأنت قطعت لي عهدا بأن تطلق سراحي بعد سنة.

بروسبارو : هل نسيت من اية ورطة انتشلتك؟
ارياي : كلا، كلا.

بروسبارو : بلى، بما انك تضج لكوني انقذتك من أعماق المياه المالحة، تريد

ان تسابق ربح الشمال وترحل عني نهائيا الى اقاصي الارض التي اخمدت نارها
شدة الصقيع.

ارياي : ابدأ، يا سيدي.

بروسبارو : انت منافق ايها العبد الذميم. هل نسيت الساحرة القبيحة
سيكوراكس التي احنت ظهرها الشيخوخة، وكيبتها الخبائث بطوق من حديد؟
قل لي هل نسيت؟

ارياي : كلا، يا مولاي.

بروسبارو : بلى، نسيت، هيا قل لي من اين اتيت؟ قل لي.

ارياي : من مدينة الجزر، يا مولاي.

بروسبارو : هل انت واثق من ذلك؟ يجب عليّ ان أذكرك على الدوام بما
كنت عليه، لانك تنسى ان هذه الساحرة اللعينة سيكوراكس، أبعدت العدالة
البشرية عن الجزر كما تعلم، بسبب ردائلها العديدة التي تقتل لشدة هولها.
وبالرغم من ذنوب شتى لم تتورع عن اقترافها، لم يحكم عليها بالموت. هل
هذا صحيح؟

ارياي : أجل يا سيدي.

بروسبارو : ان مصاصة الدماء هذه ذات العينين الجاحظتين اقيدت الى هنا
وهي حبلى، فما لبث الملاحون ان هجروها. وأنت يا عبيد المشتاق اليها
اصبحت خادما، انت الروح الخفيف الظل ليئت اوامرها الارضية المنحطة
وصممت أذنك حيال تعنيفها المرهق فاحتجزتك بمساعدة أتباعها الاقوياء.
وأوثقتك الى صنوبرة هرمة وحبستك ضمن شق فيها مدة اثنتي عشرة سنة. واذ
ماتت في هذه الاثناء مكثت هناك تجمع جمع كحجر الرحي في دورانه، تتألم
وتتنهد باستمرار في تلك الجزيرة النائية. اما ولدها الذي انجبته فكان مرقطا
كالوحش الضاري على صورة امه الساحرة السافلة، وبعيدا بعد السماء عن
الارض عن كل ما يمت الى هيئة الانسان بصلة.

ارياي : هل تعني ابنها كليان؟

بروسبارو : لقد قلت هذا الان يا عديم الذكاء والوفاء. أجل، كليان الذي
أستخدمه اليوم. وأنت تعلم اكثر من سواك كم عانيت من الاهوال بسببه. ان

صراخك حَرَضَ الذئباب على العواء المتواصل، فاخترق القلوب كالسهام وزادها نفورا. اما هذا العذاب الاليم فلا تقوى سيكوراكس ذاتها على تسكينه. وها انا قد رأفت بحالك عندما جئت، وفهمت شكواك ففتحت لك شق الصنوبرة لأخلصك.

ارياي : انا لك من الشاكرين، يا معلمي الكريم.

بروسبارو : ثرثر ما شئت يا غبي. كان عليّ أن لا اضع اسفيننا في الشق لكي ادعك تعوي في داخله مدة اثني عشر شتاء.
ارياي : عفوك، يا معلمي. سأطيع اوامرك وأظل امينا في خدمتك التي اجد نبرها خفيفا.

بروسبارو : وأنا بعد يومين سأفك أسرك.

ارياي : يا معلمي النبيل، ماذا يجب عليّ ان افعل؟ قل لي ماذا يجب عليّ ان افعل؟

بروسبارو : تصرّف كعرائس البحر، ولا تهتم بسواي كأنك لا ترى احدا غيري. هيا عد الى رشدك واستعد لكل طارئ وانشط ولا تكن خاملا.
(يخرج أريال)

استيقظ يا فؤادي، استيقظ. فقد طال سباتك العميق، استيقظ.

ميراندا : ان غرابة قصتنا أورثتني الوجوم.

بروسبارو : علينا ان نظل حذرين. سنذهب ونزور كليان صاحب التذمر والاحتجاج المستمر.

ميراندا : تباً له من مخلوق خبيث تزعجني رؤيته.

بروسبارو : لا سبيل الى نكران ذلك. لكننا بحاجة اليه، فهو يضرم النار في موقدتنا ويحتطب لنا ويخدمنا بقدر المستطاع. ايها العبد الخسيس كليان، يا قطعة من الجماد، هلا رددت عليّ.

كليان (من جعره) : لقد جمعت الحطب، فماذا تريد مني بعد؟

بروسبارو : تعال الى هنا، فلديّ عمل آخر أكلفك به. تقدم يا شبيهه السلحفاة.
(يظهر أريال بهيئة عروس البحر)

ما احلى سحتك يا اريال الغريب الاطوار! اقرب لأسر كلمة في أذنك!
اريال : لقد قضي الامر يا مولاي.

(يخرج)

بروسبارو : أيها العبد الخبيث، سليل الشيطان وريبب النجاسة، هيا أخرج.
(يظهر كليان)

كليان : ما اسوأ حظي الذي يشبه سواد الغراب! لقد جمعت امي بقايا
الحبوب من حول المستنقع الآسن. فهبت عليها الرياح الجنوبية الشرقية
وكست جسمها بالثور الكريهة.

بروسبارو : لاجل هذا، كن على يقين بأنك ستصاب اليوم مساء بتشنجات
عصبية تقطع أنفاسك وتغرز ابر القنفاذ في جلدك وتمعن طوال الليل في
تعذيبك حتى تعم الثقوب بدنك نظير شهد العسل الذي يتجه النحل الدؤوب.
كليان : انا لم أسترح بعد. لقد ورثت هذه الجزيرة عن والدتي سيكوراكس،
فاغتصبتها انت مني عندما قدمت الى هذه الربوع. لذلك رفهتني لثمّوه عليّ
الحقيقة، وسقيتني الماء بعد ان نقت ثمر البلوط فيه، وعددت لي اسماء
النجوم الكبيرة والصغيرة كطلسم شمل الليل والنهار. فأحببتك وأريتك فضائل
هذه الجزيرة ذات الينابيع العذبة والآبار المالحة والاراضي الرطبة والقفار
الجرداء. لتنزل عليك اللعنة بواسطة سحر سيكوراكس على شكل ضفادع
وخنافس ووطاويط. انا أتنصّل منكم، وعندما استعيد وعيي تحجزني انت
داخل الصخر لتجرдени من هذه الجزيرة.

بروسبارو : انك لا تعرف غير الكذب ايها العبد اللئيم، ولا تستحق المعاملة
الحسنة بل الجلد بالسياط، كما كنت افعل بك سابقا، لانك نجس كوحل
المستنقع. لقد آويتك بانسانية في كوخ، لكنك لدناءة طبعك اختطفت حياة
ولدي.

كليان : لا، لا. لو لم تعترض سبيلي لكنت جعلت هذه الجزيرة آهلة بذريتي.
ميراندا : تباً لك من عبد ذميم، لا تحفظ العهد ولا ترعى الذمم، ولا يردعك
رادع عن اقتراف الموبقات. لقد اشفقت عليك وسعيت لمنحك حرية الكلام،
فاذا بك تشامخ عليّ كل يوم بطريقة جديدة مقدعة، بينما انت لم تكن لك اية

جرأة او رغبة او فكرة، ايها الوجد، لادراك ما تغمغم به كما يفعل الأجلاف أمثالك. لقد اكتسبت مع الوقت بعض النشاط. لكنك لوضاعة اصلك وبالرغم من امثالك للاوامر، لا تزال تفتقر الى ما تتحلى به النفوس الأبية من حميد الخصال، فارتضيت الاستكانة في هذا الصخر، ووجدت السجن احلى من العسل على قلبك الوضع.

كليان : انت علمتني الكلام، ولذلك أود الان ان أصب عليك اللعنة. فليسلك الطاعون جلدك عن لحمك لانك لقتنتي أسلوب نطقك.

بروسبارو : ايها المسخ اللعين، أغرب عن وجهي، واجلب لي حالا ما أشعل به النار. ان سحتك المتجهمة تفيض بذاعة، فتمهل وتكلم همسا لئلا يشل التشنج اعضاءك وتكسر عظامك. فالضواري في أعماق أدغالها ترتجف عند سماع نعيك المشؤوم، يا وجه اليوم.

كليان : لا، لا. ارجوك ان لا تلصق بي هذه التهمة (على حدة) ينحتم عليّ ان أطيع. لان قدرته لا تقاوم ما دام يسيطر على إله امي ويُخضع ابليس نفسه لمشيئته.

بروسبارو : اذهب اذاً ايها العبد الذليل.

(يخرج كليان. تسمع أنغام موسيقية. يعزف أريال ويغني بدون أن يراه احد. وعلى بعد مسافة يقف فردنان).

اريال (ينشد) : هلموا الى هذه الرمال الصفراء.

وضموا ايديكم المرتجفة العفراء.

ثم احنوا رؤوسكم وقبلوا الارض

لكي يهدأ الموج والنوء يرفض

ومن هنا وهناك السماء تبرق

ولا تلبث الشمس من وراء الغمام تشرق

فيتسنى لكم جميعا ان تسرحوا وتمرحوا.

اصوات جوقة متفرقة (ترتفع) : أحو، أحو، أحو.

اريال : وأنتم يا كلاب الصيد انبحوا.

الاصوات : أحو، أحو، أحو.

ارياىل : اصمتوا، فاني اسمع في الهواء

صياح الديك يرتفع في العراء.

الاصوات : كوكو ريكو، كوكو ريكو.

فرديناىن : من اين تأتى هذه الانعام والصيحات العجيبة، أمن الارض أم من السماء؟ ها هي تتوقف بعد ان بلغت اجواز الفضاء متصاعدة الى عرش إله هذه الجزيرة، الجالس بحزن يندب حظ ابي الملك الذي مات غرقا. حوالى انسابت هذه الالغان الشجية على صفحة المياه لتهدى غضبة الطبيعة وتطفئ لواعج أساي بما تفيض به من رقة وعذوبة. فتبعثها انا، بل هي جذبتني ثم هجرتني. لكن لا بد لها من ان تعود الى.

ارياىل (ينشد) : على عمق خمسة باعات تحت الماء

يرقد والدك كما يرغب ويشاء

وعظامه الى مرجان تتحول

وعيونه البراقة حوله تتجول

وفي داخله لا شيء يتغير

بينما البحر في تصرفاته محير

اذ ينقلب الى فيض ضياء

نادر، يسحر في كل حين ببهاء

عرائس البحر التي تنعيه

وعلى حميد مزايه تبكيه

الاصوات : دينغ، دونغ، دينغ، دونغ.

ارياىل : اصنوا جيذا الى ما أسمع من غوغاء.

الاصوات : دينغ دونغ، دينغ دونغ دانغ.

فرديناىن : هذا اللحن يذكرني بوالدي الغريق، وبمآثره الخالدة التي لا بد للارض من ان تقدرها حق قدرها، وأنا اسمع نبرات صوته تطن الان في أذني. ميراندا : ماذا ارى؟ هل هذا روح؟ يا الهي! لا يسعني ان أنكر ان نظراته تصيبنى كأنها سهام، وهو يتباهى بكونه من الارواح. بروسبارو : كلا يا بيتي، هو يأكل وينام، ونظيرنا هذا الفارس الذي

تشاهدني، له احساس وقد نجا من الفرق. وها هي مسحة الحزن تكسو محياه كأنها رجع وسامة تبدو على هذا الرجل المكتمل الصفات الذي خسره رفاقه، وتراه الآن يبحث عنهم.

ميراندا : يخيل لي انه من زمرة الآلهة وليس لروعته في الكون من مثيل. برومبارو (على حدة) : ارى كل شيء يتطور كما تحدثني به نفسي. فيا ايها الروح، بل يا روعي النبيه، سأطلق سراحك عما قريب.

فردينان : لا ريب في ان الآلهة التي ترافقها هذه الكتابة ستبقي بما اذا كنت ستمكث في الجزيرة حتى أحظى من نعمها ببعض انوار تهديني سواء السبيل. لكن اول رجاء لي وسيكون الاخير، هو الوثوق من كونك فتاة.

ميراندا : كن على يقين بأنني لست من العجائب، بل انا فتاة طبيعية. فردينان : لعمرى، انت تتكلمين لغتي التي نطق بها آبائي وأجدادي وكم أود ان احيا حيث هي رائجة.

برومبارو : أأنت تتحدثين هكذا؟ وأنى لك ذلك؟ ومن تكونين أتمنى ان يسمعك ملك نابولي.

فردينان : لن اكون غير ذاتي، أجل وأنا في غاية الدهشة لورود ذكر ملك نابولي على لسانك. فهو الان من عالمه البعيد يسمعي، وهذا ما يستدرّ دموعي لاني انا من مدينة نابولي، وقد شاهدت بأمر عيني ابي الملك يفرق. ومنذ ذلك الحين لم يهدأ لي بال.

ميراندا : الرحمة، الرحمة!

فردينان : أجل، امام ناظري، ابتلعت الامواج مع بعض نبلاء حاشيته وبينهم دوق ميلانو وابنه الشجاع.

برومبارو (على حدة) : دوق ميلانو وابنه الشجاع لديهما الخير اليقين بما جرى. ولكن صبرا. انهما من الوهلة الاولى تبادلوا النظرات. وأنت يا خادمي الامين اريال، لن تلبث ان تغدو حرا. (لفردينان) كفى يا سيدي. اخشى الان ان تكون قيدت نفسك بهذا التصريح الخطير.

ميراندا : لماذا يتكلم ابي بهذه اللهجة؟ ان الرجل الثالث الذي ابصرته، هو اول من ولد الحسرة في صدري. ليت ابي يكن له بعض العطف.

فردينان : آه! لو كنت عذراء وحرّة في مودتك واختيارك لجعلت منك ملكة نابولي.

بروسبارو : هذا رائع يا سيدي. اسمح لي بكلمة. انا ألاحظ ان بعض الناس مدينون للبعض الآخر. لكنني أعارض هذا الشعور خشية ان يعتبر فوزي الوشيك نصرا زهيدا. انت تتحلل اسما لا حق لك فيه، وقد تسللت الى هذه الجزيرة كالجاسوس لتختلسها مني انا سيدها المطلق بدون منازع.

فردينان : كلا، لن أقدم على هذا الظلم ما دمت انسانا لا أبتغي غير الحق. ميراندا : لا مجال للشر ان يتسرب الى هذا الهيكل المقدس. ولو كان لإبليس مقاما رفيعا لكانت استقطبته جميع فضائل الارض والسماء.

بروسبارو : اتبعني، وكف عن الكلام الهراء، لان المذكور خائن مارق. تعال لأقيد رجليك الى عنقك وأجعل ماء البحر شرابك الوحيد وقوتك اليومي أصداف السواقي وجذور الشمنندر والقشور الجافة. هيا اتبعني.

فردينان : كلا، انا أرفض معاملة منحرفة كهذه تجعل خصمي أقوى مني.

(يستل سيفه ويظل واجما كأنه تحت تأثير سحر رهيب)
ميراندا : سامحه يا ابي. انه لطيف، وغير مشاكس.

بروسبارو : ها ان سلاحي يلقنك درسا قاسيا. فاستل اذا سيفك. تبأ لك من خائن! انت لا تجرؤ على الهجوم لان ضميرك يوبخك على فظاظة جرمك. هيا اتخذ قرارك النهائي، لاني مستعد في هذه اللحظة ان أؤدبك بعد ان أجردك من سلاحك.

ميراندا : أبتاه! أتوسل اليك.

بروسبارو : تراجعني ولا تشبثي بردائي.

ميراندا : العفو يا سيدي. انا أتكفل به.

بروسبارو : الافضل لك ان تصمتي. واذا فهِت بكلمة اخرى سأغضب وأكرهك وقد أشتكك. كيف تدافعين عن هذا المجرم اللعين؟ تبصري في الامر. هل تظنين انه فريد عصره وانك لم تري له مثيلا. ان كليان ولد غبي بالنسبة الى سائر الناس، وهو ليس سوى شيطان بينما هم ملائكة اذا قارنتهم به.

ميراندا : اين عطفي وحناني؟ اين انسانيتي؟ هل اضحت كل مشاعري وضیعة في نظرك؟ وأنا لم يعد لي من امل في رؤية رجل مكتمل الصفات والمواهب؟ بروسبارو : تعالي، وطاوعيني. ان أعصابك امست نظير طفل ولدته امه في هذه اللحظة، لا حول له ولا قوة.

لفردينان : فعلا، عجز ذهني عن الادراك كأنني في غيبوبة، وفقدني والذي هو اكبر مصائبی، ما عدا غرق جميع اصحابي. اما تهديدات هذا الرجل الذي يسيطر على ارادتي فليست بالامر المستهان. فاذا قُيُضَ الله لي يوما ان أغادر السجن لأشاهد هذه الصبية فسأسعى الى العيش بحرية في غير هذا المكان، ما دام الكون الواسع اصبح ملك يدي على اثر خلاصي من سجنی الضيق.

بروسبارو : حيّاك الله على هذا الموقف البطولي. (لفردينان) هيا تعال يا عزيزي. اما انت يا اريال فقد تجاوزت حدود امكاناتك. (لفردينان) اتبعني. (لآريال) : اصغر جيذا الى ما اقله لك.

ميراندا : ستكون حرا كرياح الجبال. انما عليك اولا ان تتصرف حيالي تماما كما أشرت عليك.

اريال : سأطبق تعليماتك حرفيا.

بروسبارو : هيا اتبعني. (لميراندا) : لا اريد ان اسمع منك كلمة واحدة بعد الان.

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في ناحية اخرى من الجزيرة

(الملك ألونزو وغزالو وأندريان وفرنيسكو وميسيتان وأنطونيو)

غزالو : مولاي، أستحلفك برب السماء ان تبتسم. فأنت مدعو نظيرنا جميعا الى الابتهاج في هذه الساعة بخلاصنا. وبسبب ما اعترانا من كوارث أرى ان الطوارئ التي آلمتنا ليست غريبة عما يجري في هذا العالم كل يوم. فكل زوجة ملاح، وكل صاحب سفينة، وكل تاجر مسافر، جميعهم لا مناص لهم من مثل هذه المفاجآت المزعجة. اما بخصوص معجزة نجائنا فقليلون من ملايين البشر يستطيعون ان يصرحوا بما نعلنه نحن على رؤوس الاشهاد. فتأمل يا مولاي بما تقتضيه الحكمة منا وما يفرضه علينا حرج موقفنا من استنهاض عزائمنا.

ألونزو : ارجوك ان تلزم الهدوء.

ميسيتان : انه يتلقى توجيهنا كأنه السم في الدسم.

أنطونيو : هو كالمتكلم الحريص لا يدع حقيقته تظهر بسهولة للعيان.

ميسيتان : ها هو يستجمع قواه بفكاهته وتهكمه كأنه يملأ نابض الساعة ولن يلبث ان يقرع ناقوس الخطر.

غزالو : مولاي.

سيستيان : هل تلومه على ذلك؟
غنزالو : ما دام قد قاسى الاهوال يكون معنورا نوعا ما. وبالتالي، علينا ان نقابله بالتسامح واللين.
سيستيان : أجل، لا بد من ان يكون هناك بعض التساهل والتسامح من قبلنا.
غنزالو : هذا ما أنوي عمله، وهو عين الصواب.
سيستيان : انت تضيفي على كلامي تقديرا اكثر مما يستحق.
غنزالو : لذلك، يا مليكي...
انطونيو : تباً للسانه الزلق.
آلفونزو : ارجوك ان تقف عند هذا الحد.
غنزالو : لن افوه بعد الان بينت شفة. انما...
سيستيان : اراه لا يقوى على صيانة لسانه من الشرثرة.
انطونيو : ان شئت ان تراهن على احدهما، قل لي أيهما، هو أم أدريان، سيصبح حتما كالديك : كوكو ريكو ؟
سيستيان : الديك العجوز.
انطونيو : بل الغر الاحمق.
سيستيان : هل تعتبر الرهان قائما؟
انطونيو : هذه مهزلة.
سيستيان : ضع يدك في يدي.
أدريان : كم تبدو هذه الجزيرة مقفرة!
انطونيو : هه، هه، ها.
سيستيان : لقد وصلك حقلك.
أدريان : بما انها غير مسكونة فهي اذاً غير صالحة.
سيستيان : الا اذا...
أدريان : ماذا؟
انطونيو : الامر بديهي.
أدريان : لا ننسَ ان جواً من الصفاء، يشوبه بعض الازعاج، يسود الوضع الحالي.

انطونيو : الصفاء الذي لا سبيل الى تعكيره.
سيستيان : تبقى المشاكل، اذا صدقنا الدلائل الموسمية.
أدريان : ما أرق هذا النسيم الذي ينساب الينا بنعومة!
سيستيان : لا سيما الى رثيہ التنتين.
انطونيو : وهو يهبّ رأساً من جهة المستنقع.
غزالو : من هنا يصدر كل ما يزدهي به الوجود.
انطونيو : طبعاً ما عدا اسباب الحياة.
سيستيان : يا للسخافة!
غزالو : انظروا الى العشب كيف اخشوشن مع انه كئيف وطري، وشديد
الاخضرار.
انطونيو : أما التراب فهو بالحري قائم.
سيستيان : بل اراه مائلا الى الاخضرار.
انطونيو : ما أحدّ بصره!
سيستيان : لكنه يرى الاشياء معكوسة.
غزالو : هذا بسيط يكاد لا يصدقه احد.
سيستيان : نظير كل ما هو بسيط في هذا العالم الغريب العجيب.
غزالو : ملابسك التي بللتها مياه البحر منذ هنيهة، لا تزال تحافظ على زهوها
ونضارتها كأنها جديدة لم تلطخها البقع.
انطونيو : لو تمكن المال المالىء جيبه ان ينطق، لما استطاع ان ينمق الحديث
على هواه؟
سيستيان : أجل، وهو يخشى ان يطوي هذه الزركشات ويخبئها في مكان
امين.
غزالو : وثيانا تبدو هكذا زاهية كما ارتدينها اول مرة في افريقيا يوم زفاف
كلاريال ابنة الملك الى عاهل تونس.
سيستيان : زفاف موفق ساعدنا على الرجوع مطمئنين.
أدريان : لم يتسن لتونس ان تتباهى بملكة فريدة المثال نظيرها.
غزالو : على كل حال ليست مثل ديدون.

انطونيو : تقول من؟ ومنذ متى؟ ان ديدون هي حقا لا شبيه لها.
سيستيان : نعم، ديدون ابنة « ايني ».
أدريان : تتكلمون عن ديدون؟ هي من قرطاجة لا من تونس.
غزالو : ان تونس، يا سيدي، هي ذاتها قرطاجة.
أدريان : تقول قرطاجة؟
غزالو : نعم، أؤكد لك انها من قرطاجة.
انطونيو : هذا كلام وقعه أجمل من أنغام الآلات الرخيمة.
سيستيان : ها هي الحواجز والمسكن ترتفع.
انطونيو : لست ادري كيف اصبحت العربات تسلك طرقاتها في الوقت الحاضر.
سيستيان : هو ينوي الاستيلاء على هذه الجزيرة كي يقدمها هدية لابنه بعد ان يحولها الى تفاحة.
انطونيو : ثم يلقى بذورها في البحر لتنبئ مجموعة من الجزر الجديدة.
غزالو : مولاي، ما هذا الكلام؟
انطونيو : عافاك الله.
غزالو : كنا نقول ان ثيابنا زاهية اكثر مما كانت عليه اثناء وجودنا في تونس للاشتراك في عرس ابنتك الملكة المتربعة حاليا على العرش.
انطونيو : لم تحظَ هذه المدينة ابدا بملكة نظيرها.
سيستيان : ما باللك نسيت ديدون؟
انطونيو : نعم، هذه الباسلة ديدون، قد اثبتت جدارتها.
غزالو : ألا ترى يا مولاي، ان حلتي الارجوانية أبهى الان من يوم ارتدائي اياها سابقا؟ ارجوك ان تتفحصها جيدا.
انطونيو : الاولى ان تتفحصها داخل الماء.
غزالو : كيف ارتديتها في حفلة قران ابنتك؟
آلونزو : انت تملأ سمعي بكثير من الترهات التي يمجها الذوق السليم. فبعد زواج ابنتي هناك، واختفاء ولدي في طريق العودة، لم تقلّ محبتهم في أعماق قوايدي بالرغم من بعدهما عني، يخيل اليّ اني لن اراهما ثانية. لهفي على

وريت حكمي في نابولي وفي ميلانو. تُرى، أي حوت جشع ابتلعه؟
فرنسيسكو : مولاي، لا تيأس، قلبي يحدثني بأنه حي. لقد رأيته يغالب زبد
البحر ويركب موجة. ومن خلال طبقات اللجة كان يتغلغل ويتحاشى الاصطدام
بالأمواج الهوجاء. ثم رأيته يجذف بعزم ويتقدم نحو الشاطئ حيث تهدأ
حركة البحر كأنه يشفق عليه ويود اسعافه ونجدته. وأنا واثق بأنه بلغ الارض
الآمنة.

آلونزو : لا، لا، لقد هلك بدون شك.

سيستيان : انت مهتد يا مولاي لهذه الخسارة الفادحة اذ رضيت بابتعاد
ابنتك عنك حين لم ترقها الى شخصية من اوروبا بل فضلت ان تهيبا عريسا
افريقياً. فسعدت هي في مهجرها، وتضاعف حزنك من جراء بعدها عن
انظارك.

آلونزو : لا داعي الى شغل البال.

سيستيان : لقد رجوناك كلنا بالراح ان لا تقدم على ذلك. وابنتك ذاتها لم
تدر ان كان عليها ان تمرد او ان تخضع عند صدور قرارك. فميلانو ونابولي
تضمان ارامل عديدات من جراء هذه التصرفات. لذا لم تتوصل الى تعزية أي
انسان حيال تقصير انت وحدك مسييه.

آلونزو : بل قل كارثة جسيمة وخسارة فادحة.

غزالو : مولاي سيستيان، الحقيقة التي تشير اليها ضاعت بين اللين الزائد
وقلة الحزم. ولا سبيل الى استدراكها الان خشية ان تنكأ الجراح بدل ان
تضمدها.

سيستيان : كلامك بليغ.

انطونيو : صادر عن خبرة وحنكة.

غزالو : الحزن يجمش على صدورنا حالما تكتنف نفسك غيمة سوداء.

سيستيان : أشعر الان بيرد قارس.

انطونيو : اظن ذلك رعشة مباغتة.

غزالو : ما قولك يا مولاي بزراعة ننشها في هذه الجزيرة؟

انطونيو : كزراعة القمح مثلاً.

سيستانيان : او الخضروات او الفواكه.

غنزالو : لو كنت انا الملك، لما ترددت لحظة في الاقدام على أي عمل.
سيستانيان : هناك نقص في الخمرة منذ زمن بعيد.

غنزالو : في دولتي أتوعد عند اصدار قراراتي، ولا من سامع. فصممت على أن ألغي هيئة القضاء وأجعل الادب مجهولا وأكافح الفقر والغنى معا وجميع الخدمات والمعقود والوراثات والقسمات والاسيجة واستغلال الاراضي والكرمة ولا أبيع استثمارا على الاطلاق، سواء في استعمال المعادن والحبوب والمشروبات والزيت. لا عمل، بل عطلة دائمة لجميع الرجال والنساء، للباحثين كما للفاسدين، ولا سلطة لاحد على سواه.

سيستانيان : وما هي صلاحيات الحاكم بصفته ملكا؟

انطونيو : ليتك تعلم كم من ذنب في الدولة ينسى ان له رأسا يدير شؤونه!
غنزالو : وأن الطبيعة الخيرة المشتركة تنتج كل ما يلزم بدون جهد ولا عناء ولا مئة. فلا يبقى من مجال لخيانة او انحطاط او كسل، ولا للجوء الى رمح او سيف او ترس او سكين او سلاح ناري او غيره، اذ تغدو كلها لاغية، لان الطبيعة ذاتها تنتج محاصيلها وفواكهها بوفرة لتغذي الشعب المسالم.

سيستانيان : ولا زواج بين رعاياها.

انطونيو : تقول ان الجميع يمسون بلا عمل، فستؤدي البطالة الى اللصوصية والدعارة والاجرام.

غنزالو : عندئذ أحكم، يا مولاي، بالعدل فيتمتع الجميع بعهد ذهبي و...

سيستانيان : ليحيا جلالة الملك المعظم.

انطونيو : والمجد لغنزالو البطل.

غنزالو : هل تسمعي يا مولاي؟

آلونزو : ارجوك ان تكف عن تلميحك الذي ليس له عندي أي معنى.

غنزالو : انا موافق على رأي جلالتك، وكنت مزعما ان أقدم بعض الاقتراحات لهؤلاء السادة الذين يشكون من سوء تأويل رواياتهم في كل موضوع ولا يدرون كيف يقهقهون.

انطونيو : تصرفاتك مضحكة.

غزالو : ومن منا لا يميل الى التهريج؟ يمكنكم ان تسترسلوا في الضحك بدون سبب ولا مبرر.

انطونيو : ما هذا الاستنتاج الهزلي؟

سيسيتيان : من المؤسف ان لا يكون في محله.

غزالو : كلاكما وجهان من طينة واحدة، وتريدان الوصول الى القمر لانتزاعه من دائرته، ان بقي في وضعه مدة خمسة أسابيع.

(يظهر اريال وهو يحزف لحنا شائما)

سيسيتيان : وفي الليلة الليلاء يفقد البدر.

انطونيو : لا تغضب يا مولاي.

غزالو : وأنت لا تخف. فلن أفقد رزاتي لسبب طفيف كهذا. فهات نكتة لطيفة تساعدني على النوم لاني اشعر ببعض التعب.

انطونيو : نم اذاً، وستقابل فيما بعد.

(يرقد الجميع ما عدا آلونزو وسيسيتيان وانطونيو)

آلونزو : ماذا ارى؟ ها قد رقد الجميع بسرعة. كم أود ان يغمض لي جفن لهدأ افكاري اذ اشعر الان بأن قواي تخور.

سيسيتيان : لقد استعجلت يا مولاي برفض هذا الالتماس الملح الذي نادرا ما يخفف الاحزان، ما دامت في حال معالجتها تزول حتما.

انطونيو : ثق يا مولاي بأننا كلينا نضحى بأرواحنا فداء شخصك المبتجل. فخذ قسطك من الراحة ودعنا نسهر على سلامتك الغالية.

آلونزو : اشكركم على غيرتكم ومحبتكم. هذا امر لا يصدق.

(ينام ويغيب اريال)

سيسيتيان : ما اغرب هذا الاستسلام الذي يسيطر الان عليه!

انطونيو : سيبه الرئيسي تقلب المناخ.

سيسيتيان : لماذا لا يعرف النوم سبيلا الى عيوني؟ فأنا لا أحس بأية بوادر نعاس.

انطونيو : وأنا أيضاً لا ازال مستيقظا. ها هم جميعا قد غاصوا في بحر الكرى كأنهم شخص واحد، ويغطون في سبات عميق كأن الصاعقة انقضت عليهم

وتركتهم بلا حراك. ما هذه الفكرة يا سيستيان النبيل؟ ما هذه الفكرة الغريبة؟ علينا ان نقصيها عنا. مع اني ارى على محياك ما تنوي تحقيقه. فالفرصة سانحة وقلبي ينبضي بأن تاجا سيهبط ويكلل رأسك بالعز والسودد.

سيسيستان : هل انت في يقظة ام في حلم؟

انطونيو : ألا تسمعنني أنكلم يا سيدي؟

سيسيستان : أجل، اني اسمعك. انما كلماتك غافية، وما تتلفظ به ناجم عن رقادك. ماذا قلت ايضا؟ حقا النوم راحة عجيبة لا سيما عندما تكون العيون مفتوحة فيتحرك المرء ويتحدث ويتنصب على قدميه ويمشي بينما هو مع ذلك غائص في لجة النوم.

انطونيو : أيها النبيل سيسيستان، أنت تدع حظك يرقد، بل بالحري يموت، لأنك تغمض جفنيك حتى في رابعة النهار.

سيسيستان : انا اسمعك بوضوح تشخر، وأفهم معنى ضيق تنفسك.

انطونيو : اني رصين ومتحفظ اكثر مما عودتك عليه. وأنت كذلك، اذا صدقتني. وهذا ما يثير فيك القلق والاضطراب.

سيسيستان : انا؟ انا الذي اشبه البحر الهادىء؟

انطونيو : سأعلمك كيف تتصرف.

سيسيستان : حاول جهدك. فعند توقف الموج قلما تهتز السفن.

انطونيو : كم يسيطر الطموح على طبعك حتى عندما تود التوصل منه. ولو دريت كم هو متأصل في أعماقك، مع انك تظن العكس، لاقتنعت بأن الرجل الهادىء غالبا ما يثبت أقدامه في القعر اما عن خوف غامض او عن خمول مزمن.

سيسيستان : ارجوك ان توضح كلامك. ان خدك وعينيك في هذه اللحظة تنطق بما ينطوي عليه عنصرك الطيب، وما تنوي الاقدام عليه بجهد وصعوبة.

انطونيو : هاك يا سيدي، هذا الوجه المضطرب الحواس الذي يتوارى ذكره في بحر النسيان حالما يغدو تحت التراب، ويحاول ان يقنع الملك، الذي تتجسد القناعة في شخصه، بأن ولده لا يزال حيا يرزق، وأن شواهد عديدة

تدل على انه لم يغرق. فما قيمة كلام هذا النائم الذي يسرح امامنا في دنيا الاحلام المبهمة؟

سيستيان : انا لا أمل لي بخروجه حيا من تحت الامواج.
انطونيو : لماذا تقطع هكذا الرجاء؟ ان لم يكن هناك بصيص أمل من هذه الناحية فهناك من الناحية المقابلة، امل كبير يتبلور ويخلق مجالا فسيحا لرجاء غير محدود. ولكن حين لا تلوح اية بارقة افتراض ممكن هل تقتنع معي بأن فردنان قد قضى نحبه غرقا؟

سيستيان : لا مجال للشك في انه مفقود.
انطونيو : ومن تظن ان يكون بعده وريث الحكم في نابولي؟
سيستيان : كلاريل.

انطونيو : ملكة تونس التي تقيم على بعد عشرات الفراسخ من ديارنا، هي التي لا يتسنى لها الوقوف على أنباء نابولي الا ان الشمس تسطع اولاً. ويليها القمر متأخراً، وان لحى اطفالنا نبئت وحان زمن حلاقتها، هي التي حالما رحلت عنا كدنا جميعنا نذهب ضحية البحر الذي اوشك ان يبتلعنا، ثم بصق عددا ضئيلا منا، كأن مصيرنا متوقف على عمل بنى الماضي مقدمته، اما خاتمتها فأنا وأنت وحدنا نقرر شكلها وتوقيتها.

سيستيان : ما هذا الهراء المعقد الغامض؟ ماذا تقول؟ أجل ان ابنة شقيقي هي ملكة تونس وهي في الوقت ذاته وريثة الحكم في نابولي بالرغم من وجود مسافات شاسعة تفصل بين هذه الاصقاع.

انطونيو : مسافات فيها كل شبر من الارض يقفه الان متكهما. هل يمكن ان تجيء كلاريل الى نابولي لتزاحمنا. فلتبق في تونس. وأنت يا سيستيان أفق من سباتك. اني اسألك ذلك حتى، ان كان الموت قد اختطفه، لا يكون وضعه اكثر ازعاجا مما هو عليه الان. انا اعرف من الذي سيحكم نابولي ممن يغطون في النوم أمانا هائلا. هم لا يعرفون غير التبيُّح بلهجة بليدة سقيمة، أولهم غزالو، الذي يحاكي اليوم في نعيه. ليتك تفكر مثلي. فهذا النوم وأي اغفاء لا يكون الا في صالح بروتوك وازدهارك. هل تسمعي ؟
سيستيان : أظن.

انطونيو : وبأي وجه تقابل الحظ السعيد الذي ينتظرك؟
سيستيان : انا لا ازال أتذكر انك فيما مضى قد اقتلعت بروسبارو لتحل مكانه.

انطونيو : هذا صحيح، ألا انظر الى هذه الملابس كم تليق بي. وهي زاهية الالوان اكثر مما كانت عليه في الماضي، يوم كان أعوان اخي رفاقي فأصبحوا اليوم رجالي.

سيستيان : ولكن اين ضميرك؟

انطونيو : حيث يتربع الدوق على سدة الحكم. لو كان في رجلي دمل لأوجعني. غير ان ارادتي تطغي على شعوري. ولو قام الف ضمير بيني وبين حكم نابولي لذابت جميعها كما يذوب السكر في الماء. هنا يرقد اخوك وليس نصيبه اكثر من الارض التي يتمدد عليها. واذا افترضنا انه لم يمت بعكس ما تدل عليه الظواهر، لكفاه مقدار ثلاثة اصابع حادة لجعله يرقد الى الابد. وأنت لا سواك، بمثل هذه البادرة تستطيع ان تغمض عينيه نهائيا. ولن يكون التحفظ بجانبا ليوبخنا، وسيهضم الآخرون هذا الحدث كما يلغ الهر الحليب. وسيضطون ساعاتهم على التوقيت الذي نحدده نحن لهم.

سيستيان : دع تنفيذك يا صديقي يتقدم على سابقتي. وفيما انت تستعيد ميلانو أغتنم انا الفرصة للاستيلاء على نابولي. فاستل سيفك، وبطعنة واحدة تتخلص من الجزية التي تدفعها. ومتى اصبحت ملكا تثبت لك مودتي الى الابد.

انطونيو : ليستل كل منا سيفه اذاً.

(يستلان سيفهما)

وعندما أومى اليك يدي ستضرب في اللحظة ذاتها بسيفك البتار عنق غزالو.
سيستيان : لدي كلمة اخيرة.

(يتحدثان بصوت خافت. تسمع أنغام موسيقية)

(يظهر أربال بدون ان يراه الآخرون)

اربال : لقد توقّع سيدي بحنكته ما يتهددني من الاخطار. فبادر صديقه حالا

الى ايفادي لأنقذ حياته. وإلا، آل مشروعه الى الفشل.

(ينشد في أذن غزالو)

بينما انت تغطّ هنا في النوم
مؤامرة خفية يحكيها لك القوم
هي الان جاهزة للقضاء عليك
فان خشيت فقد أصغريك
كفك رقاد واحذر خصميك
وقم اليهما واطرد النوم من عينيك

انطونيو : هيا أجهز عليه.

غزالو (يستيقظ) : الملائكة الساهرون انقذوا حياة الملك. فماذا جرى هنا؟
هلموا استيقظوا ايها الراقدون.

آلونزو (يستيقظ) : لماذا هذه السيوف مستلة؟ وهذه العيون جاحظة؟ ماذا
يدور هنا؟

سيمستيان : نحن ساهرون على راحتك وسلامتك، سمعنا صخباً مروعا كأن
نيرانا او أسودا تكرر واثبة. وأعتقد ان هذا ما أيقظك، لأن اذني لا تزال ترتعش
من الهلع.

آلونزو : انا لم اسمع شيئا.

انطونيو : هذه الضجة تصمّ آذان العقاريت وتزلزل الارض كأنها زمجرة سرب
هائل من الوحوش الضارية.

آلونزو : هل سمعت يا غزالو؟

غزالو : والله، يا مولاي، سمعت اصواتا غريبة. وأعترف بأنها ايقظتني من
قيلولتي فهزرتك، وأفلتت مني صيحة، ثم قمت عيني لأرى سيفيهما
المجردين امامنا. حدوث الضجة امر واقعي لا سبيل الى نكرانه. والأولى بنا
الان ان نظل على حذر او نترك هذه المنطقة. على كل حال علينا ان نستلّ
سيفينا.

آلونزو : لنغادر هذا المكان، ولنمض للبحث عن ولدي المسكين.

غزالو : حفظه الله من كل أذى، ولا سيما من الضواري، لاني واثق بأنه لا يزال في الجزيرة.

ألونزو : اخرج انت اولاً. (يخرجان).

ارياي : سأعلم سيدي بروسبارو بما فعلت. وأنت يا صاحب الجلالة إبحث عن ابنك، لان الخطر قد زال. (يغيب).

المشهد الثاني

في ناحية أخرى من الجزيرة

(يدخل كليان وعلى ظهره حمل من الحطب. يسمع صف الرعد)

كليان : لتقذف العفاريث رأس بروسبارو بكل الاقدار والأحوال، وليفسخ التئيب كل شبر من بدنه. ومع ان الارواح تسمعنني، لا بد لي من استمطار اللعنات عليه، فهي لن تعارضني ولن تفرعنني بما تسلطه علي من الجن ولا بما تصبه علي من المياه الآسنة، ولن تستدرجنني الى الفخ كالثعلب في الليل، الى داخل قن الدجاج مهما كانت الاغراءات مشوقة. لقد اطلقت ورائي القروود الناقمة لتعضني، والقنافذ المتدحرجة عند قدمي وأنا امشي حافيا لتغرز في مسلاتها الموجعة، والافاعي لتلدغني بأنيابها السامة ويتسبب لي فحيحها المرعب بالجنون المطبق.

(يدخل ترنكولو)

من يا ترى قادم الى هنا؟ أهو الروح ليعذبني لاني تأخرت في جلب الحطب؟ فلا تبطح ارضا عساه لا يصبرني.

ترنكولو : ليس من شجيرات هنا لأحتمي بها. ها قد عادت العاصفة الى الهبوب. وأنا أسمع زمجرتها تصم الآذان. وها هي الغيوم الدكناء تغطي أديم السماء. من هو هذا الخيال؟ أهو شبح العاصفة الذي يتهددني؟ ان عاود الكرة

في القصف، لست أدري الى اين يمكنني ان أجد. انا أعرف ان أطار هذه السحب ستهال عليّ كالقرب. ولكن، ما هذا؟ أهو رجل ام حوت؟ أهو حي ام ميت؟ ان رائحة الحوت الكريهة كرائحة السمك تزكم الأنوف، وقد انتشرت في كل مكان بشكل مريب. لو كنت في ما وراء بحر المانش كما في الماضي، وأخذت لهذا السمك رسماً لن يبقى أحد من سكان الأرض لا يمد له يد المعونة بقطعة من الفضة على سبيل الاحسان. هناك الغول، يبدو كأنه انسان، وأقل ظاهرة تجعل منه بكل تأكيد سيداً محترماً، لا يذل درهما لمساعدة كسبح، لكنه يتصدق بعشرة دراهم لمشاهدة هندي ميت. هو منتصب القامة كمارد رهيب، زعانفه تعمل كأذرع الاخطبوط. لعمري هو دافئ الجسم. اذاً هناك التباس وأنا ارى من الانسب ان أغير تشخيصي، لانه ليس من السمك. ولا بد من ان يكون احد سكان الجزيرة، وقد أصابته الصاعقة. يا للمصيبة، ها هي العاصفة تعود، فما عليّ الا ان أختبئ تحت معطفه، اذ لا ارى أمامي ملاذاً سواه. وكم يضطر المرء ان يندس في فراش رفيق غريب الاطوار للاحتماء به عند اللزوم. سأملك في ملجأ الى ان تهدأ العاصفة وينقطع سيل زخاتها.

(يدخل ستيفانو وهو ينشد، وفي يده قينة)

استيفانو : لن أذهب بعد الان الى عرض البحر، وسأنتظر الموت على الشاطئ طوعاً. وأثناء مرافقتي اي رجل الى مثواه الاخير، أسمع نشيداً لم يخطر ببال بشر. وهكذا تتشدد عزيمتي.

(ينشد)

كاترين تطل من الطاقة وجانيتون في ضياء القمر
ووردة وناديا ومرغريت جدائلهن تضفر
وأنا مع الربان والقائد والمدفعي المنتظر
نستغني عن مرثا المحتملة المحلولة الجديله
فيأتي الملاح ليفرغ الماء من المركب ويزيله
لان طعم القار في فمه، النوق يمجّه
ويكاد يخنقه سماله المضني ويزجّه

في قعر اليم حيث لا خلاص ولا محبة
هذا الشراب لا غنى لي عنه ابدا لانه يقوي عزمي.

(يشرب)

كليان : لا تعذبي.

استيفانو : ما هذا؟ هل توجد هنا شياطين؟ أعتقد بأنك لن تقوم حيالنا بدور الرجل الشرس وتخلق لنا المشاكل والصعاب. هل اكون نجوت من الفرق لأفزع الان من قوائمك الاربعة. فأنا لي أيضاً كما يقال اربعة أرجل ثابتة على الارض، ولن أكنتم ذلك عنك ما دام استيفانو مطلعاً عليه.

كليان : الروح يعذبني.

استيفانو : هذا هو غول الجزيرة ذو القوائم الاربعة، تعاوده الحمى على ما أظن مرة كل اربعة ايام. فأين يا ترى تعلم النطق مثلنا؟ سأسعه لمجرد بروز هذه الظاهرة، وان تمكنت من ابرائه وتدجينه والرجوع به الى نابولي سيكون أفخم هدية تقدم لامبراطور يتعل جلد البقر.

كليان : بربك، لا تعذبي. سأدخل الحطب فوراً.

استيفانو : لقد عاودته التوبة، وها هو يهدي. سيحاول أن يشرب من قنيتي، واذا توصلت الى ابرائه وتقويمه، فلن اطلب المزيد. وللحصول على ذلك، عليّ ان ادفع الثمن.

كليان : انت لم تسب لي أي ضرر حتى الان. وأنا لا ازال ارى جيداً. انك تقاوم الرعدة لان بروسبارو يحوم حوايك.

استيفانو : هيا اقرب مني اكثر فأكثر. إفتح فمك لأسكب فيه ما يحل عقدة لسانك يا هرّي الصغير. ستعريك رجفة، ولدى ارتعاشك ارجو ان تعلمني بشعورك. اذ ذاك لن تعرف اصدقاءك. هيا افتح شديك وتكلم.

تورنكولو : يخيّل لي اني أعرف هذا الصوت. ما هو إلا... ولكنه مات غرقاً. النجدة، النجدة! ايها الأبالسة، لا تعذيني.

استيفانو : اربعة أفخاذ وصوتان. تباً لك من غول مخيف، بصوتك الباطن لا يسمعك الا ان تتكلم عن اصدقائك بالحسنى، وبصوتك الجمهوري ستلفظ حتماً بنذالات حقيرة. وهذا طبعاً ناجم عن مفعول الخمرة. لا أشك بأنك

ستشرب قنيتي بكاملها، غير اني مصمم على ابرائك من الحمى التي تتناكب.
خذ هذه جرعة اخرى وينقضي الامر. انما عليّ ان أصب من هذه الخمرة في
فمك الثاني.

ترنكولو : يا استيفانو.

استيفانو : هل لسانك الثاني يناديني ؟ يا إلهي انه ليس غولا بل شيطانا
رهيبا. وأنا لا اريد ان أدنو منه بعد الان لان ليس لديّ ملعقة طويلة المقبض
لأسقيه بها.

ترنكولو : استيفانو، يا استيفانو. أهذا انت؟ اقرب مني، كلمني. انا ترنكولو،
لا تخف مني. انا صديقك الودود ترنكولو.

استيفانو : اذا كنت انت ترنكولو، فابتعد عني حالا، وإلا سحبتك من رجلك
الصغيرتين. وان كانت الرجلان تخصّان ترنكولو فهما حتما هاتان. لا مجال
للخطأ، انك انت بعينك ترنكولو. ومنذ متى يا بني رضيت ان تصبح ذنب مثل
هذا العجل المهبوس؟ هل هو الذي يقذف بأشباه ترنكولو الينا؟

ترنكولو : ظننت ان الصاعقة قتلته. ولكن، ألم تغرق يا استيفانو؟ ألمي ان لا
تكون قد غرقت. فالعاصفة مرت وانتهت، وأنا اختبأت تحت معطف هذا الثور
البيض، لأحتمي به من العاصفة. اذا أنت حي يا استيفانو، الذي أعتبرك بمثابة
اثنين من سكان نابولي الناجين من الفرق.

استيفانو : كلا. ارجوك ان لا تعدّني هكذا. لان معدتي ليست على ما يرام.
كليان : ما اروع هذا المخلوق! ان لم يكن روحا، فهو إله حقيقي، شرابه
رحيق سماوي، وأنا أريد ان اجثو امامه.

استيفانو : كيف نجوت ثانية؟ وكيف وصلت الى هنا؟ أقسم لي بهذه القنينة
وأخبرني كيف سعت للوصول الينا. انا اختبأت في برميل خمر رماه
الملاحون من اعلى السفينة. أجل، أقسم لك بهذه القنينة التي لففتها بقشرة
شجر بيدي حالما بلغت الشاطئ.

كليان : أقسم لك بهذه القنينة بأني سأكون من أتباعك الأمانة لان هذا
المشروب ليس من صنع الارض.

(يمد القنينة نحو ترنكولو)

استيفانو : هه!

ولكن كيف امكنك ان تنجو يا محتال؟ اقسم لي بأن تقول الحقيقة.
ترنكولو : لقد سبحت حتى الشاطئ مثل البط. بشرفي انا أصبح تماما كالبط
الأصيل.

استيفانو : هيا، قُبِل الكتاب المقدس واحلف.

(ترنكولو يشرب)

قد تسبح نظير البط. لكنك تصغر كالزمار.

ترنكولو : ألا يزال لديك من هذا الشراب، يا استيفانو؟

استيفانو : البرميل لا يزال مملوءا يا صاح، ومستودعي يقع الى جانب الماء.
وخمري مخبأ هناك. والآن كيف حال الحمى التي انتابتك ايها الثور
المهووس؟

كليان : ألم تهبط انت من السماء؟

استيفانو : الأصح، من القمر. أنا رجل القمر في أوقات فراغي.

كليان : لقد شاهدتك فوق، وأنا أحبك. وسيدتي علمتني ان أعرفك من
اصطحاب كليك وطريقة حمل حطبك.

استيفانو : أهذا صحيح؟ أقسم بالكتاب المقدس، سأذهب قريبا للتيقن من
المحتوى. هيا اقسم لي.

ترنكولو : بضوء النهار الذي ينير لنا. ما أغبى هذا الغول! أنا أخشاه؟ لا شك
في انه ليس سوى غول. أهنتك يا رجل القمر، ايها الغول المسكين الذي
يصدق كل ما يقال له. أهنتك ايها الغول السكير الغبي.

كليان : أود ان اريك في الجزيرة كل قطعة ارض صالحة، وأن أقبل قدمك.
فهل تريد ان تصبح معبودي؟

ترنكولو : انت نور حياتي، اراك قد صرت غولا مغفلا بلا غولا نشوان، حالما
يغطّ إلهك في النوم تشخر وتبادر الى تجرع قنيتك.

كليان : أقبل قدمك، وأتعهد لك بأن اصبح من أتباعك.

استيفانو : هيا اذًا اركع واقسم لي.

ترنكولو : لا، اني ارى هذا الغول برأس كلب وهو مزعم ان يجعلني أغرب

في الضحك. ما أفدح مصيبي بهذا الغول الذي لا أدري ماذا يعني عن ضربه.

استيفانو : هيا قُبِّل.

ترنكولو : لكن هذا الغول الشقي لم ينقطع عن الشرب. تباً له من غول بغيض!

كليان : سأقودك الى أصفى الينابيع، وسأقطف لك ألد الثمار، وأصطاد لك أطيب الاسماك وأجلب لك حزماً ضخمة من الحطب. ليقض الطاعون على الطاغية الذي اخذعه. لن احمل له حطباً بعد الان. سأتبعك انت وحدك ايها الرجل الكريم.

ترنكولو : هذا الغول سخيف حقاً. فهل بالامكان تحويله من سكير حقير الى مخلوق جليل.

كليان : دعني آخذك، ان شئت، الى حيث ينضج التفاح. ان اظفارك الطويلة تساعدني على التقاط الكستناء من الارض. وسأريك أعشاش المصافير النادرة وأدريك على نصب الأفخاخ للمسوخ المعتدية. وبصحبتك أذهب الى اشجار البندق الغزيرة النمو، فأقطف لك من ثمارها، والى الصخور حيث أكتشف لك اوكار الطيور البحرية، فهل تريد ان ترافقني؟

استيفانو : حسناً. ستأخذني اليها. فكفك خطباً. يا ترنكولو، بعد ان غرق الملك وحاشيته اصبحنا نحن ورثة هذه القطعة من الارض. (لكليان) هيا أمسك بقنيتي يا صديقي لنملأها بسرعة.

كليان (ينشد بصوت مخمور) : مساء الخير يا سيدي، مساء الخير، مساء الخير.

ترنكولو : الغول يشرب، الغول يجار.

كليان : لاصطياد السمك، انا لا احسب للسود أي حساب. فلا تتكل عليّ في جلب الحطب من الغاب لإشعال النار، ولا لخدمتك في البيت. انما لأجل تنظيف القدور والحيطان لا تتكل عليّ مطلقاً، بل فتش عن خادم مقيت يقوم بذلك. ولتحيا الحرية.

استيفانو : اغرب عن وجهي، ايها الغول البهلول.

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

امام كوخ بروسبارو

(فردينان يحمل خطبه)

فردينان : هناك ألعاب متعبة، انما الجهد الذي تتطلبه يوازي ما توفره من تسلية وتحتاج الى كثير من طول البال والبراعة للفوز فيها. اما هذا العمل المضني فيخيل اليّ انه مرهق بقدر ما هو كريه. والسيدة التي اخذتها لا تحجم عن رد الحياة الى من فقدتها، وتعتبر شغلي كأنه سخرة. هي خفيفة الظل حلوة المعشر. وما ضرّها ان كان والدها بغيضا غير جدير بالاحترام كما يبدو لي. عليّ ان انقل الف خطبة وأكّدها جميعها حسب اوامرها الصارمة. بينما هي، سيدتي اللطيفة، تنتخب حالما تبصرني وتعلن انها لم تجد في حياتها خادما نشيطا لمثل هذه المهمة الشاقة، فأنسى تعبي لان هذا الاعتبار يسهّل عليّ شغلي. وهي لا تكف عن تقدير جهدي كلما توقفت قليلا لأستريح.

(تدخل ميراندا وبروسبارو على مسافة منها دون ان تراه)

ميراندا : وا أسفاه! انا أتوسل اليك ان لا تجهد نفسك هكذا في العمل المرهق. كم تمنيت لو ان البرق أحرق هذه الاكوام من الحطب التي يتحتم عليك ان تنقلها. ارجوك ان تأخذ قسطا من الراحة كي تستعيد قواك. فلسوف ابكي نادمة في يوم من الايام تكفيرا عما سببته لك من المتاعب. ان والدي

غارق في مطالعته، فأستحلفك ان ترتاح، اذ لا يزال امامك لا أقل من ثلاث ساعات عمل.

فردينان : يا سيدتي العزيزة، ستغيب الشمس قبل أن أنهي شغلي الذي يجب عليّ أن أجتهد لإكماله في حينه.

ميراندا : إجلس اذًا، فأحمل أنا عنك هذه الحزمة من الحطب في هذه الأثناء. اعطني اياها ان شئت لأضعها في مكانها فوق الكومة.

فردينان : ابدا يا فتاتي الحلوة. أفضل ارهاق ذاتي وقصم ظهري على أن أراك تتجشمين مثل هذا العناء، وأنا لا آتي بأية حركة.

ميراندا : ان ما لا أجد فيه ازعاجاً يناسبني، وأقوم به بتعب أقل، لأنني أتممه بملء الرضى، وان كنت لا تحبذ فكرتي وخطتي.

بروسبارو : ها قد علقت أيها الصرصور المسكين، كما أستدل من زيارتك لي.

ميراندا : يبدو لي انك خائر القوى.

فردينان : كلا ايها السيدة النبيلة. هذا ناجم عن رطوبة الصباح. فالليل يطول عليّ عندما تكونين هنا. أؤكد لك أنني على الدوام لا أغفل عن ذكر اسمك الحبيب في صلواتي.

ميراندا : انا ميراندا، قد خالفت اوامرك يا ابي.

فردينان : انت ميراندا حبيبة الجميع. والجميع معجبون بشخصيتك الفريدة، ويساوون بيني وبينك في أخرج مواقف الحياة ويفضلونك على سائر الصبايا. ان نظري لا يفارقك. كم وكم طغت تمتعات عبوديتهم على سمعي المرهف. ان نساء عديدات لاقين الاحترام والاكرام نظرا لما يتحلّين به من الفضائل، ولكن ليست بينهن واحدة تستحق، بالنسبة الى ما يشوب تفوّقها من كبوات، ان تكون بمستوى الصفات الحميدة التي تميزها ولا تعيبها. غير انك امرأة رائعة قل مثيلك لأنك تنحدرين من أطهر الأسر.

ميراندا : انا لا اعرف من بنات جنسي، ولا أتذكر محيا امرأة سوى وجهي الذي أشاهده في المرأة. ولا يسعني أن أعتبر غيرك رجلا بكل معنى الكلمة. فأنت والدي العزيز وأنت صديقي الوحيد بين جميع الكائنات على وجه

الارض. لا أريد ان اعرف احدا سواك، مع ان تواضعي هو خير ما في من صفات، ولا ابغي رفيقا غيرك في هذه الدنيا، ولا أود ان أتخيل وجود رجل سواك ترتاح اليه نفسي. قد يكون كلامي هذا اقرب الى الهذيان ولكني لا أريد ان أعتقد أفكار غيرك يا ابي.

فردينان : انا في محيطي امير، يا ميراندا، بل ملك جليل، وأرباً بالقبول بأن يحتمل احد عبودية نقل هذا الحطاب. اصغني اليّ لتعرفي ما يجول بخاطري. فأنا منذ وقوع نظري عليك طار قلبي فرحا وأصبحت طوع بنانك لأخدمك وألزمك كظلك. وسأبقى اسيرك ورهن اشارتك، ولأجلك سأظل أنقل الحطاب بصبر وخضوع.

ميراندا : هل تحبني الى هذا الحد؟

فردينان : اشهدي على كلامي ايها السماء، وأنت ايضا ايها الارض! وكلّلي اعترافي بالسعادة التي لا أجرو على تمنيتها. وان بحث بهذه الحقيقة فلأن ذلك اقوى مني. وإلا تحولت بهجة ايامي الى شقاء أليم. أجل انا احبك وأحترمك الى أبعد الحدود، وأكثر من كل انسان على وجه الارض.

ميراندا : اكاد أحتق عندما اتدب حظي العيس.

بروسبارو : مصادفة سعيدة ان تلتقي مودتان نادران تحت سقف واحد. فلتمطر السماء نعمها على من يولد في ظلالهما.

فردينان : لماذا تبكين؟

ميراندا : انا ابكي سوء طالعي الذي لا يجود عليّ بما ارجو منحه او تلقّيه من هناء، وهذا ما يسبب لي الغم، ويدنيني من أجلي، لان الدهر يأبى الا معاندتي. لكنني مهما حاولت ان أموه على نفسي، فكل شيء واضح وسأصبح امرأتك اذا اردت ان تتزوجني. وإلا متّ وأنا في خدمتك. انت قادر على حرمانني من صحبتك، ولكنني سأظل وفية لك ما حييت شئت ام أبيت.

فردينان : يا سيدتي وحبيبتي، انا ايضا سأظل وفيا لك بكل تواضع الى الابد.

ميراندا : ستصبح اذا زوجي؟

فردينان : أجل، لان قلبي اسير هواك، وهو يفضل العبودية بقربك على الحرية بعيدا عن حنانك. فهناك يدي.

ميراندا : وما هي يدي مع قلبي ملك لك. والآن اسمع لي بالتغيب نصف ساعة من الزمن.
فردينان : الى اللقاء القريب اذًا، ومع الف سلامة.

(يخرج فردينان وميراندا منفردين)

بروسبارو : ان فرجهما يفوق ما اشعر به من سعادة. والمفاجأة بالنسبة اليهما لا أبهج منها. ولا شيء يسرني اكثر مما حصل. والآن اعود الى كتابي، ما دامت الامور تسير في طريقها الصحيح.
(يدخل الى كوخه)

المشهد الثاني

في ناحية اخرى من الجزيرة

(يدخل استيفانو وترنكولو وكليان)

استيفانو : لا لزوم الان للسفسطات. عندما تفرغ براميل الخمر، لن تشرب غير الماء. و بانتظار ذلك، لا مجال لتناول نقطة واحدة. فدع المسائل تسير في مجراها الطبيعي. فكّر في المستجذات، وإلا ستشرب نخبي يا غول الخدمة.
ترنكولو : يا غول خدمتنا، يا ثعلب هذه المنطقة، لا يوجد في هذه الجزيرة على ما يظهر سوى خمسة سكان، منهم نحن الثلاثة. فاذا كان للثنتين الباقيين دماغ مثل دماغنا فعلى الدولة السلام لانها ستميد وتنهار.

استيفانو : ستشرب عندما آمرك انا يا غول الخدمة. يخيل اليّ ان عيونك لا تزال ثابتة في وجهك.

ترنكولو : وأين تريد ان تكون عيوني؟ أفي ذنبي ام في ظهري؟ اذ ذاك اكون حقا غولا لا غش فيه.

استيفانو : ان غول خدمتي قد أغرق وعيه في برميل الخمر. بينما انا، لا تقوى مياه البحر بأجمعها على اغراقى. ولقد سبحت بمهارة قبل ان ابلغ هذا الشاطئ مسافة لا تقل عن خمسة وثلاثين فرسخا. سأجعلك نائبي ايها الغول

لتحمل لوائي باخلاص، وتأكيداً لذلك، اقسم لك بحق نور النهار الذي يضيء لنا دروبنا.

ترنكولو : ان اكون نائبك، هذه ضمانة لي. اما حمل لوائك فكيف يتم وهو يرفرف خفاقاً في الاعالي؟

استيفانو : لا سبيل لنا الى الهرب من قدرنا، يا ايها الغول المخبول.
ترنكولو : أجل، أجل، نظير الارانب التي تتوارى لدى سماعها أخف ضجة ولا تنجو من مصيرها.

استيفانو : قل كلمة اذاً ايها الثور المهووس ان كنت حقاً صادقاً.
كليان : ألا تزال مخلصاً؟ دعني ألتمس بركتك. اما هو فلن اخدمه لانه غير كريم.

ترنكولو : الان ظهر كذبك ايها الغول الجاهل الأفاك. انا وحدي قادر على نبش خفاياك ايها المحتال. انت تتهمني بالجبانة بعد كل ما تجرّعته في أقل من يوم. ألا تخجل من هذا النفاق الخسيس، وأنت في هذا الدرك من الانحطاط.

كليان : اسمعه كيف يزدري بي ويهينني. فهل يرضيك هذا يا مولاي؟
ترنكولو : تدعوني مولاك. أولاً تدري ان للغيلان طرائق خاصة.
كليان : ها هو يعيد الكرة. أتوسل اليك ان تعضه وتمزقه كي يسكت نهائياً.
استيفانو : صُن لسانك يا ترنكولو. اذا تصرفت هكذا بنذالة، فسأسجنك في شق الشجرة، لان هذا الغول المسكين هو احد أفراد رعيتي ولن أسمح ابداً بأن يمسه اي سوء.

كليان : أشكرك يا سيدي النبيل. هل يعجبك ان تسمع توسلاتي ثانية.
استيفانو : ولماذا لا؟ اركع وعاولد الكرة فيما نقف انا وترنكولو لتتلقى خضوعك.

(يدخل اريال بدون ان يراه احد)

كليان : كما قلت لك، انا عبد لطاغية مستبد وساحر محتال اغتصب مني ملكية هذه الجزيرة.
اريال : انت كاذب.

كليان : انت الكاذب ايها المسخ الحقير. وسيعاقبك سيدي قريباً جداً. اما انا فلا اكذب ابداً.

استيفانو : اذا قاطعته يا ترنكولو مرة اخرى اثناء سرده الرواية سأصفعك بهذا الكف وأسقط لك بعض اسنانك من فمك.

ترنكولو : لن أنيس بينت شفة.

استيفانو : إلزم الصمت، ودعني أستمع. هيا اكمل، يا كليان.

كليان : اقول انه بالحيلة والشعوذة استولى على هذه الجزيرة التي كانت تخصني. فاذا شئت يا صاحب العظمة ان تنتقم لي منه، فأنت قادر على ذلك، وهو لن يستطيع مقاومتك.

استيفانو : طبعاً.

كليان : ستكون انت مولاي، وأنا مستعد لخدمتك.

استيفانو : حسناً، ولكن كيف العمل للوصول الى السيطرة على هذا المخلوق؟

كليان : سأسلمك اياه يا سيدي وهو نائم. فتدق عنقه مع اول مسمار في عنقه.

اريال : انت مخادع، ولا يتسنى لك ذلك مطلقاً.

كليان : أسمع ما يقول هذا العليج المتبيح؟ ارجوك ان تأمر بضربه يا صاحب الجلالة، وبانتزاع القنينة منه. فحالما يفقدها يذهب ويشرب من ماء البحر المالح، لاني لن أدله على مكان البنايع الصافية العذبة.

استيفانو : هذا انذاري الاخير يا ترنكولو. فاذا قاطعت القول مجدداً فاعلم بأنني سأنهال عليك بهذه اليد ضرباً مبرحاً بلا رحمة ولا شفقة، وأجعلك أرق من الرغبة.

ترنكولو : ولكن ماذا جنيت حتى تعاقبني؟ انا لم أترف ذنباً. ومع ذلك ها انا أنسحب.

استيفانو : ألم تنهمني بالكذب؟

اريال : ادعائك هذا هو عين الكذب.

استيفانو : آناً كاذب؟ (يضربه) خذ، خذ، خذ. واذا اردت سأكيل لك

المزید. أعد قولك بأني اكذب ومترى ما يحل بك.
ترنكولو : انا لم اقل ابدا انك تكذب. لا بد من ان تكون فقدت وعيك
وسمعت ايضا. ليصُبَّك الجرب ايها السكير الأبله، لأنك أمعنت في شرب
الخمرة، ولتهذ الحُمَّى حيل غولك، وأنت فلتتكرس اصابعك.
كليان : هه، هه، ها.

استيفانو : تابع سرد حكايتك. أنصحك بأن تلزم حدك.
كليان : عاقبه كما يستحق، وسأعرف قريباً انا ايضا كيف أؤدبه.
استيفانو : ابتعد انت من هنا. هيا اكمل، يا كليان.

كليان : كما قلت لك، لقد اعتاد على القيلولة بعد الظهر، فيمكنك ان تحطم
أضلاعه وأن تجرده من كتبه ثم ان تشج رأسه بحطبة جافة صلبة، وأن تبقر
بطنه برمح طويل، وأن تطعن عنقه بسكينك الحاد. أكرر عليك ان لا تنسَ
تجريده من كتبه لانه بدونها يصبح كالبهيمة نظيري تماماً، ولن يبقى لديه أي
استعداد للخضوع، فيكرهه كل الناس مثلي. لا بد من احراق كتبه حتما. هو
يملك معدّات جميلة، كما يدّعي، وينوي ان يزين بها بيته في المستقبل عندما
ينفرد ببيت. والاولى من كل هذا، وما يستحق الذكر حقاً، هو روعة جمال
ابنته التي يعتبرها فريدة الحسن. انا لم ابصر امرأة غيرها سوى أمي
سيكوراكس. انما والدتي تفوقها بهاء لان الوعاء الكبير يتسع لاحتواء الاصغر
منه.

استيفانو : أحقاً هي فتاة بارعة الجمال؟
كليان : أؤكد لك يا مولاي بأنها جديرة بك، وستمنحك نسلا تنباهي به.
استيفانو : سأقتل هذا الرجل ايها الغول. وسنكون انا وابنته ملكا وملكة على
هذه الديار فينفسح المجال لفرض هيبتنا وبسط نفوذنا. وستكون انت
وترنكولو لي نائبين. فما قولك يا ترنكولو بهذا التدبير؟
ترنكولو : ممتاز.

استيفانو : هات يدك اذاً. انا آسف لانني ضربتك. لكن اعلم ان عليك ان
تصون لسانك حتى آخر ايام حياتك.
كليان : سينام بعد نصف ساعة. فهل تنوي القضاء عليه فعلاً؟

استيفانو : إي وربي.

ارياي : سأذهب وأنبئ معلمي.

كليان : وجودك معي يدخل الى قلبي السعادة، ويتيح لي التمتع بملذات الحياة. فهل نسرح ونمرح. هل تريد ان تعيد عليّ اللحن الذي علمتني اياه منذ هنيهة؟

استيفانو : سأستجيب طلبك ايها الغول ولن أرفضه. فهيا نغني اولاً يا ترنكولو.
(بنشدون)

إهزأوا وعنفوا، ثم عنفوا واهزأوا،
فليس احلى من حرية الافكار، فاهنأوا.
كليان : هذا ليس النغم ذاته.

(يقرع اريال طيلة وينفخ بالزمار)

استيفانو : ماذا أسمع هنا؟

ترنكولو : هذا لحن اغنيتنا يعزفه كائن غير منظور.

استيفانو : يا رجل، إظهر علي حقيقتك. فحتى لو كنت شيطانا، لا اعترض لي عليك.

ترنكولو : أطلب صفحك عن جميع ذنوبي.

استيفانو : اذا كان نصيبي الهلاك، فأنا مستعد لتسديد كل ما عليّ من حساب فأرجوك، ان ترأف بي.

كليان : هل انت خائف؟

استيفانو : أنا اخاف، ايها الغول؟ لا، لا، ابداً.

كليان : لا تفزع. ان الجزيرة ملاءى بالتمتمات والاصداء والاناشيد الساحرة التي تغعم النفس طرباً ونشوة. وربما سمعت الف آلة تعزف دفعة واحدة احياناً، فتصمّ أذنيّ، ثم تليها أصوات ودبكات توقظني كأني غائص في بحر النوم، بل بالحري تجعلني أرقد ثانية لأرى في الحلم غماما يفتح ويفسح لي مجال التمتع بمشاهد كلها روعة وجمال. وكم خيّل اليّ ان السماوات توشك ان تسقط من علاها على رأسي، فأبكي حالما افيق بكاء مرا وأتمنى متابعة حلمي السحري.

استيفانو : لعمرى، كم يسرنى ان أسمع أرق الأنغام بدون مقابل.
كليان : متى سيهلك بروسبارو ؟
استيفانو : لن يصيبه أي مكروه اذا طال به الانتظار. اما أنا فأود أن أتوقف هنا
بروايتي.
ترنكولو : الصوت يتعد على ما يبدو، فحال تتبعه ثم نعود لإتمام عملنا.
استيفانو : الى الامام سر اذًا، أيها الغول. هيا تتبعه. أريد أن أرى كيف تفرع
هذه الطلبة.
ترنكولو : ها أنذا آت. سأتبعك يا استيفانو.

(يخرجون)

المشهد الثالث

في ناحية أخرى من الجزيرة

(يدخل ألونزو وسيستيان وانطونيو وغزالو وأدريان وفرنيسكو وغيرهم)

غزالو : يا إلهي ! أنا غير قادر يا مولاي على التقدم خطوة واحدة، لأن
عظامي الهرمة تؤلمني. هذه متاهة نضيج حتما فيها نظرا لما تحويه من التعاريج
والاستدارات. فعلينا أن نترث، وأنا بنوع خاص، حتى أستعيد أنفاسي.
الونزو : لا يسعني أن ألوئك يا صديقي القديم، لأنني أنا أيضا قد أنهكتني
التعب حتى كاد يزهرق روحي. اجلس واسترح فها هنا بالذات تتبدد آمالي
ويتبين بطلان الرجاء بأنه حي لانه فعلا قد غرق، بينما كنا نجدد في البحث
عنه، فسخر البحر منا لتشبثنا عبثا في مساعينا على هذه الأرض. مهما يكن
الأمر مبهما، يمكنه أن يمضي.
انطونيو : أهنئ نفسي على فقدانه كل امل. فلا تذهب، بسبب هذا الاخفاق،
الى العدول عن بلوغ الغاية التي وضعتها نصب عينيك.

سيستيان : لدى أول فرصة، يسعنا ان نعوض عما فاتنا.
انطونيو : هذا المساء اذًا، بما ان جولتهم قد ارهقتهم، لن يملكوا الشجاعة
ولا القوة لمواصلة السهر كما لو كانوا مرتاحين.
سيستيان : اتفقنا. فالى هذا المساء. لكن عليكم ان تلمزوا الصمت والهدوء.
(تسمع أنغام موسيقية توحى بالأبهة والجلال. وبروسبارو غير منظور)
الونزو : ما هذه الرخام ! اسمعوا يا أصدقائي الأعزاء.
غزالو : ما أروع هذه الموسيقى !

(يدخل عدد من الغرباء حاملين أطعمة تكفي لوليمة وهم يرقصون ويحيون الملك
وحاشيته ويدعونهم الى الأكل، ثم يختفون)
الونزو : احرسينا يا ملائكة السماء. هل رأيتم ما جرى ؟
سيستيان : هذه تماثيل متحركة. وأنا أميل الان الى الاعتقاد بوجود وحيد
القرن في المنطقة حيث يتجلى على شجرة واحدة طائر الفينيق مرتبعا في هذه
اللحظة على عرشه.
انطونيو : أنا أيضا بَتَ أعتقد بهذا وذلك. واذا كان في الدنيا أمر لا يزال يدعو
الناس الى رفض اليقين، فليأتوا اليّ كي أعلن لهم وأدعم بأغلظ الايمان، ان
هذه حقيقة لا تقبل الشك، ما دام المسافرين لا يكذبون مهما تبجح به ضعاف
العقول ممن يلزمون عقر دارهم ولا يتجولون.
غزالو : اذا نقلت هذا النبأ الى نابولي، هل يصدقني أحد ؟ ولو صرحت بأنني
شاهدت أهالي هذه الجزيرة الذين لا يغادرونها، مهما بدوا في تصرفاتهم
غلاظا كالغيلان، يتمسكون بكرم اخلاقهم وحرية أفكارهم اكثر من معظم أبناء
قومنا ان لم يكن أجمعهم، كما تثبته أفعالهم، فهل يعتبرون ويرعون ؟
بروسبارو : أيها الشريف غزالو، كلامك فيه كل الحكمة والصواب لأن بعض
الناس أينما وجدوا هم أقطع من أبالسة الجحيم.
الونزو : هذا لا يغيب عن ذهني، لأن بعض الوجوه والحركات والأصوات
المعبرة بأساليب بدیعة ولو صمًا، هي بمثابة خطابات بليغة صامتة حافلة
بالعبر.

بروسبارو : لا تنسَ ان السم يكمن عادة في الذنب الدسم.

فرنسيسكو : ها قد غابوا بطريقة غريبة عجيبة.

سيسيتيان : وماذا يعني ذلك ؟ بما انهم يتركون مؤنهم، نحن ايضا لنا أفواه
لنأكل ومعد لنهضم. فما رأيك الان لو قمنا بالاستيلاء على هذا الزاد ؟
الونزو : انا لا يهمني الأمر.

انطونيو : بصراحة يا مولاي، أنت لا تميل الى المغامرة. عندما كنا أولادا
صغارا، من منا كان يصدق ان في الجبل رجالا غلاظ الرقبة كالثيران أو
منفوخى البطن كالخرج، أو ان هناك مخلوقات لها رأس مطمور في جذعها
وبين كتفيها. وفي أيامنا الحاضرة، ترى أبسط مسافر يؤكد مراهنا بخمسة لقاء
واحد بأن ذلك حقيقة لا تقبل أدنى شك.

الونزو : على المائدة مثلا، أنا آكل ما يقدم لي من طعام ولا أهتم بما اذا كان
آخر ما أذوقه. لأنني أشعر بأن أفضل زمن في حياتي قد مضى ولن يعود.
أرجوك يا أخي، وأنت يا سيدي الدوق، أن تتفضلوا وتجلسوا بجواري.

(تحدث رعود وبروق. يدخل اريال بشكل نسر ويضرب المائدة بجناحيه فضخفي جميع
معالم الوليمة).

اريال : أنتم ثلاثة مجرمين، شاء القدر الذي يتحكم بمقاييد هذا الكون وما
فيه، ان يلفظكم أخيرا بعيدا عن البحر، على هذه الجزيرة التي يسكنها رجل
غير جدير بالحياة نظيركم.

(يستلّ الونزو وسيسيتيان وانطونيو سيوفهم)

أنا عالم بأنني أغضبتكم. وبمثل هذا الانفعال يشنق الرجال أنفسهم أو يلقون
بنواتهم الى البحر تخلصا من متاعبهم. نأى لهم من مجانين تافهين. اما انتم يا
رفاقي فمثلي أنا أصبحتم كهنة تخدمون أهواء القدر الغاشم. والعناصر الصلبة
التي قدّت منها سيوفكم ستعمل على تمزيق الرياح العاصفة، بطعنات مضحكة
تشق المياه المغلقة على الدوام، وتختصر مداها ريشتي اللاذعة وتربطها بخيط
رفيع. أما رفاقي فلا سبيل للاخراج ان ينال منهم، وان تسنى لسيوفكم ان
تطالبهم كأعداء فهي ثقيلة جدا على أذرعكم، لا تقوون على رفعها في
وجوههم. لذا أذكركم، وهذه مهمتي الحاضرة، بأنكم انتم الثلاثة قد اقصيتم

في الماضي بروسبارو الصالح عن حكم ميلانو. واذا بكم كما تصرفتم في البحر، منذ الأخذ بالتأثر، قد عرضتم حياتكم مع ابنته البريئة لأفطع المخاطر. ولأجل جرم وحشي، كهذا، ما كان من الأيام العادلة التي تمهل ولا تمهل، الا ان سلطت عليكم الأمواج العاتية وقذفت بكم الى الساحل المقفر بل قلبت عليكم الخليفة جمعاء. فحرمتمك ابتك يا الوزو وهي الان تهددك بلساني بأن كارثة هائلة كهذه، هي أفسى من الموت بمراحل، ستحل بك حتما، ومهما تبدد شرها سيبلغ اذاها شخصك ويشل مساعيك. وسيقضي عليك غضبها ان لم يكن في هذه الجزيرة المعزولة، فسيتبعك، لا مناص، الى اقاصي الأرض ويرجم رأسك بوابل من الويلات التي لن تعرف معها راحة القلب وهناء العيش.

(يغيب وسط صخب الرعود تليها أنغام عذبة. ويبقى الغباء يرقصون بحركات مضحكة، ثم يحملون المائدة معهم).

بروسبارو : رائع هو هذا الوجه الخرافي، يا اريال ! فقد خلعت عليه بهاء ساحرا حقا. ان خطابك الذي القيته حسب تعليماتي هو تقليد بارع، والقريحة التي جادت به، والجهد الخاص الذي بذلته لأجل نجاحه الصامت، قد اجترح معجزة بين أصغر خدمني. وهكذا بفعل سحرك المدمر يقع أعدائي في شر مكائدهم، ويرد كيدهم الى نحرهم، هم الان تحت رحمة بطشي بالرغم مما يرتعون به من بهجة أفراحهم. بينما أنا أعثر على الشاب فردينان الذي يظنون بأنه غرق مع حبيبته، وهي أيضا عزيزة على قلبي.

(يخرج)

غزالو : مولاي أستحلفك بكل المقدسات أن تبوح لي بما تخفيه وراء وجومك هذا الغريب.

ألونزو : هذا فظيع مريب. لقد سمعت الأمواج تتكلم وتكرر ما نطقت به ورددته الرياح وأصداء الرعود معلنة اسم بروسبارو. فصعقتني أوهامي حين أمسى هذا الوحل مرقد ولدي وفلذة كبدي. سأذهب لأبحث عنه في الأعماق حيث لم تصل أقدام أي مخلوق قلبي وأتمدد على الأوحال الى جانبه.

(يخرج)

سيستيان : حتى ولو برز الشيطان لدى كل ضربة من سيفي، أنا مستعد لأن
أتحدى جيشهم اللجب.

انطونيو : أرجوك يا مولاي أن تقبلني في عداد أعوانك.

(يخرج سيستيان وأنطونيو)

غنزالو : الثلاثة يقتلهم الضجر واليأس بسبب جريرتهم القديمة التي تذهب
بعقولهم وتفتك بهم كأنها سم رهيب. أستحلفك إذاً أن تعجل بخطواتك
الرشيقة وتهبّ لانقاذي من تصميمهم على اهلاكي في ساعة غضب هي الان
حاضرة.

ادريان : أرجوك أن تبغني.

(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام كوخ بروسبارو

(يدخل بروسبارو وفردينان وميراندا)

بروسبارو : اذا وجدت معاملتي هكذا خشنة تكون قد نلت الان جزاء عملك، لأنني وهبتك معظم أيام حياتي، وما تبقي لي من العمر أضعه مجددا تحت تصرفك. لأن جل ما نابني من معاكسات كان في نظري، امتحانا لحبك الذي اجتزته بنجاح منقطع النظير، بالرغم من انه امتحان عسير للغاية. فأمام السماء أؤكد لك ثانية وعدي الصادق بتقديم هذه الهدية النادرة لك. لا تبتسم يا فردينان اذا أشدت بها بصوت عالٍ سترى انها تفوق كل مديح، فدعها تجري خلفك.

فردينان : اني لا أشك بما تتوقعه لي.

بروسبارو: تمتع اذا بهذه الهبة التي تستحقها طبعاً عن جدارة. خذ ابنتي واستأثر بمفاتيها المصانة، ولتجر الحفلة المباركة بموجب المراسم المعتادة. ولتت عملية الامتلاك حسب ما خصصتك به السماء من حكمة وذكاء. وإلا لن يزدهر هذا العقد طويلا لأن الحقد القاحل والازدراء الخسيس والخلاف المرير تجتمع لتقضم مضجعك وتنزل بك أقصى المحن وأمر الأحوال. احرص على قنديل العرس كي يضيء لك سبيلك ويرشدك الى الصراط القويم.

فردينان : كم تمنيت لك حياة هادئة وأولادا صالحين وعمرا مديدا، فلا يتحطم هذا الحب وينهال عليك ركاما في نفق مظلم أو متاهة معقدة غامضة. لأن براعة التلميح عن أوهي قدرتنا، لن تعرض شرفي الى التمرغ لحظة في لذة مشينة خائفة. كن على يقين بأن لا حدود لأشواقى الى أفراح اليوم السعيد الذي لا أرى فيه جياذ حظي العاثر مرهقة عاجزة عن الجري، وليالي السوداء ترسف مكبلة في أصفاد الذل والشقاء. أرجوك أن تذهب الى عروسك وتهتم بها لأنها أصبحت ملكك. تعال يا اريال يا خادمي الامين اريال.

(بدخل اريال)

اريال : بماذا تأمرني يا سيدي ؟ ها اناذا بين يديك ورهن اشارتك. بروسبارو : ان آخر خدمة أديتها لي أنت وجماعتك، جاءت على أكمل ما يرام. ولذا أنوي أن أبقىك في خدمتي وأكلفك بمهمة مماثلة. إذهب واتفق مع هذه الفرقة للعمل عندي. وسأطلب من أفرادها أن يخضعوا لأوامرك وأن ينشطوا في ما يؤدونه من خدمات لأنني مصمم على ان أمتع أنظار هذين الزوجين الشابين ببعض الألعاب والخدعات المسلية على طريقي كما وعدتهما وهما يتربكان ذلك مني.

اريال : حالا وسريعا.

بروسبارو : بل أسرع من لمح البصر.

اريال : قبل أن تقول ليّيك، اذهب ونفذ طلبي. وحالما تسترد أنفاسك تستدعيهم فيشير كل واحد منهم بحركة انسيابية من يده ويتساءل قائلا : هل تحبني يا معلمي أم لا ؟

بروسبارو : أنت تعرف جوابي يا اريال الفطين، فامكث هناك حتى أناديك. (يغيب)

اريال : فهمت.

بروسبارو (لفردينان) : لا تنق بكلامه، واحذر المدهانات. ومهما ارحيت لفصاحتك العنان، فان أبلغ المواعظ ليست سوى هشيم بقرب نار متأججة. امتلك زمام امرك، وإلا، فالسلام على احتجاجاتك الضائعة.

فردينان : لا تخشَ يا سيدي على مصري. ان قلبي نظير الثلج الناصع البياض،
طهارته تتيح لي أن أنعم بهدوء الأعصاب وراحة البال.
برومبارو : تعال حالا يا اريال، ولا تنسَ أن تذكرني بواجباتي. فخير لي أن
تبرز نقائصي امام الحاضرين من أن يسيطر العقم والجمود عاجلا على ذهني
وأظهر للناس بلا ذوق ولا نظر، كأني لا أعرف سوى السكوت البليد.
(تعرف الموسيقى)

القناع

(تظهر ايريس)

ايريس : أيتها الغنية ساراس، يا سيدة الحقول الخصبة بالقمح والزؤان والتبن
والشعير، وبجبالك الخضراء حيث ترعى النعاج وتؤمن أكواحك لها الدفء
والمأوى والمؤن، وضيفا أنهارك المزهرة تفيض بالخيرات التي يمنحها شهر
نيسان كما ترغيبين. لك أنت أيتها العروس المتألقة، والملكة المتوجة بالعفة
تأسرين بحلاوتك ولطافتك قلوب العشاق بعد ان أضناها الشوق في ظل
أغصان كرومك المتكئة على العرائش المثقلة بعناقيد العنب وشواطئك الحافلة
بنواتئ الصخور حيث تنهادين بمشيتك الرشيقة لتتشق الهواء النقي. انت ملكة
جليلة وأنا دعامة تستندين اليها بعز وأمان. سأحميك من حسادك ومناوئيك .
هنا في هذه البراري تستقبلين أنصارك ومريديك وتفرحين بحبهم وتشاركينهم
ولائمهم الفاخرة التي يعدونها لك. ان هؤلاء الطواويس يملأون الفضاء بضجة
مفاخرهم ولذا تقدمين لهم يا ساراس الغنية واجب التحية والاکرام.
ساراس : ها أناذا أحييك أيتها النجمة الساطعة، يا من تناجين الآلهة وتسرحين
في الأجواء الرحيبة، وفي علياء سمائك تحلقين بجناحيك فوق الحقول ناثرة
قطرات الندى الرطيب، وتاجك اللانوردي يكلل هامتك، فتباهي وتزدهي بك
غاباتي وحقولي المخضرة وأشجارى المزهرة كأنها وشاح ملون يزین أكناف
هذه الروابي الضاحكة. والآن لماذا تطلب ملكتي حضوري الى هذه المروج
الزاهية ؟

ايريس : هناك عهد غرام نزيه يجود بكنوز الحنان على هذين الحبيبين الفتيين.

ساراس : يا قوس قزح، قل لي : هل كانت فينوس إلهة الجمال وابنها يواكيان الملكة ؟ فمئذ ان حيكت الدسيسة التي أسلمت ابنتي الى الظالم « ديس » بت أكره صحبتها.

ايريس : لا ترتبكي، فقد صادفت في الأعالي هذه الإلهة التي تجري فوق السحاب لمقابلة الاله « فابوس ». ستظل هي وولدها محرومين من الهمة والنشاط كالحمام المقصوص الجناح حيال الحب الطاهر. انها صديقة إله الحرب مارس ونظيره هي دائما متحمسة ومهمومة. أما ابنتها فكالحشرة الحقيرة، قد شوّهت ملامحه الضغائن وتكرت هي لتغيير ملامحه، فأضحى الأولى بها أن يتسلّى، كما قالت، مع العصافير كالطفل العايب.

ساراس : ها هي ملكة السماء جينون الإلهة العظيمة تنزل من عليائها.

(تدخل جينون)

جينون : كيف حالك يا أختي الحبيبة ؟ علينا أن نوطد هناء هذين الزوجين المائلين أمامنا. فأنا أود أن يكونا متفاهمين سعيدين. (تنشدان).

الغنى والرخاء والزواج المبارك

تنشدها جينون وهي تبغي سرورك

والخصب والنجاح والحياة المديدة

منذ الأزل هي لك أمنية حميدة.

ساراس : الأرض الجيدة والحصاد كالذهب الأصفر

والاهراء الملائى بجانب المرح الأخضر

والعرائش المنشورة المثقلة بالعناقيد

والربيع المزهر الحافل بأيام العيد

تبارك غلة الصيف، والسعد تستزيد

وزوال الهم وبعد الضيق عن بيتك تريد

وساراس البهية تتمنى لك المزيد.

فردينان : ما هذه الرؤيا الجليلة المعجبة المنسجمة مع أحلى الأماني ؟ هل عليّ أن أفترض ان الأرواح الخيرة تحيط بنا وترعانا ؟

بروسبارو : أجل، الأرواح التي اختارها خيالي لتجسيد الآمال التي يشغل تحقيقها بالي.

(جينون وساراس يتحدثان بصوت خافت)

ميراندا : اسكت يا صاح. فان ساراس وجينون تتجاذبان أطراف الحديث وتتجاملان.

بروسبارو : دعونا نتمتع بهذه اللحظة السعيدة. اسكتوا ولا تنبسوا ببنت شفة. وإلا بددتم سحر هذه الساعة البهيجة.

ايريس : يا بنات، يا إلهات الينابيع والأنهار الجارية بحوية وصفاء محاطة برماح القصب الأخضر المتمايل، غادرن مجاري المياه، وبين الأعشاب استجبن نداء جينون وتعالين أيتها العرائس الراضيات واحتفلن بدون إهمال بوفاء الحب الأصيل.

(تدخل عرائس البحر)

وأنتم أيها الحصادون الذين تحرق الشمس بشرتهم، تنازلوا عن ثلوم حقولكم لهؤلاء الحسنات الفاتنات. وليعتمر كل واحد منكم بقبعة من القش ويمسك بيد إحدى عرائس البحر ليرقص معها على أنغام الاهازيج القروية.

(يدخل الحصادون الذين يخاصرون العرائس في رقصة رائعة)

بروسبارو (على حدة) : كذت أنسى المحاولة الدنيئة التي قام بها الحيوان كليان وزمرته بالتآمر على حياتي. هيا انصرفن وينقضي الأمر.

(يسمع صوت نشار. فينفرك الحصادون والعرائس، ويتوارون بغوض)

فردينان : هذا تصرف غريب. ها هو أبوك ضحية خيبة مزعجة هزت أعماق كيانه.

ميراندا : قبل اليوم لم أشاهده قط في مثل هذه الحالة من الغضب.

بروسبارو : يخيل لي يا بني أنك في موقف حرج. تشجع يا عزيزي، فهذا ليس الا مزاح وقد انتهى. وهؤلاء الممثلون، كما قلت لك، ليسوا سوى أرواح وقد تفرقوا أيدي سبأ في مهب الرياح. ونظير من يتخيل مشهدا لا وجود له، ها هي الأبراج التي تناطح السحاب والقصور الفخمة والمعابد المهيبة والكرة

الأرضية العظيمة، مثل كل ميراث تذوب وتضمحل كالمح في الماء. وهكذا في هذا الاستعراض المشؤوم يغيب الواهمون ولا يتركون وراءهم أي أثر. لأننا كسائر الحالمين يسيطر الخيال على حياتنا الوجيزة كأننا غائصون في نوم عميق يشل كل حركاتنا. فانس يا عزيزي هذا الانهيار لأن دماغى الهرم لم يعد يحتمل أية معاناة. ولا تضطرب بسبب علتى، بل انسحب الى كوخى وخذ قسطا من الراحة والاطمئنان. سأقوم بجولة أو اثنتين لأريح أفكارى المرتبكة. **فردينان وميراندا (يتها مسان) : نودّعك بأمان.**

بروسبارو : تعال، فأنا أفكر بك باستمرار. تعال يا اريال.

(يدخل اريال)

اريال : أنا لا أعرف ما يشغل بالك. فما الذي يقلقك ؟

بروسبارو : أيها الروح الخيّر، هيا نستعد لاستقبال كليان.

اريال : سمعا وطاعة يا مليكى. بينما كنت أقوم بدور ساراس عنّ هذا على بالى. لكنى خشيت اغضابك.

بروسبارو : بريك قل لي أين تركت هذه الحثالة من المخلوقات العجيبة ؟

اريال : لقد سبق وأعلمتك يا مولاي. لكن، لماذا هم هكذا حمر الخلود ؟

هل من كثرة الشرب ؟ مع ان شجاعتهم تكافح الهواء الذي يلفح وجوههم ويزلزل الأرض تحت أقدامهم، ويكاد يجرفهم كالهباء المتثور، وهم يواصلون محاولتهم. فهذه الفكرة قرعت طبلتي انذار، ونظير الدجاجات المرتعشة اصططكت ركبتهم هلعاً، وجحظت عيونهم وانتصبت آذانهم لذوّق الأنعام الموسيقية التي دغدغت مسامعهم. فلهؤلاء الرعاع الذين رؤّعهم زئيري بغتة من خلال الوزال والخيزران وأشواك العوسج وكاد يلقبهم في البحيرة في آخر المطاف بعيداً عن كوخك حيث غاصوا حتى أذنيهم تحت عطايك السخية وهم لا يزالون يتخبطون قبل أن تبلعهم المياه المتدفقة على أبدانهم المترجفة.

بروسبارو : هذا ممتاز يا عزيزي. حافظ على وجهك غير المنظور، لتشاهد في بيتي الزخرفات الرائعة التي استعملتها كالطعم لاصطياد هؤلاء اللصوص والقبض عليهم.

اريال : ليكن ما تريد. ها أناذا أطوع من بنانك. (يخرج).

بروسبارو : هذا الشيطان لا يخضع لأي نظام، ولا يقاوم طبيعة غريزته
البهيمية، فيهدر جميع مشاعري الانسانية بدون وازع، كأن حجمها يصغر
كلما كبرت قباحته، وغايتها تفسد وأنا أريد اصلاحها وهو يمعن في الازدراء
والتهكم.

(يدخل اريال حاملا اعلاما خفاقة)

تعال علقها على شجرة الزيتون هذه.

(يخرج اريال وبروسبارو غير منظورين. ويدخل كليان واستيفانو وترنكولو وكلهم
يقطرون ماء)

كليان : أرجوك أن تمهل في مشيتك على رؤوس أصابع قدميك، لأن الخلد
أعمى، ونحن نقترّب من وكره.

استيفانو : أرنا مهارتك أيها الغول. لقد ادعيت ان عبقرتك لا ينضب لها
معين، بينما هو يحتال علينا كالثعلب.

ترنكولو : أنا لست سوى غول، ومثل بول الحصان رائحتي كريهة، لا يسعني
الا الاشمئزاز منها.

استيفانو : كما أشمئز أنا أيضا. هل تسمعي أيها الغول ؟ اذا لم تكن راضيا
بنصيبك فبامكانك أن ترحل.

كليان : مولاي الكريم، لا تحجب عني رضاك الغالي، بل أصبر عليّ قليلا.
فالكنز الذي أدلك عليه يعوض أضعاف أضعاف عما تعانیه من بؤس وشقاء.
يجب علينا أن نخفض أصواتنا، فكل شيء هنا هادئ كأننا في منتصف الليل.
ترنكولو : أجل، لكننا قلقون كمن أضعاف قنيتته في قعر البحيرة.

استيفانو : هناك خسارة افدح من فقدان الثقة، خسارة ما بعدها خسارة، ألا
وهي التمرغ في حمأة المذلة والهوان أيها الغول البليد.

ترنكولو : هذا يزعجني أكثر من ابتلائي بالماء. أهذه هي مهارتك يا غبي ؟
يمكنك أن تبجح بأنها حقا لا مثيل لها.

استيفانو : سأذهب لاسترجع قنيتي عندما يطفح كيل عذابي.

كليان : أستحلفك يا مليكي أن تحافظ على هدوئك ورباطة جأشك وأن
تطلع دوما الى الامام. قم بما يلهمك اياه قلبك العطوف لتصبح سيد هذه

الجزيرة الى الأبد، كما انت سيدي أنا كليان، فأقبل قدميك على الدوام.
استيفانو : هات يدك يا صاح، فان أفكارا دموية أخذت تراقص في خاطري.
ترنكولو : يا عزيزي استيفانو، يا مليكي المفقدي، يا زميلي العزيز، يا استيفانو
العظيم، تأمل خزانة الثياب هذه الحافلة بأفخر الملابس، وتصرف بها كما
يحلو لك.

كليان : دعه من شرك يا محتال. هذه ليست الا أسمال بالية.
ترنكولو : آه منك، أيها الغول الخداع. لا تنس اننا نحن أرباب هذه
الخزعات، أيها الملك استيفانو.
استيفانو : انزع عني هذه الثياب، يا ترنكولو، لأنني أريد هذا الرداء من تلك
اليد.

ترنكولو : ستحصل عليه يا صاحب الجلالة.
كليان : المحاباة لا تجذب سوى المغفل. فهل أنت بهلول حتى تستهويك
هذه البضاعة الكاسدة ؟ هيا بنا جميعا، فالقاتل عندما يشرع في تنفيذ جريمته،
اذا استفاقت ضحيته بغته سينعتنا بالسذاجة من قمة رأسنا الى أخمص قدمينا،
علّه ينقذ هكذا موقفه المريب.

استيفانو : عليك ان تخفض صوتك أيها الغول، يا رجل شجرة الزيزفون،
أوليس قميصي هذا الذي ترتديه ؟ هيا أجبنني فورا، فأنا لي مع شجرة الزيزفون
لسان حال ووحدة مصير.

ترنكولو : اذا كنت مستأنسا بهذه المقارنة فلا محالة، يا صاحب الجلالة،
سيؤثر عليك البرد.

استيفانو : نحن مدينون مع ذلك الى ألعبيك. خذ، هذا قليل من الزيزفون،
كي لا تذهب فكاهتك سدى بدون مكافأة. وما دمت أنا ملك هذه الاصقاع،
فلا تخف وطأة البرد. ما عليك الا أن تشرب مزيدا من الزيزفون الساخن ليذب
الدفء في جسمك البارد.

ترنكولو : اقترب أيها الغول، وقارن بين نفسك وهذه البضاعة الرخيصة.
كليان : أنا لا أريد أن ألمسها. ستضيع عليها الفرصة ان أنا تحولت أو أنت
تحولت الى محتال ومهرج ذميم.

استيفانو : هيا ساعدني أيها الغول. أعني على نقل هذا الى حيث خبأت
برميلي، وإلا طردتك من مملكتي. هيا احمل لي هذا.

ترنكولو : أراك تطلب المزيد.

استيفانو : لكنه لن يكون الأخير.

(يُسمع صوت نغير الصيد. تدخل الأرواح بهيئة كلاب وتطلق في مطاردته)

بروسبارو : إلحقوا بهم حتى الجبال.

اريال : الى المال، الى الثروة.

بروسبارو : بل الى التمرد، الى السرقة، أيها الطاغية انهب ما تصل اليه يدك.

(يطرد كليان واستيفانو وترنكولو الى خارج المسرح)

أصدر أوامرك الى الأبالسة كي يطحنوا عظامهم. لا بد للتشنج العنيف

المؤلم أن يقطع أوصالهم فيصيبهم التوتر المزمن، ويقمع تطلاؤلهم ببتير أطرافهم

فيمسوا عرضة لهجوم ضواري الغاب وكواسر القمم عليهم.

اريال : اسمعهم كيف يزمجرون.

بروسبارو : طاردوهم بدون هواة. لأنهم جميعا أعدائي. قريبا تنتهي

مشاكلي، وتنتطلق أنت حرا في الفضاء تسرح وتمرح على هواك. انتظرنني، فأنا

لا أزال بحاجة اليك لحظة قصيرة من الزمن.

الفصل الخامس

المشهد الأول

أمام كوخ بروسبارو

(يدخل بروسبارو مرتدياً ثوبه السحري ويتبعه اريال)

بروسبارو : لقد اخترت الان مشروعى فى رأسى، وهمنى قعساء وعزى لا يفله الحديد، والوقت ملائم، ولم يبق سوى التنفيذ.

اريال : فى الساعة السادسة، كما اوصيتنى، تكتمل استعداداتنا يا مولاي.
بروسبارو : أجل، لقد أكدت لى ذلك، عندما أثرت هبوب العاصفة. اخبرنى أيها الروح، ماذا حل بالملك وحاشيته ؟

اريال : احتجزناهم كلهم كما اخبرتك يا مولاي، وهم لا يزالون اسرانا. كن على يقين بأن لا أحد من أصحاب الزيفون الذين يملأون كوخك، يستطيع أن يتحرك من مكانه بدون موافقتك. فالملك وأخوه وشقيقك أيضا جميعهم هنا يهذون ويتهاثرون، الواحد على الآخر، ويندبون سوء حظهم ومصيرهم، والحزن يخنقهم والاضطراب يحطمهم يا سيدي، لا سيما من دعوته أنت الشيخ الصالح غزالو. فالدموع تسيل على خديه ومن خلال لحيته نظير غيث الشتاء من سقوف القصب. وسحرك يكبلهم بقسوة واذا نظرت اليهم يتفطر قلبك عليهم شفقة وألما.

بروسبارو : هل تصدق ذلك، يا أيها الروح ؟

ارياال : فؤادي ما امكنه احتمال هذا المشهد، لو كنت من الأنس.

برومبارو : وكذلك أنا أرثي لحالهم. هل تملك، أنت الذي تشبه الهواء، صفة الألوهة والتغلغل في أعماق الامور لتدرك مدى عذابهم ؟ أنا لا يسعني الا التغافل عما ينتابهم من الأسى، لاني مثلهم مرهف الاحساس، أفهم شعورهم ولا انسى اماءتهم. وهذا دليل قاطع على انسانيتي. انما جريرتهم الاليمة قد جرحنتي وأدمت مهجتي. فدعما لحجتي وخلافا لما ساورني من الغيظ أمد مع ذلك لهم يد العون، وهذا حتما صنيع نادر ينبع من فضيلتي لا من رغبتني في الانتقام. فاذا خامرهم الندم فان قرارني لن يحدد عن بادرة سماحتهم قيد أنملة، فامض وخلّصهم يا ارياال. سأبطل مفعول سحري وأردهم الى صوابهم لعلهم يرفعون من غيهم.

ارياال : أنا مسرع للمجيء بهم اليك يا مولاي.

برومبارو (يرسم حلقة سحرية) : أين أنتم أيها الجن ؟ يا سادة الآكام والغابات والأنهار والبحيرات، انتم أيها السائرون في ركاب إله البحر نبتون على حصى الشاطئ بأقدام غير ثابتة لا يبقى لها من أثر بعد انسحاب الجزر، أيها الهاربون من المياه حالما يتجه المد نحوكم، يا أشباه الدمى التي تطوف البراري في حلقات موحشة تأبى النعاج أن ترعى ضمن نطاقها، ما بالكم تشتهون أن تكونوا كالفطائر في منتصف الليل، وترقبون بابتهاج انبلاج الصباح. فلقاء تخاذلكم يا سادتي الضعفاء. أخذت شمس الضحى تتباطأ وأنا أذكر اتجاه الرياح المزعجة التي تقيم أمواج البحر الهائج ولا تقعدها، حتى تبلغ الأفق اللازوردي، وأنتم تفرعون طبول الحرب بدون أن تستعدوا لها. فيما أنا أتبع الرعود التي تصم الآذان ولمعان الشهب التي تخطف الأبصار وأحرق الغابات بصواعق غضبي وأزعزع أضخم الصخور من أساسها، وأقتلع جذوع الأرز والصنوبر من جذورها، ومن القبور المفتوحة تلبية لأوامري أقيم الأموات لأن جبروتي لا حدود لعنفه بالرغم من تنكّري لبطش هذا السحر الطاغي. وحالما استنزل الأنغام السماوية لا تتأخر عن تشنيف الآذان بأعذب الألحان لترد سامعيها الى وعيهم وتفرض عليهم الخضوع المطلق لمشيتي. فأننا على

أتم الأبهة لكسر عصا سحري ودفن كتيبي في أعماق الوادي السحيق حيث لا
يمكن أحد من الوصول إليها.

(تسمع أنغام توجي بالأبهة. يدخل اريال ويتبعه الوزو بصحبة غزالو، ثم يليه سيسيتان
وأنطونيو وكلهم يهذون برقعة اديان وفرنسيسكو، وجميعهم يدخلون الحلقة التي رسمها
بروسبارو، ويحملون كأنهم تحت تأثير سحر صاعق).

أتمنى أن يرتاح فكرك بسماع هذه الموسيقى الرائعة التي تشدد العزائم
وتلجم الأهواء اذ ان دماغك يا للأسف يشبه الان دملا خبيثا غامضا يشله
مفعول السحر. يا غزالو الفضيل والجدير بكل احترام، ان عيوني تقرّ بالنظر
اليك ويتعش خاطري بسماع أقوالك كأنها قطرات الندى ولا يقوى أي سحر
على تعطيل فعلها، وكما يهزم نور الصباح ظلام الليل ويبدد وحشة العتمة،
هكذا تأخذ الحواس المتتشية بطرد غيوم الجهل التي تغشى العقول المنفتحة. يا
صديقي غزالو، يا منقذي الأمين، لقد عرفت كيف تظل وفيا لسيدك،
وسأكافئك على جميلك لا بالقول بل بالفعل. لقد اضطهدتنا بضراوة، أنا
وابنتي، وشاركتك أخي في هوسك، وهذا ما يعذب الان قلبك النبيل. فيا
سيسيتان، أنت شقيقي من لحمي ودمي، ان ثابترت على أطماعك تكون قد
خنت عهد الأخوة وأخرست ضميرك الحي وساهمت في قبائح سيسيتان
المتفاقمة. لقد قتلت مليكك في هذا المكان بالذات، وأنا أسامحك مهما بلغت
أعمالك من الوحشية لأن مداركنا تتسع شيئا فشيئا وتفيض وتطغي على ما
حولها. ومهما غمرت الأوحال، لا أحد من خصومي يتطلع اليّ ولا يعرفني. يا
اريال خذ هذه الخوذة والسيف الى كوخني. سأعمد الى كشف حقيقتي
والتعريف بابنتي اخيرا. فبادر الى معاونتي أيها الروح الخير كما كنت تفعل في
ميلانو وسأمنحك حريتك عما قريب.

(اريال يساعد بروسبارو على ارتداء ملابسه)

اريال (ينشد):

من حيث تمتص النحلة رحيقها أنا أرشف
وبين أكمام زهر الربيع أتمدّد وألتحف
وأنام ملء جفوني عندما اليوم ينبع

وعلى ظهر الخفافيش اطير وأعجب
من حزن العابسين وأضحك ولا أشجب
متفائلا بورد الأمل على غصنه يطرب

بروسبارو : يا اريال انت متقيّد بالنظام، وحالما أراك أنأسف عليك. ولكنك
ستصبح مع ذلك حرا. أجل، بدون أي شك. ففي سفينة الملك حيث لا يراك
أحد كالعادة، ستجد الملاحين تحت النافذة ينشدون، ورئيس البحارة مع
الربان مستيقظين، فاجلبهم حالا الى هنا ولا تضيع دقيقة من الوقت.
اريال : سأذهب الأرض نهيا وأطير مع الرياح التي تسري أمامي، وسأعود
بسرعة تفوق مرتين نبضات قلبك الخفاف (يختفي).

غزالو : الخوارق والكوارث والمخاوف تحيط بي من كل جهة. فأملني أن
تساعدني القوى الخيرة على الخلاص من هذا المأزق الرهيب.
بروسبارو : تأمل يا مولاي الملك، اني لكي أقنع دوق ميلانو الذليل، بأن أميراً
كريماً يوجه اليه الحديث، أعانقك أنت وجماعتك بشوق لا يوصف، وأتمنى
لك من قلبي أن تحلّ بيننا على الرحب والسعة.

آلنوزو : أنا أجهل ان كان بسببه هو وغيره يتحكم النحاس بمصيري. مع ان
قلبي ينبض كالمعتاد. وألاحظ ان ارتباك ذهني أخذ يميل الى الاعتدال. وكل
ذلك يتطلب بعض الشرح والافتناع كما هو الحال في الواقع، لأنك سموح وأنا
ألمس منك الصفح عن اهاناتي. ولكن كيف بقي بروسبارو حيا وأضحى يقيم
هنا ؟

بروسبارو (لغزالو) : أولا يا صديقي الكريم، دعني أحبيّ فيك طيبة القلب
التي يسرني أن تكون شهرتها قد طبقت الآفاق.
غزالو : لا يسعني أن أؤكد لك صحة ما تقول.

بروسبارو : ان تدوّق متع هذه الجزيرة يحول دون اعتدادك بهذه الأمور
البديهية. أرحب بكم جميعا يا أصحابي. (على حدة لسيستيان وأنطونيو) : أما
أتما فلو شئت لاستنزلت عليكما غضب الملك باطلاعه على فضيحة
حياتكما. غير اني لن أبوح بكلمة واحدة.

سيستيان (على حدة لأنطونيو) : أحذرك منه لأن له أذنا مرهفة السمع.

بروسبارو : كلا يا سيدي، أنت لست أهلا لأن أدعوك أخي. الا اذا انتقلت عدوى تسامحك اليّ، فاني أصفح عن جميع اخطائك المشينة، وسأسعى لأسترجع لك أمارتك بما انها من حقك.

آلونزو : ان كنت حقا بروسبارو، إرو لنا تفاصيل نجاتك وكيف غامرت بعد مضي ثلاث ساعات على غرقنا، ولحقت بنا الى هذه الجزيرة النائية حيث فقدت ابني الحبيب فردينان الذي تعذبني ذكراه.

بروسبارو : يحزنني جدا ان أعلم بذلك يا مولاي.
آلونزو : الخسارة فادحة لا تعوض ويكاد الاعتصام بالصبر حيال هذا المصاب يكون مستحيلا.

بروسبارو : أنا أعتقد بالحري بأنك لا تقوى على تنامي ذكرى من لا تفارق صورته ذهني على الدوام لأنه كان لنا خير عون وأمن لنا الراحة والاطمئنان.
آلونزو : أنت أيضا تشعر بهذه الخسارة الكبيرة ؟

بروسبارو : هي فعلا جسيمة بالنسبة اليّ بقدر ما هي مؤلمة. ولكي أستطيع تحملها أحاول استنهاض الهمم للبحث عن تلمح اليه بعد فقدي ابنتي.

آلونزو : ابنتك ؟ يا إلهي ! لو كان الملك والملكة حاكمين في نابولي لكنت مكثت معهما راضيا، ولما ترددت لحظة في افتراش الأوجال حيث يرقد ولدي. ومتى فقدت ابنتك ؟ هل حدث ذلك أثناء هبوب العاصفة الأخيرة ؟ ان هؤلاء الوجهاء على ما أرى يفتخرون كثيرا بهذه المقابلة وينوون التراجع عن حكمهم الجائر، اذ يأبون ان يعتبروا نظرتهم كحقيقة ثابتة، فبات التصريح بها مسألة طبيعية. ومهما كنت في وضع محرج، اعلم اني أنا بروسبارو، دوق ميلانو، المبعد بصدفة غريبة عن امارتي الى هذا الساحل النائي حيث كدت أنت تفرق ذات يوم قد أصبحت سيد هذه الجزيرة. ان قولك يكفيني ما دام الذي سرده ليس إلا وقائع تاريخية مفصلة يوما فيوما، لا رواية مختلقة للتفكهة والتسلية تعتبر كحلقة أولى لاستنباطات لاحقة. فأهلا وسهلا يا مولاي. هذا الكوخ هو اليوم بلاطي وعندي هنا عدد زهيد من الخدم، انما لا رعية البتة لي في هذه الجزيرة. ولكن تبصّر بما أتيّنه لك لتوقن بحقي في امارتي التي تنوي

اعادتها اليّ، وأنا على أتم الاستعداد لأن أرد لك يوما هذا الجميل أضعافا. اذ لا بد من أعجوبة لتحقيق رغبتى وتلبية نداء أهالي امارتى.

(يكشف فردينان وميراندا وهما يلعبان الشطرنج)

ميراندا : مولاي العزيز، يبدو عليك انك لن تخدعني ولن تخيب رجائي.
فردينان : أنا يا حبيبتى ؟ لا شيء في الدنيا يدعوني الى مثل هذا التصرف الأرعن.

ميراندا : ولو خاصمت لأجلي عشرين مملكة، سأظل أعتبر صنيعة لعبة غامضة.

آلونزو : ان كان الأمر كذلك، أكون بالنسبة الى هذه الجزيرة قد فقدت مرتين ابني الحبيب.

سيمستيان : ما أغرب قضيتك !

فردينان : مهما زمجر البحر يعتبر حليما، وأكون أنا قد لعنته ظلما وبهتاناً.
(يركع).

آلونزو : أخيرا أمنحك بركتي الأبوية وحنوي الذي يملأ صدري بهجة وسرورا بلقائك. فانهض وأخبرني كيف امكنك الوصول الى هنا.

ميراندا : يا إلهي، كم من الرجال الصالحين يظهرون هنا بغتة، ورائدهم الخير والاخلاص ! مرحا لهذا العالم الجديد الذي يكثر فيه هؤلاء الناس الراتعين بصبيحة جميلة كهذه.

بروسبارو : أهذا غريب عليك يا ولدي ؟

آلونزو : من هي هذه الصبية التي تجاملك، ولم يمر على وجودها معنا أكثر من ثلاث ساعات ؟ أهى الإلهة التي فرقت بيننا، والتي جمعتنا في هذا الظرف السعيد ؟

فردينان : مولاي، هي من البشر، وقد ارسلتها العناية الإلهية لتهوّن عليّ بعطفها وحنانها حراجة مأزقي. وقد ملت اليها وأنا بعيد جدا عن والدي، ولا سبيل لي الى طلب مساعدته، لاقتناعي بأنني لن أستطيع الحصول عليها. هي ابنة دوق ميلانو الشهير الذي لا بد من أن يتذكر اني أشدت به يوما ولم يتسنّ

لي حتى هذه الساعة أن أراه وأشكره، وقد أنقذني ووهبني حياة جديدة فأصبح لي أبا ثانيا جادت عليّ به هذه الصبية الرائعة.

آلونزو : وها هي أيضا تجد أبا جديدا. ولا عجب ان يتحتم عليّ بالمقابل التماس العفو من ابنتي.

بروسبارو : دع عنك هذه الهواجس يا مولاي. الأولى بك أن لا ترهق نفسك بمثل هذا الهم الثقيل الذي نزل الان عن كاهلك.

غزالو : كنت أمسكت دموعي لولا اشتراكي في الحديث الحاضر. حولي أنظارك عني أيتها الآلة، وتكرمي بتتويج هذين الزوجين اللاتقين باكليل العز والهناء. فأنت وحدك برأفتك ورعايتك دللتنا على طريق الخلاص الذي سلكناه الى هنا.

آلونزو : آمين يا غزالو، آمين.

غزالو : هل كان على ميلانو أن تنبذ أبناءها وذريتهم وتحرمهم ارثهم في مملكة نابولي ؟ ابتهجوا واسعدوا لكي تحملوا هذه التيجان الذهبية بفخر الى الابد. ففي احدى الرحلات اهدت كلاريال الى زوج من تونس، ولاقى أخوها فردينان عروسا وهو تائه، وبروسبارو خسر امارته وها هو الان يعيش في جزيرة صغيرة لأن كلا منا ضاع في جهة حين لم يعد يعرف مقدار ذاته. آلونزو (لفردينان وميراندا) : هاتا يديكما يا عزيزي فالتعاسة والآلام تعصر قلبي حاليا، وأنا لا أريد لكما الا السعادة والرخاء. غزالو : آمين، ثم آمين.

(يدخل لريال ويوجه الربان ورئيس الملاحين مدهوشين)

أنظر يا مولاي، أنظر. هذان أيضا من أتباعنا. ها قد تحققت توقعاتي. ان كان لا يزال من مشنقة في الوجود، فهذا الباسل لن يستحق أبدا أن يعلق عليها. لا تجدف اذا. من منا يسهه أن يعاند العناية الربانية في عرض البحر الهائج، ولا يشكر الظروف التي أتاحت له النزول الى الشاطئ ؟ هل فقدتم موهبة النطق حتى سكتكم هكذا ؟ ما وراءكم من الأخبار ؟

الرئيس: أفضل خبر هو اننا وجدناكم بخير سالمين. يا ملكنا المبعجل، ويا رجال الحاشية، باستطاعتكم أن تناموا ملء جفونكم لأن سفينتنا التي ظننا منذ ثلاث

ساعات انها تحطمت، ها هي تعوم سليمة على صفحة الماء، وأشرعتها مرفوعة كما كانت يوم نزولنا الى البحر.

اريال (لبروسبارو) : لقد قمت بهذه المهمة وحدي يا مولاي.

بروسبارو : ما أنشطك أيها الروح الخير !

آلونزو : ان مثل هذه الأحداث ليست عادية لأنها تسير من سيء الى أسوأ، بدون مهادنة. ألا اخبروني كيف وصلتكم الى هنا ؟

الرئيس : أنا أفترض يا مولاي، اني لا أزال أتذكر كل شيء، وأحاول جهدي أن أعلمك كيف. كنا متمددين جميعنا على الأرض راquدين كالأموات. ولا أدري بأية أعجوبة وجدنا ذواتنا في مأمن داخل السفينة حيث سمعنا صخباً مروعاً وزمجرة هائلة وقعقة حديد وزئيراً وأزيزاً وكلها تحدث ضجة جهنمية متزايدة، أيقظتنا مذعورين، فانتفضنا جميعاً، وبادرنا الى اعداد سفينتنا الملكية الجميلة، اذ أبصرنا الربان مشدوها لا يتمالك نفسه للوقوف على رجله. وبدون أن ندري كيف، تفرقنا كأننا في حلم ووصلنا الى هنا ونحن نكاد نفقد رشدنا.

اريال (لبروسبارو) : هل أنت راض عن النتيجة ؟

بروسبارو : أجل، كل الرضى. ولذا ستكون حراً طليقاً.

آلونزو : ما أصعب تنقلنا فوق هذه التضاريس التي لم تطأها أقدام انسان قبلنا ! ان في هذا التشابك المخيف ما يتخطى تسلسل الامور بصورة طبيعية. فلا بد لنا من انتظار نزول الوحي علينا لنتمكن من ادراك كنه ما حدث لنا ومغزاه.

بروسبارو : يا ملكي المحبوب، لا تجهد ذهنك لتفسير غرابة ما أصابنا. فعندما يحين الأوان تتضح هذه الغوامض المدهامة، وترى الأسباب الحقيقية التي جرّت علينا هذه المفاجآت، وأدت بنا الى هذا المصير المؤلم. فهذه روعك ودع الامور تسير في مجراها. (لاريال) : اقرب أيها الروح، وأنقذ كليان وجماعته، وفك عقدة هذا السحر.

(يخرج اريال)

هل اقتنعت يا مليكي المفدى، بأن حاشيتك ينقصها بعض الأشخاص الذين غابوا عن ذهنك بدون شك ؟

(يعود اربال وهو يدفع امامه كليان واستيفانو وترنكولو، وهم في هندامهم المرسوق)

استيفانو : لا غنى للجميع عن واحد، كما ان لا غنى للواحد عن الجميع. ليفكر كل منا بنفسه لأننا لا نلاقي حولنا سوى البؤس. تشجع أيها الغول الضخم، تشجع.

ترنكولو : اذا صدقت عيناى وبانت لي حقيقة ما يجري حولي سيتجلى لي مشهد نادر.

كليان : مرحى لهذه الأرواح، فما أجملها ! وما أكرم معلمي أيضا ! غير اني أخشى الان أن يعاقبني.

سيستيان : هه، ها. يا مولاي انطونيو، ما هذا الكلام ؟ هل نحن في مرج وضخم ؟

انطونيو : الأمر كذلك على ما أرى. ان أحد الحاضرين، وهو كالحوت ضخامة، سيلقي خطابا هاما.

بروسبارو : تأملوا وتعجبوا، ثم احكموا على مراتب هؤلاء الناس، واحزروا يا سادة كم يساوون. فالتبجح الخبيث، كانت أمه ساحرة داهية شاءت أن تحكم القمر وتعقد أموره وتحيق بدائرته وتغتصب قوته، واذا بالثلاثة يجتمعون ليسرقوني. ان نصف الشيطان هذا، بل ابليس بشحمه ولحمه قد اشترك معهم بالجرم وكاد يسلبني حياتي. وأنتم تعرفون جيدا اثنين من الجنة الذين عليكم أن تحاذروهم. ولذلك وجب علي أن أعترف لكم بما جرى.

كليان : هذا يؤلمني جدا.

آلونزو : أوليس استيفانو السكير هو الذي يسهر على تدبير شؤون منزلي ؟

سيستيان : ها هوذا الان سكران ايضا. فمن اين جاء بالخمير يا ترى ؟

آلونزو : ترنكولو هو ايضا مخمور، لا يتمالك نفسه من الترنح والانهيال. فمن اين اتيا بالمشروب الذي أفقدهما الرشد ؟ وما هو دورك أنت في هذه المشكلة ؟

ترنكولو : منذ مدة، انا أتحمّل مسؤولية هذه الشواذات التي اخشئ ان تنتهي الى ما لا تحمد عقباه.

استيفانو : ارجوك بنوع خاص ان تدعني وشأني. فأنا لم اعد استيفانو المعهود، بل تحولت الى كتلة أعصاب متوترة.

بروسبارو : هل صحيح، يا خبيث، انك تريد ان تصير ملك الجزيرة؟

استيفانو : لو شئت لأمسيت ملكا شرعيا ومتوجا.

آلونزو : هذا أعجب مخلوق شاهدته في حياتي (يشير الى كليان).

بروسبارو : حركاته مختلة كوجهه المشوه. اذهب يا محتال واصطبج رفاقك الى كوخى، اذا اردت أن تظفر بعقوي، والشرط ان تكون تصرفاتك مرضية.

كليان : ها انذا أود ان اكون رصينا منذ الان، لأنال الحظوة في عينيك.

ولكن ما أغباني مثني ومثلثا في اتخاذ السكير معبودا! أنا أعبد صنما؟

بروسبارو : ما هذا الكلام؟ هيا اذهب.

آلونزو : بعيدا، بعيدا جدا من هنا. وأرجع هذه البردة الى حيث وجدتها.

سيستيان : او بالحري سرقتها، ايها اللص الشريف.

يخرج كليان واستيفانو وترنكولو)

بروسبارو : مولاي، انا ادعو جلالتك وحاشيتك الى كوخى الحقيير لتأخذوا

قسطا من الراحة. سأقضي قسما من هذه الليلة في القاء خطابي، ولا أشك بأن

الوقت سيمر سريعا اثناء سرد قصة حياتي مع تفاصيل المغامرة الهائلة التي

اوصلتنا الى هذه الجزيرة. منذ الصباح الباكر سأرافقك في سفينتك الى نابولي

حيث آمل ان أحضر العرس ومراسم زفاف ولدنا. ثم أنسحب الى مدينتي

ميلانو، ولن أفكر بعد ذلك الا بالاستعداد لمواجهة ربي عند انتقاله الى العالم

الآخر.

آلونزو : اني أتوق الى سماع سيرتك المشوقة.

بروسبارو : سأروي في سياقها كل ما حدث، وأنا أؤكد لك بأن يكون البحر

هادئا والهواء معتدلا، والاشعة مرفوعة لتتهادى سفينتك على صفحة الماء

وتنضم بأمان الى أسطولك الملكي الصغير. يا صديقي اريال، هذه آخر مهمة

أكلفك بها. ثم تنطلق بسلام، وتكون حرا. الوداع اذاً. سر أمامي لأتبعك.

(يخرج جان)

(خاتمة يلقيها بروسبارو).

بروسبارو : لقد بطل السحر وصرت في حل منه، وأعدت الى الكلمة مفادها الاصيل الذي يحسم القضية نهائيا ويعوض عما فات. فلا تعزلوني على ارض هذه الجزيرة المهجورة التي انتفت عنها كل فضيلة، وإلا استولى عليّ اليأس القاتل. ترى، هل بلغت هنا غايتي؟ في الحقيقة، انا سعيد لانني وجدتكم حيث تتبدد الطلاسم، ويتبخر الوهم وينعدم استبداد الارواح. هل حقا اجتمع شملنا بعد زوال المحنة عنا؟ ان كل انكالي هو على همّتكم. وفيما انا أتهيأ للعودة، أحتاج الى سواعدكم المفتولة لتؤازروني. ومتى بُرئت ساحتنا، سيُفك أسرناء، وسننعم جميعنا بالمهادنة. فهيا ننفذ عنا غبار الماضي، ونرحل من هنا سالمين.

﴿ تَمَّت ﴾

سَيِّدَانِ مِنْ قَيْرُونَا

تَعْرِيب

أ. ر. مَشَاطِي

أشخاص المسرحية

دوق ميلانو : والد سيلفيا

فالتينو { سيدان من فيرونا
بروتيو }

انطونيو : والد بروتيو

توريو : مزاحم فالتينو

أكلامور : رفيق سيلفيا في هربها

ديليجنس : غلام فالتينو

لنسيو : غلام بروتيو

بنتينو : وكيل انطونيو

صاحب فندق تقيم جوليا عنده في ميلانو

لصوص

جوليا : سيده من فيرونا وحببية بروتيو

سيلفيا : حببية فالتينو

لوسيا : مرافقة جوليا

خدم وموسيقيون

الأحداث تجري تارةً في ميلانو، وطورا في فيرونا، وأحيانا في

غابة على طريق مَنتَوَا.

الفصل الأول

المشهد الأول

ساحة مدينة فيرونا

(يدخل فالتينو وبروتيو)

فالتينو : كَفَّ عن اقناعي يا عزيزي بروتيو بأن الشباب الذي تنحصر آماله في البيت هو دائما شباب محدود. لو لم يكن الهوى حليف ايامك الحلوة من خلال سحر عيني الصبية التي تحبها، لكنك طلبت منك ان تسرح معي وترى عجائب الدنيا بدلا من ان تعيش حيث انت، حياة مضطربة، وتبدد شبابك في مجون ميتدل. ولكن بما انك عاشق، عليك ان تتبع عواطفك، كما أتوخى انا المرح والهناء عندما يهب عليّ نسيم الحب.

بروتيو : ان كنت تريد ان تسافر يا عزيزي فالتينو، تذكر صديقك بروتيو ولا سيما عندما تبصر صدفة طرُفاً نادرة تستحق الاهتمام اثناء تجوالك. وحاول ان تشركني بمتعائك حالما تسنح لك الفرصة، اذ تروي لي المغامرات التي تعترض سبيلك، وأنا ادعو الله ان يبعد عنك المشاكل والاحزان.

فالتينو : أجل، صليّ لاجل نجاحي في الحب.

بروتيو : سأصليّ لاجلك ضمن نطاق ما أتمناه لك.

فالتينو : بل لا اكتمال قصة غرام شيقة كما جرى لصاحبك الذي ناجى حبيبته في المنام.

بروتيو : هذه رواية حب اروع من كل ما سمعت به. لان زميلك غائص في احلام اليقظة.

فالتينو : هذا صحيح. وأنت ايضا غارق في بحر الهوى أو ما ناجيت حبيبك في رابعة النهار ؟

بروتيو : آنا غارق في بحر الهوى ؟ لا تشغل بالك، يا صديقي العزيز.

فالتينو : صدّقني، وان كان ذلك بعيد الاحتمال، ومهما تجاهلت الحقيقة.

بروتيو : ماذا تقول ؟

فالتينو : عندما يكون المرء عاشقا يفضح نفسه بما ينتابه من الهم والكدر والدموع والنظرات التائهة القلقة والآهات الخائفة والمتعات العابرة والليالي الطويلة التي يقضيها بالسهاد والحيرة والسأم. ففي حال فوزك بالمني، سيكون فلاحك وبالا عليك، وفي حال خيبتك، سيكون عذابك مبرّحا لا يعوض عنه أي نجاح. هذا حتما ضرب من الجنون يتعدى كل حرص، أو قل هو التعقّل المبطلّ بالهوس.

بروتيو : أهكذا تلخص وضعي وتتهمني بقلة التبصّر ؟

فالتينو : في الحقيقة أنت تستنتج غير الواقع، وأنا اخشى عليك ان تفقد صوابك.

بروتيو : اراك تلومني على ولهي، بينما أنا لست هائما.

فالتينو : اعلم ان الحب سيد مستبدّ في تسلطه، ومن يستسلم هكذا الى عواطفه لا يتصف بالحكمة ابدا.

بروتيو : مع ذلك يقول العارفون : كما ان الدمل الخبيث يكمن في أصغر البثور هكذا العشق القاتل يتسرب الى أصفى الاذهان.

فالتينو : وحسب قول العارفين ايضا : كما ان السوس يفتك بالبرعم المبكر قبل ان يفتتح، هكذا يتعرض شباب الفتى الغض، بفعل الهوى، الى جنون مطبق، ويندوي وهو لا يزال غرسة طرية العود. ومنذ اول نشأته يفقد نضارته ورونقه ويخسر زهو مستقبله. ولكن لماذا أضيع الوقت في اسداء النصيح اليك انت الذي كرسيت حياتك لمثل هذه الاشواق المتهافّة. مرة ثانية اقول لك الوداع، لان والدي ينتظرني في المرفأ ليشيعني.

بروتيو : سأوصلك الى هناك، يا فالتينو.

فالتينو : كلا، يا عزيزي بروتيو. ليودّع احدنا الآخر هنا. ثم لا تتماهل في الكتابة لي الى ميلانو عن نجاحك في الغرام، وعن كل ما يجّد معك اثناء غيابي. وأنا بدوري لن أؤخر عليك رسائلي.

بروتيو : أتمنى لك كل التوفيق والسعادة في ميلانو.

فالتينو : وأنا كذلك. فالوداع. (يخرج فالتينو).

بروتيو : هو يسعى وراء غار الامجاد، وأنا اسعى وراء مسرات الحب. هو يغادر اصحابه ليزيد افتخارهم به، وأنا أستسلم، متناسيا كل مشاغلي حتى نفسي، الى مباحج الهوى ومتعاته. آه ! يا عزيزتي جوليا، انت وحدك سبب تحوّلي هذا. وأنتِ سبب تهاوني في دروسي واضاعتي وقتي وتهربي من أخلص الارشادات، وتردي كياني برمته في هاوية العدم. فالذنب كله ذنبك في ارهاق فكري بالاحلام، وقلبي بلوعة العشق، علّة العلل.

(يدخل ديليجنس)

ديليجنس : نهارك سعيد، يا سيدي بروتيو. هل شاهدت معلمي فالتينو ؟

بروتيو : لقد ذهب منذ لحظة للابحار الى ميلانو.

ديليجنس : أراهن بواحد مقابل عشرين، على وجوده الان على متن السفينة، وأنا أوصل البحث عنه منذ ان غاب عن ناظري.

بروتيو : غالبا ما يضيع الخروف اثناء غياب الراعي.

ديليجنس : انت تعتبر ان معلمي راعٍ وانني كبش بقرنين.

بروتيو : أجل.

ديليجنس : اذا قرناي هما قرناه، سواء نمّت أو سهرت.

بروتيو : جوابك سخيف ولا أستغرب صدوره عن حيوان مثلك.

ديليجنس : وما البرهان على اني حيوان ؟

بروتيو : الامر واضح، ما دام سيدك راعيك.

ديليجنس : انا أثبت لك العكس تماما، وحجّتي دامغة.

بروتيو : اكون على خطأ ميين ان لم أثبت لك ذلك ببرهان معاكس أقوى.

ديليجنس : الراعي يسعى وراء الكبش، لا الكبش وراء الراعي. وها انا اسعى

وراء معلمي، وهو لا يسعى ورائي. فإذا أنا لست بحيوان.
بروتيو : الكبش يتبع الراعي للحصول على العلف، ولا يسعى الراعي وراء
الكبش لكسب أي مغنم. وبما أنك تسعى وراء معلمك لنيل أجره، ولا يسعى
إليك معلمك لنفس الغاية فأنت إذا حيوان.

ديليجنس : إذا جئتني بيرهان آخر كهذا، جعلتني أصرخ : ماع.
بروتيو : ولكن اسمع. هل سلّمت جوليا رسالتي ؟
ديليجنس : أجل، يا مولاي. أنا الخروف المسكين النائه، لم أتأخر في تسليم
رسالتك إلى النعجة الضالة التي لم تعطيني فلسا.
بروتيو : ألاحظ أن المرعى غير كاف لكل هذا القطيع.
ديليجنس : إذا كانت نعتك لا تجد ما يشبعها، فما عليك إلا أن تزيد لها
العلف.

بروتيو : تباً لك من مغفل. سأرسلك أنت أيضاً إلى المرعى.
ديليجنس : لتسليم تحرير جديد، فاستحق على الأقل مئة فلس.
بروتيو : كيف تطالبني بمبلغ ضخّم كهذا، وأنا لست مدينا لك بفلس واحد ؟
(يقوم ديليجنس بحركة اشمئزاز). هل هزّت هي رأسها ؟
ديليجنس : هه، ها.

بروتيو : أسألك هل هزّت رأسها ؟
ديليجنس : بدون شك، يا سيدي. لأن لها عنقا طويلا ورأسا عاليا.
بروتيو : يا لك من بغل سمج.

ديليجنس : أحقا أنت تظنني دابة لا تصلح إلا للاشغال الشاقة ؟
بروتيو : كيف تقول هذا، يا صاح ؟
ديليجنس : أنت تحملني مكاتيك وتكيل لي هذا المديح، ثم تدعوني بغلا ؟
وهكذا تستخدمني كدابة للاشغال الشاقة.

بروتيو : يا ملعون، كم أنت متوقد الذهن !
ديليجنس : ان ما لديّ من نباهة لا يكفي مع ذلك لحل كيس نقود محكم
الربط مثل كيسك.

بروتيو : هيا أفدني بصراحة وإيجاز ماذا أبلغتك ؟

ديليجنس : افتح كيسك اولاً، فأفتح لك صدري حالا.
بروتيو (يعطيه قطعة نقود) : خذ هذا يا صاحبي لقاء خدمتك، واخبرني ماذا
قالت لك ؟

ديليجنس : أعتقد حقاً، يا سيدي، بأنك لن تستحوذ على قلبها بسهولة.
بروتيو : كيف تبين لك ذلك ؟

ديليجنس : انا لم استطع ان أستوضحها. وهي لم تعطني فلساً واحداً لقاء
تسليمها رسالتك. لذا أخشى من جراء ما ضنت به عليّ، ان تبخل عليك
بعواطفها بالرغم مما تبديه انت نحوها من مودة. واذا اردت ان تستولي على
قلبها فلن تفلح ان عاملتها باللين، لان عنادها في الحقيقة أصلب من الحديد.
بروتيو : كيف لم تنطق بكلمة ؟

ديليجنس : انها لم تقل لي حتى : خذ هذا لقاء خدمتك. بينما انت، برهانا
على سخائلك، اعطيني ستة فلوس، وأنا لك من الشاكرين. عليك من الان
وصاعدا ان تسلمها انت مكاتيك يدا بيد. وما عليّ انا الا ان أوصي معلمي
بك خيراً، يا سيدي.

بروتيو : اذهب بسرعة، وأنقذ من الغرق سفيتك الراحلة، لانها لن تهلك اذا
كنت على متنها. اما موتك فسيكون أشنع، اذا بقيت على الارض اليابسة. ثم
عليّ ان ارسل تحريراً يليق بالمقام. وأخشى ان تزدرى جوليا بأشعاري ان
وصلتها على يد رسول نظيرك ليس اهلاً للثقة.

(يخرجان)

المشهد الثاني

مدينة فيرونا — في حديقة منزل جوليا

(تدخل جوليا ومعها لوسيا)

جوليا : ما قولك يا لوسيا الان ونحن وحدنا ؟ هل تنصحيني بأن أصغي الى نداء الحب ؟

لوسيا : نعم يا سيدتي. شرط ان لا تخزي صريفة سهامه.

جوليا : من بين جميع الوجهاء الذين يغازلونني بالكلام المعسول كل يوم، من هو في نظرك أكمل العشاق ؟

لوسيا : تفضلي وكرري اسماءهم على مسمعي، فأصارك برأيي بدون موارد.

جوليا : كيف تجددين السيد اكلامور، البهي الطلعة ؟

لوسيا : هو فارس لبق الحديث انيق لطيف. غير اني لو كنت في محلك لما وقع عليه اختياري مطلقا.

جوليا : وما رأيك بالغني مركوتيو ؟

لوسيا : ثروته لا بأس بها، انما شخصيته لا تعجبني.

جوليا : وما قولك بالظريف بروتيو ؟

لوسيا : رباه ! كم تسيطر الحماسة علينا احيانا !

جوليا : ما معنى تلميحك الغريب هذا ؟

لوسيا : سامحيني، يا سيدتي. معاذ الله ان ألفظ، انا المخلوقة الوضيعة، أية ملاحظة بحق احد هؤلاء الوجهاء.

جوليا : ولماذا استثيت بروتيو من الجماعة ؟

لوسيا : لانني من بين كل الصالحين أعتقد انه افضلهم.

جوليا : وماذا يدعوك الى هذا الاعتقاد ؟

لوسيا : ليس من سبب الا منطق حواء. فأنا أعتقد ما أعتقد بكل عفوية ونزاهة.

جوليا : وتودّين ان أرسى عليه اختياري وأخصه بمحبتى.
لوسيا : أجل، اذا كنت تؤمنين بأن حبك لن يذهب أدراج الرياح.
جوليا : فى الحقيقة، هو الوحيد الذي يلح عليّ أقل من سواء.
لوسيا : لانه، على ما ارى، هو وحده الذي يهواك أكثر منهم جميعا.
جوليا : لكن تصريحاته النادرة تدل على ضالة تعلّقه بي.
لوسيا : لا تنسى ان النار المتأججة تكوي بحرارة متلفة.
جوليا : انما من لا يظهر عواطفه لا يهوى ابدا.
لوسيا : صديقى، ان من يبالغ فى طرح غرامه يحب أقل من سواء.
جوليا : كم أود ان اعرف فكره !
لوسيا (وهي تسلمها مغلفا) : اطلّعي اذاً على هذه الرسالة، يا سيدتى، فتنبئك بما تحبّذين.

جوليا (تقرأ) : « الى جوليا ». قولى لى من هو صاحبها ؟

لوسيا : من المضمون تعرفين المرسل.

جوليا : بربك، من سلمك اياها ؟

لوسيا : غلام السيد فالتينو، من قبل بروتيو، على ما أعتقد. وكان بوده هو ان يسلمك اياها. لكنه رآني فى الطريق فحملنيها لأوصلها اليك. فأرجوك ان تسامحيني على تسرعى.

جوليا : انت حقا وسيطة غير جديرة بالثقة، لانك لم تترددي فى قبولك هذه الاسطر الغزلية، وفي تأمرك خفية على مستقبل شبايى، لعمري، هذه مهمة وافرة الريح، تدل على انك عميلة ممتازة. هيا خذي هذه الرسالة وابذلي جهدك لردها بأقرب وقت، وإلا طردتك وأقصيتك الى الابد عن خدمتي.
لوسيا : أعتقد بأن الدفاع عن الحب يستحق اجرا غير الحقد والاحتقار.
جوليا : أتريدن ان تذهبي ؟

لوسيا : لأدعك تفكرين بالامر مليا ؟ (تخرج).

جوليا : هذا لا يهمنى. انما كان الانسب ان ألقى نظرة على هذه الرسالة. لكن من العيب ان اناذيها الان وأرجوها ان تطلّعنى على ما سبّب لها تعنيفي لانها استلمت هذه الاسطر دون اذني. تباً لها من حمقاء ! هي تعلم انى صبية

نظير سائر الصبايا. فلماذا لم تلح على اطلاق علي مضمون الرسالة ؟ ان الفتاة ترفض بعض العروض حياء، بينما هي تضرر قبولها. ويحا لهذا الحب النزق العنيد، انه كالطفل الذي يخدش وجنة امه وهو يقبلها بلهفة. لماذا أثبت لوسيا بقسوة ؟ وكان علي ان أستميلها. كم تصنعت التظاهر بالغضب، وقلبي يرقص طربا بين حنايا ضلوعي ! فتعويضا عن توييخي اياها سأناديها وأعتذر لها عن سوء تصرفي. تعالي يا لوسيا.

لوسيا : بماذا تأمر سيدتي الجلييلة ؟

جوليا : هل حان وقت الغداء ؟

لوسيا (وهي تنحني كأنها تلم شيئا عن الأرض) : أود ان يحين، لكي يهدأ بالك على طعامك، لا على خادمتك.

جوليا : ماذا لمت عن الارض بهذه الخفة ؟

لوسيا : لا شيء.

جوليا : لماذا اذاً انحنيت ؟

لوسيا : لألتقط ورقة.

جوليا : وهل هي هكذا هامة ؟

لوسيا : هي لا تخصني.

جوليا : اذاً، عليك ان تركيها حيث كانت.

لوسيا : لا أظن ان فيها ما يستدعي الكتمان.

جوليا : لا بد من ان يكون مصدرها عاشق متيم ضمنها لواعج فؤاده بكلام رقيق.

لوسيا : لكي يتسنى لي انشاده، هات لحننا مناسباً، ما دمت تجيدين التنغيم.

جوليا : على قدر الامكان. يمكنك ان تغني على أي نغم يعجبك.

لوسيا : الكلمات عويصة المعاني، ويقتضيها نغم يليق بها.

جوليا : مهما كانت عويصة، لا بد من ايجاد لحن ينطبق عليها.

لوسيا : وهذا اللحن يجب أن يكون رخيماً اذا اردت ان تغنيه انت بنفسك.

جوليا : ولماذا لا تنشدينه انت بصوتك الجميل ؟

لوسيا : انا لا أجيد غناء مثل هذه الكلمات العاطفية.

جوليا : اسمعي ما يجول في خاطري. (تأخذ الورقة وتدمدم). ما رأيك بهذا النغم يا عزيزتي ؟

لوسيا : تابعه حتى النهاية. مع ذلك اسمحي لي بأن أصارحك بأنه لا يروق لي كثيرا.

جوليا : ألا يعجبك ؟

لوسيا : كلا، يا سيدتي، هو مرتفع الطيقة جدا.

جوليا : انت في غاية الجسارة، يا فتاة.

لوسيا : وهذا التعبير من مستوى منخفض جدا. لقد غيّرت السلم فجأة، بينما لا بد من المحافظة على الوحدة ليستقيم الانشاد.

جوليا : كيف استطيع ذلك عندما تبشرين انت بمثل هذا العلو ؟

لوسيا : انا لا أرفع صوتي الا للدفاع عنك. آه ! اين انت يا بروتيو ؟

جوليا : لا أريد ان يزعجني أحد بمثل هذه الثثرة. اليك قراري النهائي في موضوع الرسالة. (تمزق الرسالة). اذهبي وانثري هذه القطع وبعثرها في الفضاء. وان احتفظت بها سأسخط عليك.

لوسيا (على حدة) : ها هي الان تتظاهر بالاستياء، ولكنها ستطرب حتما لوصول رسالة ثانية مثلها. (تخرج).

جوليا : لا سمح الله ان أسخط بسبب هذه الرسالة. ما أغباني لكوني مزقت هذه الاسطر الرقيقة، ومما أعقني كحشرة طائشة تذوق العسل ولا تتورع عن لسع النحلة التي انتجته. (تلمّ بعض قطع الرسالة). وللتعويض عن غلطتي أود ان أقبل هذه القطع. فعلى هذه مكتوب : « عزيزتي جوليا ». قبحا لك من جاهلة غبية، يا جوليا. فلمعاقبتني على تسرعي سأدوس اسمي وأسحقه بقدمي ازدراء واحتقارا (ترمي القطع الى الأرض). وعلى تلك مكتوب « بروتيو جريح سهام الحب ». يا لك من اسم عذب أضناه الشقاء. سأجعل له من صدري مقاما يرتاح اليه حتى يشفى تماما. دعني أضمد جرحك بقبلة كالبلسم (تقبل القطعة وتضمها الى صدرها). وهذا اسم بروتيو مكتوب مرتين او ثلاثة. اهدئي ابتها الرياح، ولا تبددي حرفا من هذه الرسالة. سأحتفظ بكل ألفاظها الحلوة، ما عدا اسمي انا الذي لا أبالي ان حمله الإعصار وهشمه على

صخرة نائمة، ثم ابتلعه لجج البحر الهائج. وها هوذا اسمه يتردد في عبارتين :
« المسكين بروتيو المهجور »، ثم « بروتيو المشتاق الى فانتته جوليا ». اما
اسمي انا فسأمزقه اربا اربا. لكن لا، انه ينسجم برفقة مع اسم عاشقي الشاكي.
سأضمهما الواحد الى الآخر هكذا وأدعهما يتعانقان ويتبادلان القبل، ويتناجيان
كما يحلو لهما.

(تعود لوسيا)

لوسيا : الغداء جاهز، يا سيدتي، والدك ينتظر.
جوليا : هيا بنا اذًا.
لوسيا : هل تتركين هذه الاوراق المورطة هنا ؟
جوليا : اذا شئت اخفائها، خذوها معك.
لوسيا : لقد أثبتتي على استلامها، فيجب أن لا تظل هنا تحت نظر أي كان.
جوليا : اراك كثيرة الاهتمام بها.
لوسيا : نعم، يا سيدتي. لك ان تقولي ما تشائين، وأنا كذلك. فأرجوك ان
تصدقيني بدون ان تطرق أي شك الى قلبك.
جوليا : هيا بنا. ألا تودين الذهاب ؟

المشهد الثالث

مدينة فيرونا — في منزل انطونيو

(يدخل انطونيو وبتينو)

انطونيو : قل لي، يا بتينو، ما هذا الحديث الجدّي الذي وجّهه اليك اخي
اثناء خلوتكما ؟
بتينو : كان كلامه يدور حول ابنك بروتيو.
انطونيو : وماذا قال عنه ؟
بتينو : لقد تعجّب، يا سيدي، كيف تركته يبدد شبابه هنا، بينما غيره من
الناس الذين لا يقدّرون المواقب مثلك، يدعون ابناءهم يبحثون عن مهنة :

البعض في الحرب ابتغاء جمع المال، والبعض الآخر في الاكتشافات المثمرة او في متابعة دروسهم في الجامعة. وكان يؤكد ان ولدك بروتيو يستطيع تجربة جميع هذه الوسائل، ويلج عليّ كي لا اتركك تفصح له المجال لتضييع وقته هنا اكثر مما فعل، ما دام ذلك يعود عليه بالضرر من جراء عدم قيامه بأية رحلة في شبابه.

انطونيو : انت لست بحاجة الى الالاحاح عليّ في هذا الموضوع لان هذه القضية تشغل بالي منذ شهر تقريبا. لقد قلت في نفسي انه اذا بقي على ما هو سيضيع وقته، وانه لن يصبح رجلا قديرا الا اذا أقبل على مدرسة الحياة. فالخبرة تكتسب بالممارسة وتكتمل مع الزمن الذي يمر مسرعا. والآن عليّ ان ارسله.

بنتينو : سيادتك لا تجهل ان رفيقه الشاب فالتينو ملحق في بلاط الامبراطور. انطونيو : أعرف ذلك جيدا.

بنتينو : ومن المستحسن، على ما أعتقد، ان ترسله هو أيضا الى هناك حيث يزداد خبرة في أصول المعاملات الرسمية، اذ يستمع الى لغة راقية ويعاشر كبار الشخصيات، وتكون في متناول يده شتى المعلومات التي تليق بشبابه ونبل محتده.

انطونيو : انا اشكرك على نصيحتك لانها وليدة تفكيرك المصيب. ولكي ترى كم أقدر حكمتها سأنفذها فورا، وبأقصى السرعة سأرسل بروتيو الى البلاط الامبراطوري.

بنتينو : غدا، اذا شئت. ان دون ألفونسو وغيره من الوجهاء المعروفين سيذهبون لثحية الامبراطور ولوضع خدماتهم تحت تصرفه.

(يدخل بروتيو، وهو يقرأ رسالة، ولا يرى انطونيو ولا بنتينو)

بروتيو : ما أحلى الحب، ما أفسح الامل، ما أبهج الحياة ! ها هو لسانه ينوب عن قلبه، وها هذا وعود هيامه تبرز كعربون ولاته. كم أود ان يكون باستطاعة آبائنا ان يحبّوا ويباركوا غرامنا، فيوطنوا سعادتنا بموافقتهم. اين انت، يا جوليا، يا ملاكي ؟

انطونيو (لبروتيو بخشونة) : ما هذه الرسالة التي تقرأها ؟

بروتيو (بارتياك) : لا تقلق، يا سيدي. هي كلمة تذكّار ارسلها اليّ فالتينو بواسطة صديق قادم من قبله.

انطونيو : ناولني اياها، لكي أطلع على ما فيها من أخبار.

بروتيو : ليس فيها من انباء، يا سيدي. هو يطمئني بأنّه يعيش سعيدا محبوبا مغمورا بهبات الامبراطور، ويتمنى ان اكون بقره لأشاركه هناءه.

انطونيو : وكيف وقع هذا التمنيّ عليك ؟

بروتيو : نظير من يستسلم لمشيفة مولاه، وهو رهن اكتساب رضاه.

انطونيو : ان أمنيّ تنطبق على رغبته. مع ذلك لا تتصور انه استعجلني في اتخاذ قراري. فان ما اقصده، انا الذي أريده وكفى. ولقد قررت ان تقضي انت بعض الوقت بصحبة فالتينو في بلاط الامبراطور، والمال الذي تؤمّنه له أسرته سأخصك بمثله لاجل مصاريفك. فكن جاهزا للرحيل غدا. ولن أسامحك ان خالفت مشييتي، فأمرى ميرم ولا قبل بأن تتلكأ في تنفيذه.

بروتيو : يا مولاي، لا يسعني أن اكون جاهزا بالسرعة التي تفرضها عليّ. أتوسل اليك ان تمنحني مهلة يوم او يومين.

انطونيو : اسمع، سأرسل لك فيما بعد ما تحتاج اليه. غدا سترحل حتما. هيا، يا بنتينو، اهتم بتعجيل الاستعداد للسفر (يخرج انطونيو وبتينو).

بروتيو : هكذا أتقيت لهب النار خشية الاحتراق، وارتميت في البحر لأغرق فيه همومي. لم اشأ أن اطلع ابي على رسالة جوليا خوفا من معارضته حبي، واتخاذ هذه الحجة التي أتذرّع بها، وسيلة للمحيلة دون تحقيق حلمي. ما أشبه ربيع هذا الحب في زهوه العابر بيوم من شهر نيسان يسطع فيه نور الشمس، وقد اخذ الان يحتجب وراء السحاب !

(يعود بتينو)

بتينو : يا مولاي بروتيو، والدك يناديك، وهو مستعجل. فأرجوك ان توافيه حالا.

بروتيو : أجل، سأوافيه. مع ان قلبي المشتاق يحرضني الف مرة على الامتناع (يخرج ان).

الفصل الثاني

المشهد الأول

ميلانو — في قصر الدوق

(يدخل فالتينو ودليجنس)

دليجنس : أهذا قفازك ؟

فالتينو : لا، ليس لي، لأن قفازي في يدي.

دليجنس : هو ليس لك إذاً. مع انه قفاز مماثل للذي تلبسه.

فالتينو (يتناول القفاز) : أرني اياه. بلى، بلى، بلى هو لي، وسأحتفظ به. هو مستلزم أثيق يزين يدا ناعمة. ما أعذبك، يا سيلفيا !

دليجنس (يصرخ) : سيدتي سيلفيا، يا سيدتي سيلفيا.

فالتينو : ماذا تريد، يا غبي ؟

دليجنس : هي بعيدة لا يمكنها ان تسمعني.

فالتينو : ومن طلب منك أن تناديها ؟

دليجنس : سيادتك. هل انا مخطيء ؟

فالتينو : انت دائم الزوغان.

دليجنس : دائماً نصيبي الملامة بسبب اخلاصي.

فالتينو : هل تعرف السيدة سيلفيا ؟

ديليجنس : التي تحبها، يا سيدي ؟

فالتينو : وكيف علمت بأني أهواها ؟

ديليجنس : لعمري، ان الدلائل ظاهرة، لا تخفى على احد. أولاً، لأن موقفك، يا مولاي بروتيو، هو موقف الرجل المحتر. ثم لانك تنشد لحنا حزينا كنغم العنديل الكئيب، وتنزه وحدك كالمصاب بالبرص، وتتهجد كتلميذ أضاع كتابه، وتبكي نظير فتاة دفنت جدتها، وتصوم كمن فرضت عليه الحمية القاسية، وتسهر كمن يخشى السرقة، وأخيراً تتوسل كمتسول في ليلة العيد. في الماضي، عندما كنت تضحك كان صوتك اعلي من صياح الديك، وعندما تمشي كنت تكرر كالاسد، وعندما تصوم كنت توقت ذلك دوما بعد العشاء، وعندما تبدو ككيا كان ذلك بسبب افتقارك الى المال. والآن اراك تغيرت بسبب هجران حبيبتك الى درجة اني عندما انظر اليك يصعب عليّ التصديق انك معلمي.

فالتينو : أوتلاحظ عليّ كل هذه التبدلات ؟

ديليجنس : أجل، كلها تظهر على سيدي.

فالتينو : عليّ أنا ؟ هذا مستحيل.

ديليجنس : أجل، أجل، وفي جميع حركاتك. اذ من المؤكد ان لا يتّسم احد، بنفس البساطة. لان هذه المظاهر الغريبة لا تبدو على سيدي الا لانها تتصاعد من أعماق صدره وتبرز من خلال شخصه كما تتلأأ مياه الساقية. وعندما تقع عليها العين تستشّف ما يكمن خلفها من روعة كما يكتشف الطبيب الماهر علة مريضه من نظرة واحدة.

فالتينو : ولكن، قل لي هل تعرف السيدة سيلفيا ؟

ديليجنس : التي تأملتها طويلا اثناء العشاء ؟

فالتينو : هل لاحظت ذلك ؟ أجل هي بعينها.

ديليجنس : انا لا اعرفها.

فالتينو : كيف اذا رأيّتي انظر اليها وأنت لا تعرفها ؟

ديليجنس : أوليست هي الصبية الناعمة الجذابة، يا سيدي ؟

فالتينو : أجل، يا غبي. ان نعومتها تفوق جمالها.

ديليجنس : انا لا أعرف هذا، يا سيدي.

فالتينو : تباً لك من احمق ! وماذا تعرف ؟

ديليجنس : انك تخلع عليها مزايا لا تضاهيها اية خصال.

فالتينو : أعني ان بهاءها رائع، وأن خُلُقها لا يفي به وصف.

ديليجنس : الامر الاول خاضع للرسم، والثاني لا يحصره كلام.

فالتينو : كيف يُرسم وكيف لا يوصف ؟

ديليجنس : أعني انه يُرسم لإبراز محاسنها، وان لا احد من الرجال يتوصل الى تقديره حق قدره.

فالتينو : من تظنني ؟ اني أعلّق أهمية كبيرة على جمالها.

ديليجنس : انت لم تبصرها منذ تبديلها.

فالتينو : ومتى تغيرت ؟

ديليجنس : منذ وقوعك في هواها.

فالتينو : لقد احببتها من أول نظرة.

ديليجنس : اذا كنت مغرماً بها، فلا يسعك ان تشاهدها.

فالتينو : لماذا ؟

ديليجنس : لأن عين المحب كليله. آه ! لو رأيتها بعيني، لو ابصرتها في النور الذي غمرها حين لمت مولاي بروتيو على خروجه بدون ربطة ساق.

فالتينو : وماذا كنت رأيت ؟

ديليجنس : لأبصرت هوسك انت وقباحتها هي. عندما كان مولاي بروتيو عاشقاً، لم يكن يدري كيف يربط سير حذائه. اما انت فمَنْذ ان وقعت في حبال هواها، لم تعد تعرف كيف تلبس نعليك.

فالتينو : بلغني انك مغرم يا فتى. وصباح الامس لم تعرف كيف تمسح حذائي.

ديليجنس : هذا صحيح، يا سيدي. فأنا مولع بالرقاد في السرير. اشكرك على تلميحك الى هيامي هذا، لانه يشجعني على تنبيهك الى ما يعينك.

فالتينو : بالاختصار، انا احفظ لها في الواقع مودة صافية نزيهة.

ديليجنس : عندما تشفى من غرامك بها ستبتدد مودتك.

فالتينو : مساء الامس، طلبت مني ان أنظم لها بعض أشعار موجهة الى شخص تحبه.

ديليجنس : وهل ليئت طلبها ؟

فالتينو : نعم.

ديليجنس : فنظمتها كيفما جاءت.

فالتينو : كلا، يا سيدي. لقد بذلت أقصى جهدي لتأتي افضل ما يستطيع. ها هي الان مقبلة.

(تدخل سيلفيا)

ديليجنس (على حدة) : يا للمهزلة ! يا للتهريج ! ثرى كيف يعبر لها عن شعوره ؟

فالتينو : نهارك سعيد الف مرة، يا سيدي.

ديليجنس (على حدة) : المطلوب ان تمنى لنا ليلة سعيدة واحدة. فما بالك تجود بالملايين.

سيلفيا : يا مولاي فالتينو، وأنت يا خادمي الامين، عليكما مني الف سلام. ديليجنس (على حدة): عليه هو ان يدفع الفائدة، وعليها هي تسدد رأس المال. فالتينو (يسلم سيلفيا ورقة) : كما طلبت مني، كتبت لك الرسالة الموجهة الى صديقك المجهول الذي لم تذكر لي اسمه. ولولا رغبتني في ارضائك لرفضت القيام بالمهمة.

سيلفيا (تفحص الورقة) : اشكرك ايها الشاب اللطيف، لقد اجدت كأنك شاعر عبقرى.

فالتينو : صديقي، يا سيدتي، ان قلت لك ان مديحك في غير محله. بما اني أجهل الى من توجهين هذه الايات، فقد نظمتها بدون تحديد ولا تدقيق.

سيلفيا : وهل تطلب عملك عناء كبيرا ؟

فالتينو : كلا، يا سيدتي، ما دام ذلك يسرك. انت مريني فأنظم لك أضعاف ما سطرته. ومع ذلك...

سيلفيا : كلام جميل. نعم، وأنا أتوقع الباقي. مع ذلك، لا أجسر على قوله. ومع ذلك انا لا أهتم للامر. مع ذلك، راجع هذا. (تعطيه الرسالة) ومع ذلك،

اشكرك، لانني مصممة على عدم ازعاجك بعد الان.
ديليجنس (على حدة): مع ذلك، نعم. مع ذلك، مع ذلك، تكررنا مرارا
عديدة.

فالتينو (وهو يلاحظ حركة سيلفيا) : ماذا تقول سيدتي؟ أوليست راضية ؟
سيلفيا : أجل، الاشعار في غاية الابداع. ولكن بما انك أكرهت على نظمها،
عليك ان تسترجعها. نعم، خذها.

فالتينو (يقبل الورقة): ولكنها لك، يا سيدتي.
سيلفيا : نعم، نعم. انت نظمته نزولا عند طلبي. ولكني لا أريدها. فهي لك،
لاني كنت ارغبها بأسلوب عاطفي اكثر حنانا.

فالتينو : اذا شئت، يا سيدتي، كتب لك غيرها.
سيلفيا : وعندما تفرغ من نظمها اقرأها عني. ان اعجبك فليكن، وان لم
تعجبك فليكن كذلك.

فالتينو : ان اعجبتي، يا سيدتي، فليكن ماذا ؟
سيلفيا : ان اعجبك احتفظ بها مكافأة على جهبك. والآن أتمنى لك ليلة
سعيدة ايها الخادم الامين. (تخرج مسرعة).

ديليجنس (على حدة): يا للسخرية المضمرة، ولكنها مع ذلك بارزة كالأنف
في منتصف الوجه، او كدولاب الهواء في أعلى البرج. ان سيدي يتألم بسببها،
وهي، كأستاذ ماهر، تعلم المتدئين كيف يصبحون عباقرة. يا للعمل الممتاز
الذي لم يسمع احد بأجود منه ! ان معلمي الذي يعتبر نابغة يكتب لنفسه.

فالتينو (للخادم): علام اذا يرتكز حكمك هذا، يا سيدي ؟

ديليجنس : انا لا أهتم الا بالقوافي. الحق معك.

فالتينو : لماذا ؟

ديليجنس : لانك تكتب بالنيابة عن السيدة سيلفيا.

فالتينو : على لسان من ؟

ديليجنس : على لسانك انت. مع العلم ان تصريحها مقلوب رأسا على عقب.

فالتينو : أي تصريح ؟

ديليجنس : طبعا الوارد في الرسالة.

فالتينو : هي لم تكتب لي مطلقا.

ديليجنس : وما حاجتها الى ذلك، بما انها جعلتك تكتب لنفسك ؟ أولم تع
المهزلة ؟

فالتينو : كلا، صدّقتي.

ديليجنس : هذا حقا غير معقول، يا سيدي. أولم تشاهد كل ما اظهرته من فن
التمويه ؟

فالتينو : انها، على سبيل المكافأة، لم توجه اليّ سوى اللوم.

ديليجنس : ماذا تقول ؟ هل سلمتك الرسالة ؟

فالتينو : الرسالة التي كتبتها انا الى صديقها ؟

ديليجنس : هذه الرسالة قد استلمها صاحبها وانتهى الامر.

فالتينو : ارجو ان لا يجد ما يزعجه في هذا الموضوع.

ديليجنس : أوكد لك ما أقوله (يعلن) : لأنك كتبت له مرارا وتكرارا، لم

يستطع ان يرد، سواء من قبيل التواضع او ضيق الوقت، او خشية ان تكشف

الرسالة سرها. لذلك طلبت الكتابة الى عاشقها بواسطة عاشقها ذاته. ان كل ما

أشير اليه هنا هو المكتوب، لاني ادركت مضمونه بوضوح. ولكن، بماذا

تفكر، يا سيدي ؟ لقد حان وقت الغداء.

فالتينو : انا تغديت.

ديليجنس : حسنا. لكن اسمع، يا سيدي. مهما استطاعت حرباء الحب أن

تعيش من الهواء فقط، فأنا من الذين يتغنون بالأطعمة، وسأتناول بطيبة خاطر

أطيب المأكّل. لا تكن نظير معلمتك. لا تقاوم، ارجوك أن لا تقاوم

(يخرج جان).

المشهد الثاني

مدينة فيرونا — في منزل جوليا

(يدخل بروتيو تبعمه جوليا)

بروتيو : صبرا، يا عزيزتي جوليا.
جوليا : لا سبيل الى غير ذلك طالما لا يوجد أي حل آخر.
بروتيو : سأعود حالما يتيسر لي الرجوع.
جوليا : اذا لم يؤخر ك مانع، ستعود في وقت مبكر. فاحتفظ بهذا التذكار
اكراما لعزيتك جوليا.

(تعطيه خاتما)

بروتيو (يأخذ الخاتم ويعطي جوليا خاتما آخر) : ستبادل هذه الخواتم.
خذي انت هذا.
جوليا : ولنوطد اتفاقنا بقبلة بريئة (يتعانقان).

بروتيو : هاك يدي عربون ارتباطي الدائم بك. واذا تركت ساعة في اليوم
تفقت مني بدون ان أفكر فيك، يا عزيزتي جوليا، فليحل بي عقاب صارم
تكفيرا عن اهمالي حبك. ان والدي ينتظرنني، فلا تحرجيني. هذا وقت ركوب
البحر لا ذرف الدموع. أيقني بأنني سأوثق ارتباطي بك مدى العمر. وداعا يا
جوليا (تخرج جوليا بعجلة) كيف ذهبت بدون ان تنيس بينت شفة ؟
لعمري، هذا هو الحب الصادق الذي لا يحيجها الى المزيد من الكلام، لان
أمانتها تمتاز بالافعال اكثر من الاقوال.

(يدخل بتينو)

بتينو : مولاي بروتيو، ان هناك من ينتظرك.
بروتيو : انا آت. من المؤسف ان يلوذ العشاق المساكين بالصمت الرهيب
(يخرجان).

المشهد الثالث

ساحة فيرونا

(يدخل لسيو وهو يجرّ كلبا مربوطا بسير من الجلد)

لنسيو : ستتقضي ساعة أخرى قبل أن أكف عن البكاء. كل أفراد عائلة لنسيو تطغى عليهم هذه النقيصة. وأنا نلت نصيبي مثل سائر ذوي، وسأذهب مع مولاي بروتيو الى البلاط الامبراطوري. أظن ان كلبى البليد هو قليل الحساسية بين بني جنسه. أمي كانت تبكي، وأبي يشهق، وأخي يعول، وجميع اهل البيت يشكون من هذه العلة. وهذا الكلب لم يذرف دمعة واحدة. انه من الحجر بل هو صخرة صماء، ولا تخالجه أية عاطفة شفقة. لقد بكى الكثيرون على فراقى، حتى جدتي التي فقدت بصرها بكت على رحيلي حتى عميت، وسأريكم كيف. هذا الحذاء هو والدي. كلا، فالفرقة اليسرى هي والدي. كلا ثم كلا. ما هذا الهديان ؟ لو كان الأمر كذلك لكان نعله منقوبا، وهذا الخفّ المثقوب هو والدتي، وذاك هو والدي. اني أستحق اللعنة ان كانت المسألة هكذا. والآن، يا سيدي، هذه العصا هي أختي. اذ انها أشد بياضا من الزنبق وأنحف من عود الورد، وهذه القبعة هي خادمتنا نانيتا. انا كلب. لا، الكلب حيوان، بل انا كلب. أجل، الكلب هو انا لا غيري، أجل، أجل. وإلا اتجهت الى والدي بقولي: ألتمس صفحك، يا أبي. لكن الحذاء لن ينطق بكلمة واحدة. حسن. هو ييكي اكثر من قبل. والآن أتوجه الى أمي. آه ! لو كانت تستطيع الكلام ! لكنها عاجزة. يجدر بي ان أقبلها وأستسمحها. هذه فعلا زفرتها اللاهثة تلامس خدي. والآن أتوجه الى أختي، وأنا أسمع تهديداتها. فالكلب لم يذرف دمعة، ولم ينطق بكلمة طوال هذه الفترة. حقا، ما هذا الهديان ؟ اما انا، فانظروا اليّ كيف اسقي تراب الارض بدموعي (يشهق بالبكاء).

(يدخل بتينو)

بنتينو : الى الامام، يا لنسيو، الى الامام. إصعد الى السفينة، فمعلمك قد سبقك اليها، وعليك ان تلحق به مهما كلف الامر. ماذا جرى ؟ لماذا تبكي، يا هذا ؟ الى الامام، يا حمار. سيفوتك ركوب البحر، اذا تأخرت اكثر مما فعلت الى الان.

لنسيو : لا يهمني امر السفر، اذا فاتني. لانه غير مستحب، ولا اجد أشق منه.

بنتينو : ماذا تريد ان تقول ؟ السفر غير مستحب ؟

لنسيو : أجل، والله. ان المضطر الى الرحيل هو كليي القبي.

بنتينو : يحزنني ان أحذرك، يا صديقي، من صخب الموج الذي سينزل بك خسارة جسيمة، اذ ستفقد من يدك فرصة السفر، وبفواتها ستفقد معلمك، وتخسر عملك في خدمته. وبضياع عملك... لماذا تسد فمي ؟

لنسيو : لكي لا تذهب كلماتك أدراج الرياح.

بنتينو : ولماذا تضيع كلماتي ؟

لنسيو : لتفوّك بهذا الهديان العقيم.

بنتينو : انا لا أعرف شاطئا امينا.

لنسيو : أنا يفوتني سفرى ومعلمي وعملي، وهذا الوضع ايضا ؟ انت لا تعرف اذاً يا صديقي ان البحر لو كان جافاً لملأت هوته بدموعي، ولو لم تهبّ الرياح عليه لدفعت السفينة بقوة زفراتي.

بنتينو : هيا نذهب، يا صديقي، فأنا مكلف باصطحابك.

لنسيو : تصرف على هواك.

بنتينو : هل تريد مرافقتي ؟

لنسيو : حسنا. هيا بنا.

المشهد الرابع

ميلاتو - في قصر الدوق

(يدخل فالتينو ترافقه سيلفيا وتوريو ودليجنس)

سيلفيا : يا غلام.

فالتينو : سيدتي.

دليجنس (بصوت خافت لفالتينو) : مولاي، سيدي توريو ينظر اليك شذرا.

فالتينو (بصوت خافت لدليجنس) : يا بني ها هنا يتجلى الحب بأبهى مظاهره.

دليجنس (بصوت خافت لفالتينو) : ليس لي.

فالتينو (بصوت خافت لدليجنس) : اذا لميستي.

دليجنس (بصوت خافت لفالتينو) : الأولى بك ان تهمله.

سيلفيا (لفالتينو) : ما لك كتيب، ايها الخادم الحزين ؟

فالتينو : أحقا، يا سيدتي، يبدو الحزن علي ؟

توريو : وهل يظهر عليك ما ليس فيك ؟

فالتينو : ربما.

توريو : هكذا تبدو مسحتك مقلوبة.

فالتينو : مثلك تماما.

توريو : بماذا أظهر على غير حقيقتي ؟

فالتينو : بقلة المشاعر.

توريو : وأي دليل لديك على ذلك ؟

فالتينو : هوسك.

توريو : وأين اكتشفته ؟

فالتينو : في بحثك عن سترتك.

توريو : ان سترتي برهان قاطع على سلامة ذوقي.
فالتينو : بل هي دليل صارخ على انحراف ذوقك.

توريو (غاضبا) : كيف ؟

سيلفيا : هل بلغنا حد الغضب، يا مولاي توريو ؟ هل تغيرت طباعك الهادئة ؟
فالتينو : دعيه يتصرف كما يشاء، يا سيدتي. فهو مثلون كالحرباء.

توريو (على حدة) : من الذي ينوي ان يشرب من دمك اكثر من ان يهضم
لهجتك المتفطرسة ؟

فالتينو : ماذا تقول، يا مغفل ؟

توريو : لا شيء، يا سيدي، وقد قضي الامر هذه المرة.

فالتينو : انا أعرف، يا سيدتي، انك تنتهين دائما قبل ان تبدئي.

سيلفيا : انا ارى، يا سادة، ان هذه ليست سوى فورة كلام لا تلبث ان تهمد.

فالتينو : هذا صحيح، يا سيدتي، فشكرا لصاحب هذه الدعابة.

سيلفيا : من منكما يرّوج المهزلة ؟

فالتينو : انت نفسك، يا سيدتي. لانك اذكيت نارها وحميت أوارها. ومولاي
توريو يستمد الحماس من فتنة نظراتك، يا مولاتي، وأثناء حضورك يستهلك ما
يستعيره من كرم منقطع النظر.

توريو : لو كنت تنقدني كلمة بكلمة، يا سيدي، لكنت شهدت عاجلا افلاس
مواهبك.

فالتينو : انا اعلم، يا سيدي، انك تختزن ثروة من الحديث المبتذل وأعتقد
بأنك لا تملك سوى هذه العملة الزائفة تجود بها على الناس. وها هي
ملا بسهم الرثة المهلهلة أصدق دليل على ما تمنحهم من كلام فارغ رخيص.

سيلفيا : كفى، يا سادة، كفى. ها هوذا ابي.

الدوق : ما وراءك يا بنيّتي ؟ اراك محاطة بأشخاص لا يرتاح المرء اليهم
كثيرا. مولاي فالتينو، ان والدك يتمتع بصحة جيدة. فكيف تتلقى زيارة صديق
يأتيك بأروع الأخبار ؟

فالتينو : يا مولاي، انا اشكر رسالتك السعيدة التي تأتيني بها من مصدر
حبيب على قلبي.

الدوق : هل تعرف مواطنك دون انطونيو ؟
فالتينو : أجل، يا مولاي الكريم، أعرفه بصفته احد الوجهاء الممتازين
المقتردين، وقد اكتسب سمعته الطيبة عن جدارة واستحقاق.

الدوق : أوليس له من ولد ؟
فالتينو : أجل، يا مولاي الكريم. ان له ابنا لا يشذ عن قاعدة الشرف والصيت
الحسن الذي ينعم به والده.

الدوق : هل تعرفه جيدا ؟

فالتينو : أعرفه كما أعرف نفسي. لاننا منذ طفولتنا عشنا سوية وقضينا العمر
معا بدون ان نفرق. انا لم اكن سوى كسول ضيَّعت أوقاتي الثمينة سدى،
بدلا من ان أزود شبابي بالحكمة والكمال، بينما بروتيو، وهذا هو اسمه، كان
يكرس اوقاته لاهداف مفيدة نبيلة. فاكسب حنكة الشيوخ بالرغم من حداثة
سنه. وهو ينعم بربيع العمر مقرونا بنضوج التفكير، وسعة الخبرة، وبكلمة،
أجده يستحق أضعاف ما أخصه به هنا من مديح، فهو موهوب خُلُقاً وخُلُقاً،
ويُتسم بجميع الصفات الحميدة التي يتسنى لرجل من النخبة ان يتحلى بها.
الدوق : هنثلا له، يا سيدي، اذا كان حقا يمتاز بما تنسبه اليه. فالاجدر به ان
يكون حبيب امباطورة من ان يكون مستشار امباطور. بالاختصار، ان هذا
الرجل قد جاءني مزوّد بتوصية من احد الوجهاء البارزين، وهو ينوي ان يقضي
بعض الوقت هنا. أعتقد بأن هذا النبأ لن يكون سيء الوقع عليك.

فالتينو : حقا لو تمنيت حضور شخص الى هنا، لكان هو دون سواه.
الدوق : خصّيه اذاً بما يليق به من كرم الضيافة. فاليك، يا سيلفيا، أوجه
كلامي، واليك ايضا يا مولاي توريو. اما فالتينو فلست بحاجة الى تحميسه،
وسأرسله اليك حالا. (يخرج الدوق).

فالتينو (لسيلفيا): هذا احد الوجهاء، كما سبق وقلت لك. وكان من
الممكن ان يرافقني، لو لم تأسره عيون حبيته بنظراتها الشفافة الساحرة.

سيلفيا : لا بد من ان تكون قد أطلقت سراحه بشرط ان يظل رهن اشارتها.
فالتينو : كلا، انا واثق بأنها لا تزال تحتفظ به سجين هواها.

سيلفيا : لا، لا. أخشى أن يصاب بالعمى. وإذا فقد بصره كيف يتسنى له ان يرى طريقه اليك ؟

فالتينو : يا سيدتي، ان للحب عشرين وسيلة ليصير.

توريو : يقال ان الحب اعمى لا عيون له.

فالتينو : كي لا يرى العشاق أمثالك، يا توريو. فالحب يغمض عينيه، لانه لا يرغب في مشاهدة ما يزعجه.

سيلفيا : كفى، كفى. ها هوذا الرجل قادم.

(يدخل بروتيو)

فالتينو : أهلا بك يا بروتيو. أتوسل اليك، يا سيدتي، ان تبرهني له على انك ترحبين به وتخصيئنه بتحية رقيقة.

سيلفيا : ان جدارته هي افضل ضمانة للاحتفاء به هنا، وهو الذي طالما تمنيت الاجتماع بشخصه.

فالتينو : أجل هو بعينه، يا سيدتي الكريمة، فاسمحي له بأن يكون زميلي في خدمتك.

سيلفيا : خدمتي انا ! هي كلمة مبتذلة بالنسبة الى انسان لبيب نظيره.

بروتيو : كلا، يا سيدتي الفاضلة، ان سمجا مثله هو آخر من يستحق نظرة رعاية من امرأة نبيلة من أمثالك.

فالتينو : دعي عنك الاحتجاج بعدم اللياقة، واقبله خادما لك، يا سيدتي الجليلة.

بروتيو : سأبذل قصارى جهدي في خدمتك وإرضائك، يا سيدتي الكريمة.

سيلفيا : ان تميم واجباته كفيل بتقديره ومكافأته. أهلا بك ايها الصديق في بيت امرأة لا تستحق صحبتك.

بروتيو : لن أبخل حتى بحياتي في سبيل نيل الحظوة في عينيك، يا سيدتي. سيلفيا : انا أرحب بك.

بروتيو : انك تستحقين كل خير واکرام.

توريو : مولاي والدك يود ان يكلمك، يا سيدتي.

سيلفيا : انا تحت امره. تعال معي، يا سيدي توريو. (لبروتيو) مرة اخرى

أرحب بك، يا صاحبي الجديد. سأدعك تتحدث عن أمورك الخاصة فيما بعد. وعندما تنتهي، أمل ان اسمع ما وراءك من أخبار. (تخرج سيلفيا مع توريو ودبلوماس).
فالتينو : والآن، أعلمني كيف حال جميع من غادرتهم هناك.

بروتيو : تركتهم كلهم بصحة جيدة.

فالتينو : كيف حال زوجتك ؟ هل انت سعيد، وعلى أتم الاتفاق معها ؟
بروتيو : في الماضي، كانت قصص حبي تضايقك. وأنا أعلم بأن احاديثي عن الهوى لم تكن لتسرك.

فالتينو : آه ! يا بروتيو. لقد تغيرت حياتي تماما منذ حين، وقاسيت الأمرين بسبب ازدرائي بهيمنة الحب. فعاقبني، واحسرتاه، بفترات حرمان قاسية وبتنهيدات مريرة ودموع حارة وليالي سهاد طويلة وأيام قاتمة تخللتها الآهات الاليمة. أجل، للانتقام من استهتاري، طرد الغرام النوم من عيوني الساهرة، وجعل منها حارسا يقظا على قلبي السقيم. آه يا بروتيو الوفي. ان الحبيب مولى مستبد قوي الشكيمة، ذلني الى حد جعلني ادرك ان لا عذاب يفوق نفوره، ولا فرح يعادل رضاه. من الان وصاعدا لا أريد سماع أي حديث عن الغرام. فكلمة محبة تكفيني مهما كانت جافة.

بروتيو : اني اقرأ تعاستك في عيونك النათية. فهل علّتك هي المرأة التي وقفت عمرك على هواها ؟

فالتينو : هي بعينها. أوليست ملاكا طاهرا ؟

بروتيو : بل هي شيطان رجيـم.

فالتينو : سمّها كما تشاء.

بروتيو : لا أريد ان أتملقها.

فالتينو : تملّقي انا اذاً، ما دام العاشق يطربه الثناء.

بروتيو : عندما كنت مريضا اعطيتني حبوبا خففت آلامي، وعلّي الان ان أرد لك جميلك.

فالتينو : حسنا. يئن لي حقيقتها. وان لم تكن حورية، إعترف على الاقل بأنها جميلة وفضيلة كالملاك الطاهر.

بروتيو : ما عدا سيدتي.

فالتينو : لا تستثن واحدة، يا عزيزي، ان كنت لا تريد ان تهزأ بفرامي.

بروتيو : أولست محقا باطراء حبيبي واعتبارها فوق مستوى البشر.

فالتينو : أجل، وأنا أريد ان أساهم في مدحها، فأرفع حبيبتك الى اعلى مراتب العز والشرف، لكي تحمل أذيال مليكتي وتمنع الارض من اختلاس قبلة من ثوبها الناصع، وتباهي بنعمة كريمة كهذه، وتستعير من زهور الصيف عطرها وتتخذ من قارس برد الشتاء وشاحا واقيا.

بروتيو : ماذا تقول ؟ ما هذا الهديان ؟

فالتينو : اعذرني يا بروتيو. ان كل ما اقله لا يعدّ شيئا بالنسبة الى ما تستحقه من اعتبار يجب حجب حجب عن سواها ممن تدهورهم مساوئهم في هوّة العدم. اذ لا ارى في الكون انسانا مثاليا كشخصها المفدّى.

بروتيو : اذّا اتركها وشأنها.

فالتينو : كلا، ولو ملّكوني العالم بأسره. أتدري، يا عزيزي، انها تخصني وحدي ؟ وأراني اغني الاغنياء بامتلاكي مثل هذه الجوهرة الفريدة التي لن تجد نظيرها ولو غصت الى أعماق البحور السبعة، ولو كانت كل حبة من رمالها لؤلؤة، وكل قطرة من مياهها فيها اكسير الحياة، وصخورها الشاهقة من الذهب الإبريز. سامحني ان لم أفكر بك عندما كنت هائما بيجها. لأن خصمي ومزاحمي الذي يفضلها ابوها عليّ بسبب ضخامة ثروته، قد استأثر بها ومضى يتنعم بصحتها. وعليّ أن ألحق به نظرا الى ما يغلي في صدري، كما تعلم، من مراجل الغيرة والحسد.

بروتيو : ولكن، هل هي تحبك ؟

فالتينو : أجل ونحن مخطوبان. وعلاوة على ذلك، حددنا موعد زواجنا، وأعدنا خطة هربنا السري، وكيفية تسلقي سلما من الجبل الى نافذتها. فجميع الوسائل مدروسة ومنسّقة لتحقيق سعادتي. تعال معي، يا عزيزي بروتيو، لتزويدي بنصائحك في سبيل نجاح هذه الخطة.

بروتيو : اسبقني وسألحق بك. عليّ اولا ان أذهب الى المرفأ لأجلب من السفينة بعض امتعتي التي أحتاج اليها. ثم أوافيك حالا.

فالتينو : ارجوك ان تعجل.

بروتيو : حيا وكرامة. (يخرج فالتينو) كاللهب الذي يذكي اشتعال النار،
وكالمسمار الذي يغرز في لوح الخشب، هكذا اجد ذكريات حبي الاول قد
محاها حدث جديد، ولم يبق لها من أثر. لست أدري ان كان اعجابي
الشخصي بمهارة فالتينو وبمزاياه الحميدة او اغتراري به. تجمعت كلها
لتفقدني صوابي ! لا انكر ان هذه المرأة جميلة، غير ان جوليا هي الاخرى
رائعة، رائعة، لذلك أهواها، او بالحري هويتها. انما هيامي بها اخذ يذوب،
كالشمعة المشتعلة من طرفيها، حتى زال تماما من الوجود. يخيل اليّ ان
اخلاصي لفالتينو قد فتر، ولم اعد أكنّ له مودة كالسابق. وبما اني مغرم
بحبيتي كثيرا، لا يسعني ان أحبه هو الا قليل. وكم سأتهج بزيادة معرفتي بها
اكثر فأكثر، انا الذي عشقتها قبل ان اعرفها، والأذن تعشق قبل العين احيانا،
حتى سلبت ليّ. ولكنني عندما قدّرت صفاتها النادرة حق قدرها، لم يبق لي
من عذر لأظل كليل البصر لا أنجذب الى محاسنها. لذا قررت ان اضع حدا
لهيامي الاعمى التائه، وإلا سحّرت جميع قواي لإغوائها. (يخرج).

المشهد الخامس

شارع في ميلانو

(يدخل ديليجنس ونسيو)

ديليجنس : اهلا بك، يا لنسيو.

لنسيو : لا تحرجني، يا فتى. انا لست اهلا لما تخصصني به من ترحيب، اذ اني
أعتبر المرء غير آمن طالما هو معرّض للمخاطر في كل حين، ولا يستحق
الاحترام، طالما هو لم يؤد ما عليه من واجبات، وما دامت ربة البيت لا تكرم
وفادته.

ديليجنس : هيا يا صاحب الدماغ الفارغ، سأصطحبك فوراً الى حانة لا تساوي اكثر من عشرة فلوس. وهناك فقط ستلقى ما تستحقه من حفاوة. انما قل لي يا مغفل، كيف ترك معلمك السيدة جوليا ؟
لنسيو : لعمرى، بعد ان تعانقا طويلا، افرقا طبعاً وهما يضحكان.
ديليجنس : وهل سيتزوجها ؟
لنسيو : كلا.

ديليجنس : ماذا تقول ؟ ألن يتزوجها ؟
لنسيو : كلا، ثم كلا.
ديليجنس : وهل فسحنا خطوبتهما ؟
لنسيو : كيف ينفصلان وهما على أتم الاتفاق ؟
ديليجنس : متى جرى ذلك ؟
لنسيو : عندما اقتنعت بضرورة التفاهم معه. فأمنت مصلحتها.
ديليجنس : تباً لك من حمار ينطلي عليك هذا الهراء.
لنسيو (يتوكأ على عصاه) : لا بد لك من ان تكون حطبة يابسة حتى لا تلاحظ هذا. وإلا أفهمتك بهذه العصا.
ديليجنس : ماذا تقول ؟

لنسيو : انا مستعد لان أثبت لك صحة كلامي. لا تنسَ اني طالما انا متكئ على عصاي فهي تسندني، وتكون لك خير مؤدب.
ديليجنس : هل تعتقد بأنها ستسندك ؟
لنسيو : ما دمت اتكىء عليها فهي تسندني، وتخدمني كلما احتجت اليها.
ديليجنس : دعنا من هذا المزاح، واصدقني هل سيتم الزواج فعلاً ؟
لنسيو : إسأل كليي، فان اجابك بنعم، فسيتم، وان اجابك بلا فسيتم ايضا.
وان هر ذئبه ولم يفه بكلمة سيتم هذا الزواج على كل حال.
ديليجنس : بالنتيجة، انت تعلن بأنه سيتم حتماً.
لنسيو : لن ابوح لك ابدا بهذا السر الا تلميحا.
ديليجنس : لا فرق عندي كيفما علمت به. ولكن، ما رأيك بهذا النبأ، يا لنسيو ؟ ان سيدك مغرم بها بل متيم بهواها ؟

لنسيو : انا لم أعرفه على غير حقيقته هذه.
 ديليجنس : ماذا تعني ؟
 لنسيو : انه هائم حتى الجنون، كما تقول تماما.
 ديليجنس : تباً لك من ابن زانية، ومن حمار غبي لا تفهمني.
 لنسيو : يا أبله، ان كنت لا افهمك فاني أفهم معلمك.
 ديليجنس : أكرر عليك ان سيدك عاشق مثيم.
 لنسيو : أؤكد لك ان الامر عندي سيان فهو حر ان اراد ان يهلك نفسه في
 سبيل من يحب. هيا تعال معي لشرب كأسا في الحانة. واذا رفضت تظل
 ملحدا مهما تظاهرت بالتقوى.
 ديليجنس : لماذا ؟
 لنسيو : لانك لا تكون صالحا تستحق كأسا بصحيتي. هيا رافقتي.
 ديليجنس : سمعا وطاعة (يخرج جان).

المشهد السادس

ميلانو — في قصر الدوق

(يدخل بروتيو)

بروتيو : عندما أغادر حبيبي جوليا افضح نفسي. وإذا أعشق سيلفيا الجميلة
 افضح نفسي ايضا. وعندما اخون صديقي افضح نفسي أشنع فضيحة. ان
 الوعود التي تعهدت بوفائها اولا، هي التي تدفعني الى جحود هذا المثلث. لقد
 حملني الحب على اغداق الوعود بلا حساب، وجرّني هكذا الى افضح نفسي.
 فما اقواك ايها الحب المغربي ! ان كنت قد اغرقتني بالمعاصي، فعلمني، انا
 عبدك المطيع، ان أستغفر ربي. في بادئ الامر همت بنجمة مشبوهة والآن انا
 معجب بشمس ساطعة. ان الالاماني التي نسعى الى تحقيقها بدون تفكير،
 يمكن ان تضمحل عندما نتأمل فيها مليا. وبحق يعتبر خاليا من العقل كل من

لا يقصد ان يوجه تفكيره الى استبدال الشر بالخير. تباً لك، يا لسانى الثرثار !
كيف يسمعك ان تنال هكذا ممن اقسمت عشرين الف يمين ان تنصبها ملكة
على عرش قلبك. يجب عليّ ان لا أُنكر للحب. ومع ذلك تراني أتغافل عنه.
وان امتنعت حيناً عن تلبية ندائه، فلنكي أعود مرارا الى أحضانه بلهفة من
برّحت به الاشواق. وإلا خسرت جوليا، وخسرت ايضا صديقي فالتينو. واذا
أصررت على الاحتفاظ بهما، فلا بد لي من ان أخسر نفسي. واذا خسرتهما،
أستعيز بفضل هذه الخسارة، بيروتيو عن فالتينو، وبسيلفيا عن جوليا.
فصديقي ليس أعز عليّ من ذاتي، لان محبة الذات تتقدم على كل ما عداها.
بقرب سيلفيا أشكر السماء لانها وهبتها هذا الجمال، ولان جوليا بالنسبة اليها
ليست الا حبشية سمراء. أنا أريد أن أنسى ان جوليا على قيد الحياة، وأريد أن
أتذكر فقط ان حبي لها قد طواه النسيان. اما فالتينو فعليّ ان أعامله كعدو
لدود كي أبحث بقرب جوليا عن صداقة أبر وأمتن. وأنا لا أقوى على اتباع
خطة واحدة حيال نفسي، دون ان ألجأ الى الخيانة تجاه فالتينو. في هذه الليلة
هو ينوي ان يتسلق سلما من الحبل الى سيلفيا القاتنة. ومع ذلك، يا لسخرية
القدر، وجب عليّ، انا مزاحمه، ان اكون مستودع اسراره. فاذا، لا بد من
ذهابي حالا الى ابيها لأكشف له امر تنكرهما وتصميمهما على الهرب.
سيغضب طبعاً وسيبعد فالتينو لانه ينوي ان يزوج ابنته لتوريو. اما فالتينو فمتى
رحل سأمنع سريعا وبوسيلة فعالة، تحقيق ما يسعى اليه هذا الاحمق توريو
بهدهوء. فامنحني ايها الحب اجنحتك لأستعجل تنفيذ خطتي، كما وهبتي
الدهاء للاحتيال والمخاطلة في سبيل التمتع بفيء ظلالك الوارفة (يخرج).

المشهد السابع

فيرونا - في منزل جوليا

(تدخل جوليا وتبعتها لوسيا)

جوليا : ألتمس نصحك، يا عزيزتي لوسيا، وأستحلفك، بعطفك ومودتك، أن تساعدني، انت الصورة الحية التي تعكس كوامن افكاري، فارشدني الى وسيلة شريفة أتمكن بها من اللحاق بحبيبي بروتيو.

لوسيا : يؤسفني ان اقول لك ان الطريق اليه شاق وطويل.

جوليا : ان الذي يحج، ورائده الايمان والثقة، لا يدركه التعب ولا الملل، لانه يحقق بذلك اغلى أمانيه ولا سيما التي تطير به على اجنحة الحب وتحمله الى أعز شخص لديه في الدنيا يتمتع بالكمال والبهاء نظير مولاي بروتيو.

لوسيا : الافضل ان تنتظري عودته.

جوليا : ألا تدرين ان مشاهدته هي غذاء روحي ؟ إرثي لحالي لان شوقي الى عطفه يمزق أحشائي منذ أمد طويل. لو كنت تعرفين مقدار حبي العميق الملهوف، لكنت فكرت باذكاء لهيب هيامي باللقاء بدلا من ان تحاولي اطفاء لظى أشواقي بالكلمات.

لوسيا : انا لا أفكر بإخماد نار الغرام، بل بتخفيف شدة حرارتها كي لا تحرق ما يتجاوز حدود المعقول.

جوليا : كلما حاولت حصر الوهج كلما ازدادت احراقا، لان مجرى الماء مهما تفرق بهدوء، وكان خريره لطيفا، اذا حاولت صدّه، يزيد نزقا وتدفقا. انما عندما لا يقف أي حائل امام سيره الطبيعي، يترنم بأحلى الانغام وهو يمر فوق الحصى الأملس، ويطيع قبلة حلوة على كل قصبة يصادفها اثناء مسيره. وهكذا يتغلغل بين ألوف الأشجار والأعشاب ويختفي اخيرا بين طيأت أمواج المحيط. سأكون هادئة كماء الينبوع الصافي، ولن يعيقني عن السير ارهاق

أقدامي، شرط ان تقودني خطواتي الى حبيبي الغالي، فأرتاح بقربه من عناء جولتي كما ترتاح النفس في رحاب الجنة.

لوسيا : وفي أي ثوب سترحلين ؟

جوليا : لن أرحل وأنا مرتدية ثياب النساء، وأحذرك من الاصغاء الى ثرثرة المستهترين. أعدّي لي يا لوسيا بزة غلام يخدم اسرة من الذوات.

لوسيا : في هذه الحالة، على سيدتي ان تقص شعرها.

جوليا : كلا، يا بنت، سأضفره وأربطه ببريم من حرير وأخفي طوله بطريقة مناسبة. لان قليلا من الزينة لا تضر فتى في مثل شبابي.

لوسيا : وكيف تريدان أن يكون سروالك ؟

جوليا : سؤالك هكذا، كمن يسأل كيف تريدان أن يكون هندامك كغلام ؟ فليكن كما تريه ملاكما يا لوسيا.

لوسيا : لا بد من ان يكون السروال بأزرار من الامام كالمتعاد.

جوليا : كلا، ثم كلا، يا لوسيا. فهذا غير لائق بالفتاة.

لوسيا : ان لبس السروال، يا سيدتي، لن يليق بك، الا اذا حملت عصا نظير الشبان.

جوليا : اذا كنت تحبينني حقا، يا لوسيا، اعطني ما تريه مناسبا ولائقا لألبسه.

ولكن أصدقيني يا صبية، ماذا يقول الناس عني عندما اقوم بمثل هذه السفرة ؟ اني اخشى الفضيحة.

لوسيا : اذا كان هذا حالك، فالغي الرحلة والزمي بيتك.

جوليا : لا، لا. هذا مستحيل.

لوسيا : سافري اذاً، ولا تبالي بما يقال. اذا كان بروتيو يؤيد رحيلك ويتمنى وصولك اليه، لا تهتمي بمن يلومك بعد قيامك بسفرك. غير اني اخشى ان لا يكون هو راضيا.

جوليا : هذا آخر ما أخشاه، يا لوسيا. فان لدي ألف وعد، وسيل من الدموع تشهد على صدق ما يكئه لي من حب يضمن لي احسن استقبال يعدّه لي بروتيو.

لوسيا : كل هذه المظاهر ليست الا حيل رجل خداع.

جوليا : بئس من يلجأ اليها لمثل هذه الغاية. ان شخص بروتيو أرفع من الانحدار الى هذه الدنائة. انا على يقين بأن اقواله ما هي الا عهود وارتباطات اكيدة وبراهين حب مخلص لان قلبه نقي ودموعه طاهرة وتصريحاته صادقة ومودته لي بعيدة عن الفش بُعد الارض عن السماء.

لوسيا : أتمنى لك ان تلاقي فيه لدى وصولك اليه نفس العاشق المتيّم الذي تركته.

جوليا : إذا كنت تحبينني فعلا لا تفتحي لي باب الشك بصدق نيّاته، فازدياد حبي له سيزيد تعلقي بك. تعالي حالا الى حجرتي لنهىء ما يتحتم عليّ تجهيزه لهذه الرحلة التي اتوق الى تحقيقها بكل جوارحي. وسأضع تحت تصرفك جميع ما يخصني من أموال وأراض وأثمنك حتى على سمعتي ولا اطلب منك بالمقابل الا ان تساعدني على مغادرة هذا المكان. هيا لا تضيعي الوقت في استجابتي، وفورا باشري في العمل. فلقد استنفد صبري طول الانتظار.

الفصل الثالث

المشهد الأول

ميلانو — في قصر الدوق

(يدخل الدوق وتوريو وبروتيو)

الدوق : يا مولاي توريو، ارجوك ان تتركنا لحظة وحدنا، لأن لدينا أموراً نود ان نبحثها على انفراد (يخرج توريو) والآن تكلم، يا بروتيو. ماذا تريد مني ؟
بروتيو : مولاي الكريم، ان ما أريد ان اكشفه لك يتوجب عليّ في شرع الصداقة ان أخفيه عنك. ولكني، عندما أفكر في ما أغدقه عليّ من نعم لم أطلبها منك، أشعر بأن ضميري يفرض عليّ ان أعلمك بما لا تستطيع اموال العالم بأجمعها ان تنتزعه من فمي. أعلم، ايها الامير الكريم، بأن صديقي السيد فالنتينو ينوي اختطاف ابنتك هذه الليلة، ولقد افضى اليّ بتفاصيل مؤامره. انا اعرف انك قررت أن تزوّج ابنتك الفاتنة هذه الى توريو الذي لا يحبها. فاذا اختطفت منك وحيدتك، ستكون وطأة هذه الفاجعة المؤلمة ثقيلة على شيخوختك. لذلك، وقياما بواجبي فضّلت فضح خطة صديقي على تسبب الحزن لك بكتمانها عنك وتعجيل انتقالك، لا سمح الله، الى العالم الآخر قبل الاوان.

الدوق : أشكرك، يا بروتيو، على اظهار اخلاصك نحوي هكذا. فبالمقابل يمكنك ان تعتمد عليّ طوال ما انا على قيد الحياة. لقد لاحظت مرارا انا

بنفسي بوادر حبهما، بينما كانا يعتقدان اني أغطّ في النوم. وكثيرا ما اقترحت على السيد فالتينو مرافقة ابنتي ومغازلتها. غير اني، خوفا من ان يخدعني ويشير ظنوني وحذري، وأن أرفض رجلا صاحب حق — وهذا ما حاولت أن أتجنبه — أظهرت له كل بشاشة لكي أوقن بما انت ذاتك تشكو لي منه في هذه اللحظة. فقدّر كم كنت قلقا، وأنا اعرف مدى سذاجة الفتاة التي يسهل اغراؤها. لذا رحت أحجزها كل ليلة في برج مرتفع لا يفارقي مفتاحه لمحة عين كي يصبح اختطافها مستحيلا.

بروتيو : اعلم، يا مولاي الفاضل، ان المذكور، حسب الخطة المرسومة، يستطيع الصعود الى نافذة حجرتها وانزالها على سلم من الحبل. وهذا السلم قد ذهب الشاب العاشق لجلبه. وبما انه سيأتي به الى هنا بعد برهة، يمكنك ان تقطع عليه الطريق. ولكن، يا مولاي الكريم، ارجوك ان تتصرف، ان شئت، بشكل يبعد عني شبهة الوشاية. لاني حبا بك، لا بغضا بصديقي، اقوم بفضح مشروع هذا الاختطاف.

الدوق : بشرفي، لن يعرف احد ابدا بأنني استقيت منك اية معلومات.

بروتيو : وداعا، يا مولاي. ها قد أقبل السيد فالتينو (يخرج).

(يدخل فالتينو ملفا بمعطف طويل ويمتاز المسرح بسرعة)

الدوق : مولاي فالتينو، الى اين انت ذاهب بمثل هذه العجلة ؟

فالتينو (يقف) : عذرا، يا صاحب السيادة. هناك ساعي يريد ينتظر اخذ رسائلي ليحملها الى اسرتي، وأنا انوي تسليمه اياها قبل رحيله الوشيك.

الدوق : هل هي هامة جدا ؟

فالتينو : انها تطمئن عن صحتي وسعادتي في بلاطك يا مولاي.

الدوق : فاذاً، لا كبير اهمية لها. (بلهجة تدل على المودة والتشويق) ابقي معي لحظة لاني أود ان أفصح لك صدري بخصوص قضايا تتعلق بي، وأسألك ان تحتفظ بها كسرّ. انت لا تجهل اني أفكر بزف ابنتي الى السيد توريو. فالتينو : انا اعرف ذلك جيدا، يا مولاي. ولا أشك في انه سيكون قرانا غنيا ومشرفا، علماً بأن الرجل فضيل وكريم، يمتاز بالصفات الحميدة التي تليق

بصبية كابنتك الجميلة. أولاً يمكنك، يا صاحب السعادة، ان تحملها على القبول به ؟

الدوق : أؤكد لك انني لا استطيع، لانها فتاة عنيدة متمردة لا ترعى عهود الواجب ولا تقدر فروض بنوتها كما لا تحترم أبوتي. بالاختصار، يسعني ان أصرح لك بأن تجبرها يكاد يقضي على ما أكنه لها في صدري من محبة أبوية. وإذا كنت أترقب منها العطف البنوي لتبتهج به شيخوختي، تراها الان مصممة على الاقتران بمن لا يحظى برضاي، وقد نجح في السيطرة على مشاعرها. فليكن لها من حسننها بائنة ما دامت لا تأبه لموقفي ولا لأملاكي.

فالتينو : فبماذا يمكنني أن اخدم سيادتك ؟

الدوق : يا عزيزي، هنا في ميلانو، سيدة انا متيم بهواها، ولكنها تبدي نحوي تحفظاً فاتراً. لذلك، ارجوك ان تكون مرشدي في استمالتها، اذ اني منذ مدة طويلة نسيت المغازلة، وقد تبدل اليوم نسق التودد الى النساء. أفدني اذاً كيف يجب أن أتصرف لأحظى بعطفها ومحبتها.

فالتينو : أعقد عليها الهدايا، ما دامت لا تقدر طلاوة حديثك. اذ غالباً ما تعمل الجواهر الصماء بأسلوبها الصامت على تحريك احساس المرأة اكثر من حلو الكلام.

الدوق : لكنها قد رفضت هدية قدمتها لها مؤخراً.

فالتينو : المرأة بسبب غرورها تأتي احياناً قبول ما تميل اليه ويسترعي اعجابها. فارسل لها هدية اخرى ولا تستسلم للقنوط ابداً. لان ما كان العاشق، بوجه الاجمال يكرهه في الماضي، يزيده في المستقبل ولعاً. فان كانت تقاطعك فذلك ليس بغضا بشخصك، بل بالعكس لمضاعفة جاذبية دلالتها. واذا جافتك فليس لإقصائك عنها، بل لأنها، مثل كافة النساء، يملكها النفور متى لاحظت بعض التفاضي من الرجل الذي ينال اعجابها ويستأثر بانتيابها. فلا تيأس مهما قالت لك. عندما تطلب منك الانسحاب كن على يقين بأنها لا تقصد ابداً ان تبعدك عنها. فتملقها اذاً وامتدحها، وأطنب في وصف محاسنها وتعداد مفاتنها. ومهما كانت كامدة متجهمة ردد عليها ان لها وجها صبوها

مشرقاً كالملاك. فالرجل القطن لا يكون مرغوباً إلا إذا عرف كيف يستعمل حبيته ويمتلك قلبها بحلاوة لسانه.

الدوق : ان التي أكلمك عنها قد وعد بها اهلها شاباً على جانب من الصفات وحجبوها عن مزاحميه حتى بات الوصول اليها نهاراً من أصعب الصعاب. فالتينو : ما عليك إلا الاتصال بها ليلاً.

الدوق : ولكن الابواب موصدة جيداً، والمفاتيح محفوظة في مكان بعيد المنال يجعل وصول أي قاصد اليها ليلاً من المستحيلات.

فالتينو : وما المانع من اقتحام نافذتها ؟

الدوق : ان حجرتها واقعة على علو شاهق، وجدارها عسير التسلق لا يدع سبيلاً الى الصعود اليها بدون تعريض حياة المغامر الى الهلاك.

فالتينو : اذاً لا بد من سلم من الجبل المتين، له كلابان من الحديد، يتيح الصعود الى برج منيع لا يتردد العاشق المشتاق في تسلقه مهما شئت المحاولة.

الدوق : والآن، ان كنت مخلصاً حقاً، أفدني اين اجد مثل هذا السلم الضروري ؟

فالتينو : قل لي متى ستحتاج اليه، يا مولاي ؟

الدوق : هذا المساء، لان المحب، كالولد الصغير، يهفو للحصول على ما يتوق اليه بأقصى السرعة.

فالتينو : حول الساعة السابعة، اكون قد جلبت لك السلم المنشود.

الدوق : اصغ اليّ جيداً، يا صاح. أريد أن أذهب وحدي. فكيف انقل السلم الى هناك ؟

فالتينو : سيكون خفيفاً جداً، يا مولاي، فستمكن من حمله تحت معطفك مهما بعدت المسافة.

الدوق : هل يفني بالمرام معطف طويل كالذي ترتديه ؟

فالتينو : أجل، يا مولاي الكريم.

الدوق : اذاً، أرني معطفك لكي أقنتي واحداً بمثل طوله.

فالتينو : ان اول معطف تحصل عليه يلبي الحاجة، يا مولاي.

الدوق : وكيف ألبسه ؟ دعني أجرب معطفك لأرى كيف سيكون عليّ
(يستأثر بالمعطف الذي يلتف به فالتفتو، ويضعه بعجلة على كتفيه ويمد يده
الى جيبيه). ما هذه الورقة ؟ (يقرأ عنوانها). ماذا اقرأ هنا ؟ الى سيلفيا.
(يبحث في جيب آخر، ويسحب منه سلّم الحبل) هذا الحبل يساعد حقا
على تنفيذ عمليتي. وهذه الرسالة، لا بد من استباحة فض ختمها.
(يفتح الرسالة ويقرأ الاشعار التالية)

أفكاري تصبو ليلا الى رياض حبيبي
وعواطفني تسمو اليها لتبديد كربتي
تمهّد السبيل لبلوغي أحلى الأمنيات
كالطير ينشد عشه لا تننيه العقبات.
خواطري المشغولة بهواك تحن الى قربك
تسبقني اليك فتؤنسني وتشكو هجرك
بينما الحنين يزيديني لوعة ويثير أشواقني
راجيا لقياك واطفاء لواعج فراقني
والا لعنت حظي وساعة وقوعي في هواك
اذا صممت على صديّ وحرمانني بهجة رضاك.

من ارى هنا ؟ (يواصل قراءة العبارة التالية) « يا حبيبي سيلفيا، سأبدد
عنك الشقاء هذه الليلة ». أجل، هذا هو السلّم الذي سأستلّقه للوصول اليك.
وأنت ايها العاشق المتيمّ الذي تصبو الى تحقيق أحلامك ولو احرقت العالم
بنار جنونك، هل تريد ان تجمع النجوم لانها تلمع فوق رأسك ؟ هيا، ايها
الدخيل اللعين، أيها الدّجال المنافق، احتفظ بكل ابتساماتك الخدّاعة لأمثالك
الغشاشين. ان كنت لا تزال تتمتع بحريتك فالفضل عائد الى سماحتي
وعدائي. أشكرني على كرمي هذا اكثر من جميع الافضال التي اسديتها اليك
حتى الان. واذا بقيت في حماي الى ما بعد المهلة التي سمحت لك بها لتغادر
الديار، فان غضبي يتجاوز كثيرا عطفني على ابنتي او عليك. اغرب عن
وجهي، فاني لا أريد ان استمع الى اعذارك الواهية. واذا كنت حريصا على
حياتك، لا تظهر امامي بعد الان (يخرج الدوق).

فالتينو : لماذا أفضل الموت على العذاب ؟ والمنية كامنة في إبعاد نفسي عن ذاتي، لان سيلفيا هي ذاتي العزيرة. والبعد عنها هو البعد عن نفسي. فتبا لك ايها الهجران القاتل. النور لا يكون نورا اذا غابت عني سيلفيا، والفرح لا يكون فرحا اذا احتجبت سيلفيا عن ناظري. لا يكفيني ان أتخيل انها بقربي، فماء السراب لا يشفي الغليل. والظلام يخيم عليّ اذا غاب عني وجه سيلفيا، وشدوا البلابل يفقد عذوبته. واذا لم أشاهد حبيتي يوما. فذاك اليوم لا يحسب من عمري. فهي غذاء نفسي، وهي الشعاع الذي يضيء دربي، وبدونها لا حياة ولا لذة ولا بهجة لوجودي. انا لا اخشى الموت ولا أهرب منه. انما بقائي هنا يعني دنو أجلي، وهربي منه يعني عودة الروح اليّ. (يرخي الليل سدوله).

(يدخل بروتيو ولنسيو)

بروتيو (للنسيو) : أسرع، يا غلام، أسرع، وفتش هذا المكان.

لنسيو (ينادي) : يا جبان.

بروتيو : ماذا تبصر هنا ؟

لنسيو : أهذا أنت، يا فالتينو ؟

فالتينو : كلا.

بروتيو : من انت اذا ؟ هل انت طيف ؟

فالتينو : كلا، ثم كلا.

بروتيو : من اذا، أجب.

فالتينو : لا احد.

لنسيو : وهل يستطيع غير الموجود ان يجيب ؟ ما رأيك، يا سيدي، لو

ضربته ؟

بروتيو : من تريد ان تضرب ؟

لنسيو : لا احد.

بروتيو (يمنعه من ذلك) : انا أمنعك، يا مغفل.

لنسيو : ولكن، اذا ضربته، يا سيدي، لا أفعل ذلك بدون سبب ؟ ارجوك...

بروتيو : اياك يا غبي ان تمسه. اصغ يا فالتينو، الى ما ا قوله لك.

فالتينو : أذناي مسدودتان، ولا تقويان على سماع الانباء الطيبة نظرا الى كثرة ما بلغني من أخبار السوء.

بروتيو : اذًا، سأدفن معلوماتي في بئر عميقة من الصمت، لانها حزينة لا تسرّ احدا.

فالتينو : هل ماتت سيلفيا ؟

بروتيو : كلا، يا فالتينو.

فالتينو : أتقول كلا، وفالتينو لم يعد له من وجود في نظر الفاتنة سيلفيا ؟
أولم تتكر لي بعد ؟

بروتيو : أكرر قلبي : كلا، يا فالتينو.

فالتينو : كن على يقين بأن فالتينو لا يسهه ان يعيش اذا تنكرت له سيلفيا.
لنسيو (بحدّة) : أظن ان هذا التصريح قد عكّر عليك تفكيرك.

بروتيو : من ابعذك عن هذا المكان ؟ وما صحة هذا النبأ ؟ ان هجرك ديارنا يقصيك عن سيلفيا وعني انا صديقك الحميم.

فالتينو : لقد تحملت هذا الصد بفارغ الصبر، وأشعر بالمزيد من الجفاء يخنفني. هل تدري هي بأني اعيش كأني في المنفى.

بروتيو : نعم، نعم. وقد اعترضت على هذا القرار الذي لا ازال اذكره بكل صرامته، وسكبت من عينيها النجلاوين بحرا من اللآلئ المائعة التي يدعوها الناس دموعا، ذرفتها عند قدمي جلّادها، جاثية متذللة رافعة باسترحام ذراعها الناصعتين الشاحبتين من شدة الالم. لكن لا ركبتيها المطويتين ولا يديها الطاهرتين المتوسلتين، ولا آهاتها الحزينة ولا أناتها الجارحة، ولا دموعها الغزيرة لم تقوَ على استردار شفقة والدها القاسي. فاذا وقعت انت في الفخ يا فالتينو، فنصيبك سيكون الهلاك المحتم. اذ قد أوغر صدر الاب حقدا عليك تشبّث ابنته التي التمس لك منه العفو، فما نالت جزاء استعطافها سوى الحجر الضيق الذي تخشى ان تبقى فيه سجينه الى الابد.

فالتينو : أصمت، يا غبي. اخشى ان تكون الكلمة التي ستلفظها شؤما على حياتي. واذا كان الامر كذلك، فاهمس في أذني الحكم الجائر عليّ بالعذاب المبرح.

لنسيو : هذا لا يهمني. بما ان لا اسنان لها، فهي اذاً لا تستطيع ان تعض.

ديليجنس : ثم ان لها ميل الى الشرب

لنسيو : اذا كان الشراب من الصنف الجيد فلا بأس ان ذاقته. وستمتنع عنه ان انا امتنعت. على كل حال، لا غنى عن تذوق أطيب الحياة.

ديليجنس : ثم انها بارزة التحرر.

لنسيو : هذا غير وارد الا بالكلام فقط، لانها فعلاً بطيئة الحديث اما من ناحية الدراهم فهذا لن يزعجني. لاني سأضيق عليها باب المصروف. وان امكن تحررها في باب آخر، فسأجد لكل داء دواء. هيا تابع.

ديليجنس : ثم ان شعر رأسها يفوق بكثير ما يغلفه من دماغ، كما تغطي نقودها العديد من نقائصها.

لنسيو : قف عند هذا الحد. لاني قررت الاحتفاظ بها. لقد كانت لي في الماضي، اما الان فألاحظ كأنها لم تعد من نصيبي، ومع ذلك أتشبث بموقفي منها.

ديليجنس : أكرر ان شعر رأسها يفوق كثيراً ما يخبئه من دماغ.

لنسيو : تقول ان مقدار شعرها يفوق دماغها. هذا محتمل، وسأثبت لك ان المملحة هي اكبر حجماً مما تحويه من الملح. وهكذا يكون الشعر الذي يغطي الدماغ اكبر حجماً من الدماغ، لان المحتوى دوماً اصغر من المحتوى. ديليجنس : فاذاً، سيئاتها هي اكثر من شعرها.

لنسيو : هذا فظيع. ألتمس من السماء ان لا يكون هذا صحيحاً.

ديليجنس : ونقودها اكثر من سيئاتها.

لنسيو : هذا في الواقع ما يجعل النواقص معقولة ومعذورة. أكرر عليك : اني مصمم على الاحتفاظ بها. وعندما يتم الزواج لن يبقى هناك من مستحيل.

ديليجنس : حيثذ ؟

لنسيو : أذكرك بأن سيدك ينتظرك عند الباب الشمالي.

ديليجنس : ينتظرنى انا ؟

لنسيو : أجل انت. ومن انت ؟ فلقد انتظر من هو ارفع منك شأنًا.

ديليجنس : لماذا لم تخبرني بذلك قبل الان ؟ تباً لرسائلك الغرامية. (يخرج).

لنسيو : هل هزته قراءة مكتوبي ؟ ما اغبى من يزجه تطفله في اسرار الغير.
سألحق به، ويسرني ان ارى ان هذا الصبي قد تعلم على حساب أخطائه
(يخرج) .

المشهد الثاني

ميلانو — في قصر الدوق

(يدخل الدوق وتوريو ثم بروتيو الذي يقف في مكان ما من صدر المسرح)

الدوق : سيدي توريو، ستحبك الان بعد غياب فالتينو عن نظرها.
توريو : منذ نفيه، اخذ كرهها لي يزداد، فلعت أسلافي وأهانتني حين يشت
من الحصول عليه.

الدوق : ان الانفعال في الحب أشبه بتمثال مصنوع من الجليد يذوب حالما
يتعرض للحرارة. ولن يمضي وقت طويل حتى يذوب جليد عواطفها، وتنسى
فالتينو الذي لا يستحقها. (يصير بروتيو) ما وراءك من اخبار، يا سيدي
بروتيو ؟ هل رحل مواطنك حسب اتفاقنا ؟

بروتيو (يتقدم) : لقد ذهب، يا مولاي الكريم.

الدوق : وقبلت ابنتي بالرحيل على اثر ما خلفه في صدرها من الالم.

بروتيو : هذا الحزن لن يلبث ان يزول مع الزمن.

الدوق : أظن ذلك، خلافا لما يعتقد به توريو. يا بروتيو، ان حسن ظني
باخلاصك لي يشجعني على الثقة بك اكثر فأكثر.

بروتيو : ومتى قلّ وفائي نحو سيادتك، أحجب عني أفضالك يا مولاي.

الدوق : انت تعلم كم اتوق الى توثيق العلاقات بين ابنتي والسيد توريو.

بروتيو : أجل، يا مولاي.

الدوق : وأنت لا تجهل ايضا، على ما أظن، مقدار مقاومتها ورفضها رغباتي.

بروتيو : هذا كان اثناء وجود فالتينو هنا.

الدوق : نعم ولكنها مستمرة في عنادها. فماذا يمكننا عمله لجعل سيادة
الآنسة تسمى حبها فالتينو، وتهوى السيد توريو ؟
بروتيو : أفضل وسيلة هي ان نلصق بفالتينو تهمة الخداع والجبانة والاحتيال.
وهي القبايح الثلاث التي تكرهها المرأة وتمقتها.
الدوق : نعم، ولكنها ستظن بأن الحق هو الذي ينطق بفمنا.
بروتيو : هذا صحيح، اذا كان احد اعداء فالتينو الذي يتكلم. ولذلك لا بد
من ان ينطق هذا القول مع التفاصيل الثبوتية على لسان من تنظر اليه كصديق.
الدوق : اذًا، انت الذي ستختلق هذه الافتراءات.
بروتيو : هذا ما اكرهه يا مولاي. فهو دور ذنيء بالنسبة الى شخص مثلي من
الاشراف، ولا سيما بحق صديق حميم.
الدوق : بما ان مدحك لا يخدمه، فان دَمَك لن يؤديه. قم اذًا بهذا الدور ولا
تبال، نزولا عند رجاء صديقك.
بروتيو : كلامك مقنع، يا مولاي. فاذا نجحت في تشويه سمعته في نظرها
ستكف اذ ذاك عن حبه. ولكن على افتراض اني اقلعت من قلبها تعلقها
بفالتينو، فهل هذا سيجعلها على حب السيد توريو ؟
توريو : بالفعل، عندما يفرغ قلبها من الهوى، اخشى ان يتعطل ولا يعود
صالحا للشعور النبيل. يجب اذًا توجيه عواطفها نحوي، وهذا لا يتم الا بفتح
قلبها على محبتي، بقدر ما تعلقه في وجه ميلها الى السيد فالتينو.
الدوق : انا ألقى كل اتكالي عليك في هذه القضية يا توريو، مع اني علمت
من فالتينو بأنك قد حولت حبك الى امرأة اخرى، وانك غير قادر على
نسيانها وإبدال وجهة تفضيلك. وعلى اساس هذه الضمانة، أود ان تنال رضی
سيلفيا اثناء تحدثك اليها بكل حرية، هي كئيبة ومنطوية على نفسها. انما عن
طريق تذكيرها بصديقك، ستسرّها مشاهدتك. وحينئذ سيسهل عليك اقناعها
بكره الشاب فالتينو، وبالتدله بحب صديقك القديم.
بروتيو : سأعمل كل ما بوسعي. انما، يا سيدي توريو، ليس لديك حججاً
كافية لاقتناعها. فعليك اذًا ان تكسب عطفها بما تبثه في أشعارك من شكوى
مؤثرة ومن اخلاص وأمنيات غالية.

الدوق : أجل ان تأثير الشعر قوي لانه إلهام سماوي.

بروتيو : قل لسيلفيا انك على مذبح حبها وجمالها، ستضحى بدموعك وتنهداتك ومشاعرك. اكتب حتى يجف مداد محبرتك، ثم رطب عباراتك بعبراتك، وانظم بعض الاشعار الرقيقة التي توحى بالحب الكامل، لان في قيثارة ربة الالهام أوتارا من عواطف الشعراء، لذلك جاءت نقراتها الذهبية تلين الفولاذ وتفتت الصخر، وتروض النمر وتضطر أضخم العفاريت الى مغادرة اعماق المهايوي لترقص على رمال الشواطئ، الحالمة. بعد هذه المغامرات الودية التي تستدرّ الحنو، إقترب ليلا من نافذة فتاتك الجميلة في نزهة رائعة، وانشد لنا شجيا ترافقه أنغام اوتارك الساحرة. واجعل صمت لياليك الساهدة يواكب لهفتك وأشواقك. وبغير هذه الوسيلة لن يتسنى لك امتلاك قلبها ابدا.

الدوق : هذا الاسلوب يرهن لها عن شدة ولهك بها.

توريو : ابتداء من هذا المساء بالذات أريد ان أتصرف حسب نصحك. وهكذا يا مرشدي العزيز بروتيو، سنمضي بخطى حثيثة الى المدينة لنختار بعض الموسيقيين الماهرين. لدي أغنية تفي بالمرام كمقدمة لبرنامجك الممتع الذي ارجو له كل النجاح.

الدوق : فالى العمل، يا سادة.

بروتيو : سنظل بجانب سيادتك حتى ما بعد الغداء. ثم ننفذ الخطوة.

الدوق : كلا. هيا الى العمل فورا، والله ولي التوفيق (يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الأول

غابة قرب متوا

(يدخل بعض اللصوص)

اللص الأول : استعدوا، يا رفاق، فاني ارى شخصا مقبلا.
اللص الثاني : حتى ان كان هناك عشرة شجعان، لن نتراجع بل نهاجمهم.
(يدخل فالتينو وديليجنس)

اللص الثالث (يقف امام فالتينو): قف، يا رجل، واعطنا ما معك، وإلا
حجزناك وسلبناك.

ديليجنس (لفالتينو): لقد هلكتنا، يا سيدي. هؤلاء هم اللصوص الذين
يروعون جميع المسافرين.
فالتينو : يا اصدقائي.

اللص الأول : انت متوهم، يا هذا. نحن لسنا اصدقاءك بل اعدائك.
اللص الثاني : تريثوا قليلا، يا رفاق. علينا ان نستمع اليه.
اللص الثالث : إي، ورثي. علينا ان نستمع اليه لانه انسان محترم، على ما
يبدو.

فالتينو : اعلّموا ان ليس لدي مال كي اخشى خسارته. انا رجل تلازمي الفاقة
منذ زمن طويل. فكل ثروتي هي ما عليّ من ملابس حقيرة. فان جردتموني
منها حرمتهموني ماديا جميع ما املك.

اللص الثاني : الى اين انت ذاهب ؟

فالتينو : الى مدينة فيرونا.

اللص الأول : ومن اين انت آت ؟

فالتينو : من ميلانو.

اللص الثالث : هل مكثت فيها طويلا ؟

فالتينو : ما يقارب عشرة اشهر. كنت استطيع البقاء فيها مدة اطول لو لم يخرجني منها سوء طالع.

اللص الأول : وهل أبعدت عن ميلانو ؟

فالتينو : أجل.

اللص الثاني : ولأي صنيع قبيح ؟

فالتينو : بسبب قضية لا يمكنني ان أئينها بدون ان يستولي عليّ الحزن. لقد قتلت رجلا أسف كثيرا لموته، مع اني قضيت عليه بيسالة بعيدة عن الغدر، في شجار لم ينشب بيننا لغاية سافلة او عن خيانة.

اللص الأول : لا تندم على ما فات. اذا كانت القصة قد جرت كما تقول، فاني اتساءل كيف أبعدت بسبب قضية بسيطة كهذه ؟

فالتينو : هذا ما حدث، وأنا سعيد بالحكم الذي صدر عليّ.

اللص الأول : هل تعرف لغات أجنبية ؟

فالتينو : الاسفار التي قمت بها في شبابي اكسبتي هذه الميزة، ولولاها لكنت لاقيت كثيرا من الضيق والحر.

اللص الثالث : لعمرى، ان رفيقا مثل هذا يكون خير زعيم لعصاباتنا.

اللص الأول : لنحتجزه اذا لهذه الغاية. اسمح لي بكلمة، يا سيدي.

(يتحنى اللصوص جانبا ويتشاورون بصوت خافت)

ديليجنس : يا سيدي، كن واحدا منهم، لان مهنتهم اللصوصية الشريفة.

فالتينو : كفى يا مغفل.

اللص الثاني (يتقدم نحو فالتينو) : قل لنا هل لديك مورد آخر ؟

فالتينو : لا مورد لي، ولست أملك غير ما عليّ من ثياب.

اللص الثالث : اعلم ان بعضنا من الاعيان، وقد طردتهم فئات طاغية من

المجتمع، وأنا ذاتي مبعد عن فيرونا بسبب محاولتي اختطاف امرأة هي قرية الدوق ووريثته الشرعية.

اللص الثاني : وأنا منفي عن مدينة متوا بسبب طعني احد الوجهاء بخنجر في قلبه.

اللص الأول : وأنا مبعد لأجل جريمة صغيرة من هذا النوع. اننا باستعراضنا واقعنا، نلاحظ اننا نعترف بذنوبنا لتبرير وجودنا المشبوه في نظرك. وعلى افتراض اننا نتمتع نحن بمثل هذه الميزة حسب اعتقادنا، تكون انت صاحب اللغات العديدة، الرجل الفذ الذي نحتاج اليه في مهنتنا.

اللص الثاني : خلاصة القول، انت مبعد، ونحن نود ان نتعامل معك. فهل ترضى ان تكون قائدنا وتساعدنا على ابراز فضائلنا في الحياة ضمن اطار عزلتنا الموحشة.

اللص الثالث : ما قولك ؟ هل تريد ان تكون من جماعتنا ؟ قل نعم، فتصبح رئيسنا ونحترمك ونخضع لأوامرك كقائدنا وسيدنا.

اللص الأول : ولكن، اذا احتقرت مبادئنا فموتا تموت.

اللص الثاني : كن على يقين بأننا لن ندع لك مجالا لتستهتر بما نقترحه عليك.

فالنتينو : اني اقبل عرضكم، وأريد ان اعيش معكم بشرط ان لا ترتكبوا حماقات بحق النساء البسيطات والمأرئين المساكين.

اللص الثالث : كلا. نحن نأبى هذه الجبانة الدنيئة. هيا تعال معنا. سنضمك الى عصابةنا ونريك كنوزنا التي، كما هي لنا، ستكون تحت تصرفك ايضا. (يخرجون)

المشهد الثاني

ميلاتو — تحت نوافذ سيلفيا، في ضوء القمر

(يدخل بروتيو)

بروتيو : لقد خنت فالتينو، والآن عليّ ان اخدع توريو. لاني تحت ستار التكلم باسمه، أجدني حرا في الولاء لحبي الخاص. لكن سيلفيا فتاة شريفة وأمانة وورعة، ولن تقبل بأن تغترّ بما أزينه لها بنذالة. فعندما أُنذرع لديها بوفائي الصادق ستبهنني الى مرأاتي والى وجوب محافظتي على عهد صديقي. وعندما أوجه الى شخصها الحبيب أعز أمنياتي، ستدكرني بأنني نقضت وعودي لجوليا التي كنت مغرما بها. انما بالرغم من كل هذه المهازل التي يحطم أبسطها آمال العشاق، ارى حبي شبيها بالكلب الذي كلما قسوت عليه كلما ازداد تعلقا به. ها هو توريو قد أقبل، فيجب عليّ أن أذهب الان الى نافذة سيلفيا لكي أنشد لها بعض الاغاني.

(يصل توريو برقة بعض الموسيقيين)

توريو : اراك تسلت الى هنا قبلنا، يا سيدي بروتيو.
بروتيو : أجل، يا عزيزي توريو. الحب كما تعلم يتسلل كاللص الى حيث لا يسهه ان يدخل علنا.

توريو : الامل، يا مولاي، ان لا تكون حبيبتك في هذا المكان.

بروتيو : بالعكس، يا سيدي. وإلا ما كنت اتيت الى هنا.

توريو : ومن هي ؟ هل هي سيلفيا ؟

بروتيو : نعم، سيلفيا. انما نتيجة مساعي هي لصالحك، كما تعلم.

توريو : شكرا جزيلا. (للموسيقيين) اضبطوا، يا سادة، آلاتكم واعزفوا بحماس. (يتقدم بروتيو وتوريو الموسيقيين، ويقف الجميع تحت نوافذ سيلفيا).

(يدخل فندقي بصحبة جوليا المتنكرة بلباس غلام وكلاهما يقفان بعيدا)

الفندقي : يا ضيفي الشاب، ارى على محياك بعض الكآبة. فأرجوك ان تعلمني
بما تشكو منه.

جوليا : لا أبلغ، يا مضيبي، ان بحث لك بأن البهجة حاليا تجافيني.
الفندقي : اذا سأبذل جهدي لإدخال السرور الى قلبك. سأخذك الى حيث
تستمع الى الموسيقى وتلتقي بالرجل الذي تنتظره.

جوليا : وهل يمكنني ان أسمعهم يتكلم ؟

الفندقي : بالطبع.

جوليا : ماذا تريد ان تسمعي من الموسيقى ؟ (تبدأ الجوقة بالعزف).

الفندقي : انتبه، انتبه ؟

جوليا : هل هو بين هؤلاء الناس ؟

الفندقي : أجل، ولكن أصمت وانصت.

أنشودة

من هي سيلفيا هذه، من هي ؟

حتى يثني عليها الكل ويباهي.

هي فتاة طاهرة عاقلة امينة

اسبغت عليها السماء نعما ثمينة

من شأنها ان تزيدها سحرا واعجابا.

هل هي طيبة بقدر ما هي جميلة ؟

أجل، وأخلاقها للنبل سليمة

والعيون على الحب خير شاهد

يرى البلسم فيه العاشق الساهد

يسأل بلهفة عن شكّه جوابا.

لننشدا اذا اكراما لسيلفيا.

ففيها الجود والوفاء تلاقيا

وهي تفوق كل مخلوق كريم

على الارض الخصبة الخيرة مقيم

وقد اسرت جميع القلوب غلابا.

الفندقي (لجوليا) : انت لا تزال حزينا كما رأيتك قبل برهة. فما بالك يا صاح ؟ ألا تعجبك هذه الموسيقى ؟

جوليا : انت مخطيء. فان ما لا يعجبني هو الموسيقي.

الفندقي : ولماذا، يا سيدي الانيق ؟

جوليا : لأن عزفه نشاز.

الفندقي : وما السبب ؟ هل الأوتار غير مضبوطة ؟

جوليا : كلا. ان عزفه مغلوط، ويزعج حتى نياط قلبي.

الفندقي : أرى ان أذنك المرفهة حساسة للغاية.

جوليا : أجل، وكم أود أن أكون أصمّ لأن هذا العزف يخدش أذني.

الفندقي : أنا ألاحظ انك لا تحب الموسيقي.

جوليا : كلا، ثم كلا. بل لا أحب هذا الدوي.

الفندقي : إسمع انسجام التنوع المنسق في النغم العذب.

جوليا : العلة كامنة في هذا التنوع بالذات.

الفندقي : هل تريد أن يتكرر الايقاع عينه بتواتر ؟

جوليا : أود ان اسمع عزف لحن واحد حلو. ولكن قل لي، يا مضيبي العزيز، هل السيد بروتيو الذي تتكلم عنه، يزور هذه السيدة بانتظام ؟

الفندقي : لا يسعني الا ان اعيد عليك ما قاله لي رفيقه لنسيو : انه متدلّه بهواها.

جوليا : اين لنسيو ؟

الفندقي : ذهب يبحث عن كلبه، ليقدمه غدا هدية لهذه السيدة تلبية لأمر معلمه. (تتوقف الموسيقي).

جوليا : ما هذا الصمت، ولما الانتظار صفا واحدا ؟ ثم لماذا تفرق الجوقة هكذا ؟ (يستلقي الفندقي في صدر المسرح كأنه يتهيأ للنوم).

بروتيو : مولاي توريو، لا تهتم انت بشيء. سأدافع عنك وستقدّر شهامة موقفي.

توريو : اين سنلتقي ؟

بروتيو : عند البئر المعهودة.

توريو : الى اللقاء. (يخرج توريو والموسيقيون).

(تظهر سيلفيا عن شرفة نافذتها)

بروتيو : ليلتك سعيدة، يا سيدتي.

سيلفيا : أشكركم على موسيقاكم، يا سادة. من الذي تكلم الان ؟

بروتيو : رجل سرعان ما تعرفينه من نبرات صوته، ان وثقت بصدق عواطفه الوفية، يا سيدتي.

سيلفيا : مولاي بروتيو، أوتظن ذلك ؟

بروتيو : أجل، يا سيدتي اللطيفة. انا خادمك الامين بروتيو.

سيلفيا : ماذا تريد ؟

بروتيو : ان أنفذ رغباتك.

سيلفيا : كن مطمئنا. ان ما ارغبه بالذات هو ان تنسحب حالا من هنا. نبأ لك من منافق محتال. أظنني هكذا غبية وطائشة حتى أنقاد الى تمليكك واغوائك ووعودك الخداعة. عد الى عشيقتك وعوض لها عن كل مساوئك. اما انا فأقسم لك بأنني لن ألبى طلباتك، لا بل أزدرى بكل ميولك وآسف للوقت الذي أضيعه الان في التحدث اليك.

بروتيو : انا لا أنكر، يا عزيزتي الفاتنة اني احببت سيدة، لكنها ماتت.

جوليا (على حدة) : لكي أفصح كذبك، يكفيني ان أتكلم. فأنا على يقين بأنها لا تزال حية.

سيلفيا : لنسلم بأنها ماتت. فان صديقك فالتينو لا يزال حيا، وأنا خطيئته كما تعلم. أولا تخجل من اهانتته بتدخلك وادعائك ؟

بروتيو : لقد علمت ايضا ان فالتينو قد مات.

سيلفيا : وافترض اذاً انني أنا أيضا قد مت، فيمكنك والحالة هذه ان تعتبر ان قلبي مدفون معه في القبر.

بروتيو : ايها السيدة الحلوة. اسمحي لي ان انبشه من تربته.

سيلفيا : اذهب الى ضريح صاحبك وناجها أو أدفن على الاقل حبك فوق هواها.

جوليا (على حدة) : انه يأبى ذلك.

بروتيو : بما ان قلبك قاس الى هذه الدرجة، يا سيدتي، اسألك ان تمنحيني على الاقل صورتك المعلقة في حجرتك، فأخاطبها وأكرس لها تنهداتي ودموعي، ما دمت قد وهبت قلبك شخصا آخر، ولم يبق منك في خاطري سوى طيف متباعد، فأود ان أوجه تذكاراتي الى رسم خيالك.

جوليا (على حدة) : لو ملكت قلبي حقاً لخدعته وجعلت منه طيفاً نظيري.

سيلفيا : انا أكره كل الكره ان اكون المرأة التي تحبها، يا سيدي. وبما ان الكذب يحملك على تقديم بخورك لخيال، وعلى التعلق بسراب وهمي، ارجوك ان تبعث اليّ صباح الغد بمن اعطيه رسمي، فيتسنى لك حينئذ ان ترقد ناعم البال.

بروتيو : نظير الاشقياء الذين ينتظرون تنفيذ حكم الاعدام فيهم باكرا. (تسحب سيلفيا من الشرفة. ويخرج بروتيو).

جوليا (تهز الفندق) : أتريد ان تذهب، ايها الفندق؟

الفندقي (يستفيق) : ما أغباني ! كيف غصت في النوم ؟

جوليا : قل لي، اين يسكن السيد بروتيو ؟

الفندقي : عندي. أعتقد بأن الصباح قد انبلج.

جوليا : ليس تماما. ولكن هذه اطول وأسوأ ليلة قضيتها في حياتي. (يخرجون).

المشهد الثالث

في نفس المكان

(يطلع النهار. ويدخل اكلامور بشباب الحداد)

اكلامور : في هذه الساعة، طلبت مني السيدة سيلفيا ان أوافيها، لتفصح لي عما ترغبه مني. فهي تريد ان تكلفني بالقيام بعمل هام. سيدتي، اين انت يا سيدتي ؟

سيلفيا (تطل من شرفتها) : من يناديني ؟

اكلامور : خادمك وصديقك الذي ينتظر أوامرك.

سيلفيا : صباح الخير، يا مولاي اكلامور.

اكلامور : صباح الخير، يا سيدتي. تلبية لمشيتك جئت باكرا لأعرف اية خدمة تطلبين مني ؟

سيلفيا : يا سيدي اكلامور، لا تظن اني أتملّك. أقسم لك بأنني صادقة. انت من الوجهاء الشجعان العقلاء ذوي النباهة والفطنة، ولا تجهل ميلي الى المنبوذ فالتينو. وتعلم جيدا ان ابي يصّر على تزويجي حتى بالقوة للبدن توريو الذي أكرهه بكل قواي. انت اختبرت الحب، وسمعتك مرارا تصرّح بأن لا شيء في الدنيا أملك مثل وفاة حبيبتك التي اقسمت على بلاط ضريحها بأن تظل امينا لذكرها وتبولا الى الابد، اكراما لمنزلتها الغالية عليك. يا اكلامور، أريد ان ألحق بفالتينو الى متروا حيث علمت بأنه ينتظرني. ولما كان اجتياز الطرقات الى هناك غير مأمون، أرجوك أن لا تضن عليّ برفقتك المطمئنة، وأنت تحظي بثقتي الكاملة. لا تحتج بغضب والدي، يا اكلامور، انما فكر بالامي كامراة، وبشرعية هربي الذي سيجنني قرانا باطلا يجبر عليّ الوبال والشقاء والمذلة الى الابد. انا ألتمس منك هذا المعروف لانه يجسد احلى امانى قلبي المثقل بالهم والعذاب بقدر ما على شاطئ البحر من رمال. ارجوك ثم ارجوك ان لا تبخل عليّ برفقتك، وأستحلفك بأن لا تبوح بسري لاحد، لاني، ان لم ترافقني، أنوي المغامرة بالذهاب حيثنذ وحدي.

اكلامور : انا أرثي لحالك، يا سيدتي، لاني اعرف جيدا عظيم ولائك لي وأرضى بمرافقتك غير آبه لما يمكن ان ينوبني، ما دمت أتوق الى تحقيق سعادتك. فمتى انت مصممة على الرحيل.

سيلفيا : هذا المساء.

اكلامور : الى اين يمكنني ان أصطحبك ؟

سيلفيا : الى مقر صديقي بتريك حيث استطيع ان اختبئ بعض الوقت.

اكلامور : لن ادعك تنتظريني طويلا. أتمنى لك نهارا سعيدا، يا سيدتي اللطيفة.

سيلفيا : نهارك سعيد، يا عزيزي اكلامور. (تنسحب سيلفيا من الشرفة ويذهب اكلامور).

المشهد الرابع

في نفس المكان

(يدخل لسيو وهو يجترّ كلبه)

لنسيو : عندما يكون للمرء خادم يتصرف مثل الكلاب، لا بد لسير الامور من ان يتعرقل. وما عجبني الا بمخلوق اعتنيت به صغيرا وأنقذته من الغرق، وكان له ثلاثة او اربعة من الاخوة والاخوات البلداء يرافقونه، وقد ربيته بطريقة تجعلني اقول للناس بافتخار : انظروا كيف احسنت تربية كلبتي. والآن، انا مكلف بأن أقدمه كهدية للسيدة سيلفيا من قبل معلمي. وما كدت ادخل غرفة المائدة حتى قفز الى صحنتي وسرق فخذ الدجاج الذي كان فيه. ما افطع ان لا يكون الكلب حسن السلوك في كل الظروف. لو لم اكن سريع الخاطر لأتدارك الخطأ الذي ارتكبه، أعتقد بأنه كان يستحق القتل حتما. ومن التفاصيل التالية تحكمون على ما جرى : لقد اندس هذا الكلب مع ثلاثة او اربعة من بني جنسه تحت طاولة الدوق. وكان قد لجأ الى ذلك المكان ليبول، فشتم الحاضرون الرائحة الكريهة، وصرخ به احدهم : اخرج ايها الكلب. وسأل آخر : لمن هذا الحيوان ؟ ثم صاح ثالث : اطروده، اطروده. وأخيرا زمجر الدوق صارخا : اقتلوه. بينما انا، بعد ان شممت الرائحة وأدركت ان صاحبها هو كلبتي، مضيت حالا الى الغلام الذي يضرب الكلاب بالسياطة، وقلت له : يا صاح، هل تنوي جلد هذا الكلب ؟ فأجابني : بكل تأكيد. فقلت له : ستظلمه ان فعلت، لأن القباحة النكراء هي من صناعي. واذا به بدون أي تحفظ يطردني من الغرفة. وكم من السادة يتصرفون هكذا حيال خدمهم ! أؤكد لكم اني عرضت نفسي للعقاب بسبب ما سرقه كلبتي من صحنون الارز بالحليب، وإلا لكان تعرّض هو للقتل رميا بالرصاص، وتعرضت انا للربط الى عمود الجلد، بسبب ما خنق من الأوزات، فأنقذته من القصاص

(يلتفت نحو الكلب) انت لا تتذكر هذا الان، غير اني لا ازال أتخيل المهزلة التي قمت انت بها امامي. عندما استأذنت السيدة سيلفيا للانصراف، أو لم أوصيك ان تراقبني وأن تقتدي بي ؟ هل ابصرتي مرة أتصرف هكذا ؟ (يدخل بروتيو ومعه جوليا مرتدية زيّ غلام).

بروتيو : سأدعوك سيستيان. انت تعجبني، وسأحتاج اليك بعد برهة.
جوليا : في سبيل ما يعجبك، انا مستعدة لان أبذل كل ما بوسعي من الجهد.
بروتيو : انا متكل عليك. (للنسيو) ايها اللص الخبيث، يا ابن الزانية، اين كنت تتجول في هذين اليومين ؟
لنسيو : صدّقني، يا معلمي. لقد حملت الكلب الى السيدة سيلفيا، كما طلبت مني.

بروتيو : وما هو رأيها بجوهرتي الصغيرة ؟
لنسيو : العفو، هي تقول ان كلبك بذيء، وزادت قاتلة : ان العواء هو الشكر الوحيد الذي تستحقه هدية كهذه.

بروتيو : المهم، هل قبلت كلبتي ؟
لنسيو : كلا. ولذا اعدته معي الى هنا.
بروتيو : أولم تقدمه من قبلي ؟

لنسيو : بلى، يا سيدي. لكن كلبك قد سرقه مني خادم الجلّاد في الساحة العامة. فقدمت له كلبتي وهو يساوي عشرة من أمثال كلبك. وهكذا جازت الهدية على استحسان مزدوج.

بروتيو : هيا اذهب من هنا وإلحق بكلبي، ولا تعد الى هذا المكان اثناء وجودي. اغرب عن وجهي. مالك لا تتحرك، ألتئير غضبي ؟ (يهرب لنسيو). ايها البليد، انت تفيظني على الدوام. لقد قبلتك في خدمتي أولا لانني بحاجة الى شاب يقضي أموري بسرية تامة، ما دمت لا استطيع الاتكال على هذا البهلول السمج، ثم بنوع خاص، بسبب طلعتك وهندامك اللذين أستبشر بهما خيرا، لانهما يدلان على ثقافة عالية وطبيعة مرحة وشريفة. فاعلم اني لاجل ذلك رضيت بك. إمض حالا وسلّم هذا الخاتم للسيدة سيلفيا لان التي اعطتني اياه كانت تحبني كثيرا.

ذلك اظن ان الرسام قد بالغ في تجميله، ان لم اكن انا مغرورة بنفسي. فشعره كستائلي قائم، بينما شعري انا اشقر ذهبي. ولو كان هذا الفرق الوحيد بيني وبين بروتيو لكنت اقتنيت شعرا مستعارا ليكمل الشبه بيني وبينه. ان عينيه كالزجاج لا تعبير فيهما مثل عيني. أجل، لكن جبهته ضيقة بقدر ما جبهتي هي عريضة. فما الذي يعجبه فيها يا ترى، ولا أتمكن انا من نيل رضاه ؟ آه من الحب الغبي، ما أشد عماه ! ايها الخيال المسكين، هيا تأمل هذا الطيف، فهو مزاحمك البغيض. (تنظر الى الرسم). يا لك من رسم غير حساس، سيقدم لك البخور والحب والحفاوة بلا حساب. لو كان لميل بروتيو الى التحف من معنى، لوجب عليه ان يكرم شخصي بدلا من هذا الشيخ الجامد. غير اني أحسن معاملتك تقديرا لمعلمتك التي اكرمت وفادتي. ولو اصبح الامر خلاف ذلك، أقسم لك بكل عزيز، اني كنت فقأت عينيك الاننتين لكي أنتزع من صدر معلمك ما يحفظه لك من هيام (تخرج).

الفصل الخامس

المشهد الأول

ميلانو — في احد المعابد

(يدخل اكلامور)

اكلامور : اخذت الشمس تميل الى الغروب. وبعد قليل يحين موعد وصول سيلفيا لموافاتي الى مقر الصديق بترك. ستأتي في الموعد المضروب. لان العشاق حريصون عادة على الدقة في الوقت. الا اذا جاءت مبكرة، لما بها من لهفة الى الاستعجال في تحقيق حلمها.

(تدخل سيلفيا)

ها هيذا قد اقبلت. ليلتك سعيدة، يا سيدتي.
سيلفيا : ليلتك سعيدة. هيا، يا اكلامور الكريم، نغادر هذا المكان لاني اخشى ان يكون بعض الجواسيس في اثري.
اكلامور : لا تخافي، فالغابة ليست بعيدة من هنا، ومتى وصلناها نمسي في مأمن من كل مكروه.

المشهد الثاني

في قصر الدوق

(يدخل توريو وبروتيو ثم تتبهما جوليا)

- توريو : مولاي بروتيو، بماذا ترد سيلفيا على الحاحي ؟
- بروتيو : اني اجدها، يا مولاي، ألطف مما كانت عليه، بالرغم من انها تبدي بعض الاعتراض على شخصك.
- توريو : ماذا تقول ؟ ان ساقّي أطول من المعتاد ؟
- بروتيو : بل انهما أقصر مما ترغبه هي.
- توريو : سألبس في رجليّ جزمة لأزيدهما طولاً.
- جوليا (على حدة) : ليس من قوة تدفع المحب الى حيث يكره ان يكون.
- توريو : وماذا تقول عن وجهي ؟
- بروتيو : انه ناصع البياض.
- توريو : هذا محض افتراء. وأنت ترى ان وجهي اسمر اللون.
- بروتيو : انما اللآلئ بيضاء. وما أصدق القول : ان الرجال السمر هم لآلئ في نظر النساء الجميلات.
- جوليا (على حدة) : ان دررا كهذه تبهر عيون الحسنات. لذا انا أغمض جفنيّ كي لا ابصرها.
- توريو : وكيف تجد حديثي ؟
- بروتيو : مملاً عندما تتكلم عن الحرب وويلاته.
- توريو : وطلباً، بدون شك، عندما اتكلم عن الحب وأفراحه.
- جوليا (على حدة) : وتعتبره الافضل، عندما يكون حيادياً.
- توريو : وماذا تقول عن صفاتي ؟
- بروتيو : ليس لديها، يا مولاي، أدنى ريب في نبلها وسموها.

جوليا (على حدة): لا بد من ان تكون مطمئنة البال نظرا الى ما تعرفه عنه من قلة الاكثراث.

توريو : وماذا تقول عن اصلي ؟

بروتيو : انك سليل أسرة عريقة.

جوليا (على حدة): هذا صحيح. وهو سليل وجهاء من فئة المغفلين.

توريو : هل تفكر بأملاكي ؟

بروتيو : طبعا وبأسف.

توريو : لماذا ؟

جوليا (على حدة): لانها تخص مثل هذا الحمار.

بروتيو : لان املاكك غير مضمونة.

جوليا : ها هو الدوق آت.

(يدخل الدوق)

الدوق : اهلا بالسيد بروتيو، وأهلا بتوريو. من منكما رأى اكلامور ؟

توريو : انا لم ابصره.

بروتيو : ولا انا.

الدوق : وهل شاهد احد منكما ابنتي ؟

بروتيو : كلا.

الدوق : صح اذاً نبأ هربها لموافاة حبيبها المراوغ فالتينو، ومرافقة اكلامور

لها باتت لا تقبل الشك، لان احد الاصدقاء صادفهما معا في الغابة حيث كان

هو ينتزه. وقد عرف فالتينو، وأغلب الظن انه عرفها هي ايضا. ولكن بما انها

كانت مقنعة، لم يتمكن من الجزم بأنها هي. على كل حال، لقد صرحت هي

بأنها ستذهب لزيارة الصديق بترك، وان لم يشاهدها احد هناك. وهكذا

نلمس ان ادعاءاتها تؤكد هربها. لذلك أرجو ان لا يطول شرحك، بل ان

تمتطي جوادك فورا، وأن تلاقيني عند منعطف الشاطئ الذي يؤدي الى متنوا.

لأنهما اختفيا في تلك الناحية. أسرعوا، يا سادتي الأجلاء، واتبعوني.

(يخرج)

توريو : ويلي، هذه فتاة صعبة المراس، وقد هربت هكذا من السعادة التي

تطرق بابها. أنا ماض الى هناك، لا حبا بسيلفيا المستهتره، بل لمعاقبة اكلامور
(يخرج)
بروتيو : انا ايضا ماض. ولكن لأضع حدا لهذا الغرام فقط، لا كرها بسيلفيا
التي هربت لتلحق بحبيبها. (يخرج)

المشهد الثالث

في غابة على طريق متوا

(يدخل لصوص مصطحين سيلفيا)

اللص الأول : هدئي روعك، يا صبية. علينا أن نقودك الى رئيسنا.
سيلفيا : ان مآزق أدهى من هذه علّمتني اجتياز الصعاب بصبر وشجاعة.
اللص الثاني : عجلوا، خذوها.
اللص الأول : اين الرجل الذي كان يرافقها ؟
اللص الثالث : تملّص منا واختفى، لانه سريع العدو. لكن موسى وفاليريوس
يطاردانه. (للصوص الأول) خذها انت الى اقصى الجهة الغربية من الغابة. هناك
تجد رئيسنا. اما نحن فسنلاحق الهارب. المنحدر مطوّق ولا سبيل للفارّ الى
الابتعاد كثيرا.
اللص الأول (لسيلفيا) : تعالي معي، لأقودك الى كهف رئيسنا. لا تخافي، انه
طيب القلب، شهم، لا يسيء معاملة اية امرأة.
سيلفيا : لأجلك يا فالتينو، أحتمل كل هذا العذاب (يخرجون)

المشهد الرابع

في ناحية أخرى من الغابة

(يدخل فالتينو)

فالتينو : سرعان ما توطد الممارسة بعض العادات في أعماق الانسان. ففي هذه الوحدة الموحشة، وهذه الغابة النائية، يمكنني أن أتدبر امري اكثر من المدن الآلهة الصاخبة. هنا استطيع أن أجلس وحدي، بعيدا عن الناس، أنتشي بتغريد البلابل الشجية، أهدهد احزاني وأصعد آهاتي بحرية. اما انت يا ساكنة فؤادي، فلا تغادري مأواك ولا تهجريه طويلاً خشية أن يتساقط البناء ركاما على رأسي ولا يترك أطلالا تذكرني بما كنت أنعم فيه من بهجة ومرح. ألا جددي شبابي بعطفك عليّ يا سلفيا. يا حوريتي الفاتنة، بادري الى نجدة محبك المفجوع. (يسمع صوت صليل سيوف تتخلله صرخات). ما هذه الضجة ؟ ما هذه القعقة اليوم ؟ أعتقد بأن رفاقي يفرضون ارادتهم كأنها شريعة محتمة، يطاردون بعض المارة المساكين. هم يحبونني كثيرا. مع ذلك، عليّ أن أسعى جديا لمنعهم من ارتكاب التجاوزات المؤذية. إنسحب انت يا فالتينو. من القادم الى هنا ؟ (يقف جانبا).

(يدخل بروتيو، ويده السيف، ثم تدخل سلفيا وجوليا)

بروتيو : نعم، يا سيدتي، لقد قمت بالمهمة التي كلفتني بها خير قيام، وان كنت غير أبهة لما يستطيعه خادم نظيري. لقد غامرت بحياتي لكي أنجيك من رجل كان ينوي ان يقسو عليك بوحشية ويدوس شعورك وحرثك بشراسة. فجدودي عليّ، على الأقل، بنظرة حنان تكون مكافأة لاختلاصي. اذ لا أجرؤ على طلب. ذلك، ولكني اثق بأنك لن تبخلي عليّ به نظرا الى كرم أخلاقك.

فالتينو (على حدة) : ان ما اراه وأسمعه الان يشبه الحلم. أيها الحب، هبني الصبر لأتمالك نفسي برهة.

سيلفيا : ما أشقاني، وما أسوأ حظي !
بروتيو : قبل ان آتي الى هنا، كنت انت شقية، يا سيدتي. لكن مجيئي اليك
غمر قلبك بالسعادة.

سيلفيا : لا، بل بالعكس، فان قربك ضاعف تعاسي.
جوليا (على حدة): وتعاسي ايضا، حالما تقرب هو اليك.
سيلفيا : أفضل ان اقع بين أنياب أسد جائع، وأن أذهب طعمة الوحوش، على
أن يكون خلاصي على يد الخسيس بروتيو. الله يعلم كم أكن من الحب
العميق لفالتينو الذي أعتبر حياته أغلى من حياتي. وهكذا تفاقم حقدني على
بروتيو اللئيم، الذي لا يمكنه أن يكون أفضل مما هو. لذلك اطلب منك ان
تذهب ولا تأمل بحبي ابدا.

بروتيو : مهما كان الخطر الداهم مميتا، سأجابه غير هيأب لأحظي ولو
بنظرة عطف واحدة منك، اذ ليس من شقاء اقسى من عذاب الهيام، وليس
أتعس من رجل يحب امرأة لا تهواه.

سيلفيا : وليس من مثيل لبروتيو الذي يعشق المرأة التي لا تميل اليه. اقرأ
مجددا اذا في محيا جوليا قصة حبك الأول. فلكي تنال رضاها، قد مزقت
سعادتك وجعلتها إربا اربا. وكل هذه الوعود تبخرت هباء بسبب ولهي بغيرك.
في اعتقادي، لم يعد لك الان كلمة. وأخشى ان تكون لك كلمتان مختلفتان،
فهذه هي اسوأ الحالات. نعم، في الحقيقة، الأفضل أن لا تكون للانسان
كلمة، من ان تكون له كلمتان، احدهما لا يمرر لها. ومع ذلك، أظنك قد
خنت أعز اصدقائك.

بروتيو : في الحب، من يا ترى يحترم الصداقة ؟

سيلفيا : معظم الرجال، ما عدا بروتيو.
بروتيو : اذا كانت الفصاحة والبلاغة من أشد الكلام تأثيرا، فلن تقوى على
تليين قلبك، وأنا مستعد لان أغازلك عنوة وأجبرك على محبتي، ولو اضطرت
الى استخدام حد السيف، وسأظل احبك رغم انفك.

سيلفيا : يا إلهي !

بروتيو (يأخذها بين ذراعيها): سأجبرك على الخضوع لمشييتي.

فالتينو (يهجم) : تبأ لك من متهتك وقح ! كف عن هذا العناق البذيء، يا
وجه النحاس، ومجلبة الشؤم !

بروتيو : فالتينو !

فالتينو : يا عنوان الدناءة، يا عديم الشرف والمروءة والوفاء، تماما نظير
أصدقاء الوقت الحاضر، يا حليف الغدر والخيانة ! لقد خيبت آمالي أيها
الوغد، وهدمت صرح أحلامي لأن ما لمحتة عيناى وحده يكفى لاقناعى
بواقعك المشين. الان لم اعد أجزؤ على القول بأن لي صديقا واحدا حيا، لأن
وجودك يكذب ادعائى. فبمن أضع ثقتي عندما يسحق قلبي أعز الناس لدي ؟
انا آسف لفقداني ثقتك بي الى الابد، لأن شكك جعلني غريبا حتى عن
نفسى، ما دام أذى القريب والحبيب يفوق كل البلايا. تبأ لك، أيها الزمان
اللعين الذي أصبح فيه الصديق أبغض من العدو اللدود.

بروتيو : ان عاري وجريرتي يخجلاني. فسامحني يا فالتينو. ليت وخز
ضميري في الحب يكون تكفيرا وافيا عن تقصيري، فأقدمه لك تعويضا عما
اقرفته بحقك من جحود. واعلم ان آلامي هي اقطع من ذنوبي بما لا يقاس.
فالتينو : لقد استوفيت حقى. والآن أجدد تمسكى بمهودك لانى أثق
بكلامك. فمن لا يردعه الندم لا يستطيع ان يميز بين الخير والشر، وأن يفرق
بين العنف واللين. وبما ان التوبة تخفف غضب الله، ولكي تلمس ان أمانتي
حيالك صادقة وراسخة، أقدم لك كضمانة ما خيرته من فضائل سيلفيا.
جوليا : الويل لي (تترنج).

بروتيو (يشير الى جوليا) : ماذا حل بهذا الغلام ؟

فالتينو (يقترب من جوليا) : آه منك أيها الخبيث ! هيا اخبرني، ما الامر ؟
ارفع عينيك وتكلم.

جوليا : سيدي العزيز، كلفني معلمي بأن أسلم خاتما للسيدة سيلفيا، وقد
تماهلت في القيام بالمهمة.

بروتيو : اين الخاتم ؟

جوليا : ها هو. خذه (تسلمه خاتما).

بروتيو : ما هذا ؟ هو الخاتم الذي اعطيته جوليا.

جوليا : عفواً، يا سيدي. لقد اخطأت. هذا هو الخاتم الذي ارسلته اليك سيلفيا (تريه خاتما آخر).

بروتيو (يتأمل الخاتم الأول) : ولكن كيف حصلت عليه ؟ فعند ذهابي، كنت أعطيته جوليا.

جوليا : وجوليا بعينها هي التي سلمتني اياه، لأنها هي التي اتت به الى هنا. بروتيو : ماذا تقول ؟ جوليا أتت به ؟

جوليا : انظر الى من كانت ضحية وعودك العرقوية، ومن أدميت قلبها المحب. منذ ذلك الحين، كم سببت لها من مأس ! وكم أتمني يا بروتيو ان يرتد كيدك الى نحرِكَ بالويل والحسرة. عليك ان تستحي لأنك دفعتني الى التناكُر بهذا الزِيّ لأخفي حقيقة حيي عن الأنظار، اذ من الاسهل، لثمويه العشق، ان تستر المرأة باستبدال ثيابها حياء، من ان يذل الرجل نفسه.

بروتيو : أجل يصعب ذلك على الرجل. ولو كان وطيد الرأي ثابت الجنان، لأصبح اقرب الى الكمال. ان ضعفه هذا بالذات يزيد الطين بلة ويضاعف نقائصه وأخطائه، ويحمله على ارتكاب الكثير من الحماقات والسفالات. فالتقلب هو دائما دليل خساسة وانحطاط، فوق ما يؤدي اليه من عواقب وخيمة. لست أدري ما الذي يسحرني في عيني سيلفيا من معاني المودة والوفاء لا أجد أحلى منها في نظرات جوليا.

فالتينو : ليعطني كل منكما يده، وليدعني أنعم بسعادة الجمع بين قلبيكما، اذ من المؤسف حقا ان يتناصب صديقان مثلكما العداء طويلا.

بروتيو : الله يشهد على صدق نيّتي، واياه اسأل تحقيق أمنيّتي هذه.

جوليا : وأمنيّتي أيضا. (يصل بعض اللصوص بصحبة الدوق وتوريو).

احد اللصوص : انتبهوا، انتبهوا، انتبهوا.

فالتينو : كفى، كفى. هذا هو مولانا الدوق. أرحب بك، يا مولاي، انا فالتينو الطريد.

الدوق : من ارى هنا ؟ السيد فالتينو ؟

توريو : وها هي حبيتي سيلفيا.

فالتينو (والسيف في يده) : ابتعد، يا توريو، وإلا أزهدت روحك. لا تقف

في وجه غيظي ونقمتي. أكرر عليك انك لن ترى ميلانو بعد الان. ها هي سيلفيا أمامك، فلا تقل انها تخصك، ولا تفكر في استمالتها. اياك ان تلامس يدها، او ان تحاول التزلف اليها.

توريو : مولاي فالتينو، انا لست طامعا بعطفها. فمجنون من تسول له نفسه بأن يفاخر بحياته لأجل امرأة لا تحبه. انا لا أطلب بها ابدًا، وهكذا هي لك وحدك.

الدوق (لتوريو) : الالتجاء الى الأساليب الدنيئة للوصول اليها ما هو الا انحطاط ولؤم. أعلم انني، قسما بشرف أجدادي، أقدر شهامتك، يا فالتينو، وأعبرك أهلاً لأن تعشق امبراطورة. ومنذ هذه اللحظة، أيقن جيداً كذلك، بأنني أنسى كل عذاب وحقد، وأدعوك الى زيارتي، وأعرضك على الطموح الى ماثرة جديدة تحاكي مروءتك التي قل نظيرها. ومساهمة مني بذلك اقول : يا مولاي فالتينو، أنت شاب كريم المنيب والاخلاق، وعليك أن تحتفظ بحبيبتك سيلفيا ما دام كل منكما أهل لرفيقه.

فالتينو : اشكر سيادتك على هذا الثناء الذي يفعم قلبي سرورا. وأتوسل اليك باسم ابتك ان تسدي اليّ المعروف الذي ألتسمه منك بالحاح. الدوق : ثق بأنني أستجيب طلبك مهما يكن.

فالتينو : هؤلاء الخارجون على القانون، عشت انا وإياهم ردحا من الزمن، ووجدتهم من الرجال الموهوبين المخلصين ذوي الهمم العالية. فسامحهم، ايها المولى الكريم، على ما اتوه من التجاوزات، ودعهم يعودوا من منقاهم الى ديارهم وعيالهم. انهم، في الحقيقة، مواطنون صالحون، وصدورهم عامرة بالمواطف النبيلة، وبوسعهم أن يؤديوا للمجتمع أجلاً للخدمات.

الدوق : رأيك سديد، ورجاؤك هو عين الصواب. وها انا أصفح عنهم وعنك ايضا. فيمكنك ان تعاملهم بسماحة كما تشاء، وحسب ما يستحقون. هيا نذهب ونضع حدا لجميع خلافاتنا باقامة الحفلات والأفراح واغتنام سائر المناسبات الرسمية لنسيان الماضي.

فالتينو : أثناء سيرنا، سأستمتع الحرية لإضحاكك بما أقصه عليك من رواياتي

إفانس : من الأفضل لك، أن ينوب عنك أصدقائك، ويستردوا لك حقك بحدّ السيف. وعلى أيّ حال، فإن في رأسي فكرة أخرى يمكن أن تتمخض عن نتائج حسنة. هل تعرف آن باج، ابنة السيد جورج باج ؟ أنها صبيّة ظريفة. سلندر : السيدة آن باج ؟ إنها سمراء وصاحبة صوت جميل.

إفانس : إنها هي بالذات التي أعرفها : أجمل نساء الكون — لقد أوصى لها جدها، وهو على فراش الموت، بسبعمئة ليرة ذهبية تقبضها عندما تبلغ السابعة عشرة وأنه لإلهام موفق أن تترك ثروتنا جانباً ونسعى إلى تزويج السيد ابراهام من الآنسة آن باج.

شالو : هل أوصى لها جدها بسبعمئة ليرة ؟

إفانس : أجل، وسيترك لها أبوها مالاً يفوق وصيّة جدّها.

شالو : إني أعرف الفتاة، إنها موهوبة.

إفانس : أن يملك المرء سبعمئة ليرة، معناه أنه موهوب.

شالو : حسناً، لنذهب إلى السيد والنيل باج. هل فولستاف موجود هناك ؟

إفانس : هل أكذب عليك ؟ إني أحقر الكذاب، كما أحقر من كان على خطأ. ان الفارس جون هو هناك. لكنني أتوسل إليك أن تنقاد إلى من يريدون لك الخير — سأقرع الباب وأطلب السيد باج. (يقرع باب المنزل) يا هذا ! حرس الله بيتك !

باج : من هناك ؟

إفانس : باركك الله، هذا هو صديقك القاضي شالو والسيد سلندر.

باج : إني سعيد لرؤيتكم بصحة جيدة. أشكرك يا سيد شالو من أجل الطريدة التي قدمتها لي.

شالو : إني سعيد لرؤيتك، يا سيد باج — كنت أتمنى لو كانت طريدتك أفضل. لقد أجهز عليها بطريقة سيئة... كيف حال السيدة باج ؟... إني أحبك من كل قلبي.

باج : إني أشكرك على ذلك يا سيدي.

شالو : إني أشكرك بدوري، يا سيدي — إني أحترمك.

باج : إني سعيد لرؤيتك، يا عزيزي سلندر.

سلندر : كيف حال كلبك المفترس ؟ لقد سمعت ؟ لقد سمعت بأنه قد بُزَّ في السباق ؟

باج : لم يت أحد في هذا الأمر، يا سيدي.

سلندر : هل قل أنك لن تعترف بذلك.

شالو : كلا، لن يعترف بذلك... إنه كلب ممتاز.

باج : إنه كلب ضخمة الجثة، يا سيدي.

شالو : إنه كلب ممتاز وجميل — هل نستطيع أن نزيد على ذلك شيئاً ؟ السير

جون فولستاف موجود هنا ؟

باج : إنه في المنزل، أتمنى لو أستطيع التوسط بينكما.

إفانس : إنك تتكلم كمسيحي.

شالو : لقد أهانني، يا سيد باج.

باج : إنه يعترف بذلك، بطريقة أو بأخرى.

شالو : إن الاعتراف بالإهانة لا يعني التعويض عنها — أليس كذلك، يا سيد

باج ؟ لقد أهانني وجرح شعوري في العمق، صدقني إني مهان.

باج : إن السير جون قادم إلينا.

(يدخل السير جون، باردولف، نيم ويستولي)

فولستاف : هل تريد أن تشكوني إلى الملك، يا سيد شالو ؟

شالو : أيها الفارس، لقد قتلت رجالي، واجهزت على أيلي، واقتحمت بيتي.

فولستاف : ولكني لم أقبل ابنة حارسك.

شالو : ستجيب عن كل هذا.

فولستاف : سأجيب فوراً : لقد فعلت كل هذا... هذا هو جوابي.

شالو : سيعلم المجلس بالأمر.

فولستاف : إني أنصحك بأن لا تدع المجلس يعلم بالأمر : ستكون موضع

سخرة.

إفانس : إن كلامك بليغ، يا سيرجون !

فولستاف : لا يهمني إن كان كلامي بليغاً أو فارغاً ! سلندر، لقد جلغت

رأسك، فأني حقد تكنه لي ؟

سلندر : إني أضمر لك ولأوغادك، باردولف، نيم ويستولي حقداً عظيماً. لقد قادنوني إلى المقهى، وبعد أن شربنا، سلبوني أموالي.

باردولف : إيه منك يا جينة يا نبوري !

سلندر : هذا لا يهمني !

يستولي : ماذا ؟

سلندر : هذا لا يهمني !

نيم : لترك هذا الحديث.

سلندر : (لشاور) : أين سامبل، خادمي، هل بإمكانك أن تقول لي أين هو؟
إفانس : مهلاً، أرجوكم ! دعونا نتفاهم ! هناك، على ما أعتقد، ثلاثة حكام سيتون في هذه القضية : هناك السيد باج، يعني السيد باج، وهناك أنا، يعني أنا، وهناك أخيراً ضيفي غارتر.

باج : نحن الثلاثة سنستمع إلى القضية ونبت فيها.

إفانس : حسناً — سأعد محضر ضبط وأدونه في مفكرتي، ومن ثم سنستعلم عن القضية بحذر.

يستولي : (يقدم) — إنه يصغي جيداً.

إفانس : ما معنى هذا الكلام ؟

فولستاف : يستولي، هل سلبت السيد سلندر أمواله ؟

سلندر : أجل، أقسم لك بهذه القفافيز، بأن لا أدخل إلى غرفتي الكبيرة مطلقاً، إذا لم يكن هو الذي سلبني أموالي.

فولستاف : هل حقاً ما يقوله يا يستولي ؟

إفانس : إذا كان الأمر يتعلق بالسرقة، فإن ما يقوله زور وبهتان.

يستولي : (لإفانس) — إليك عني أيها الجيلي ! (لفولستاف) أطلب إليك يا سيدي، أن تضربني بهذا السيف المصنوع من الخشب. (لسندر) أنت كاذب !

سلندر : (مشيراً إلى نيم) أقسم لك بهذه القفافيز بأنه هو.

نيم : انتبه يا صاحبي : لا أريد أن تهزل معي، وإلا قبضت عليك.

سلندر : (مشيراً إلى باردولف) أقسم لك بهذه القبة، بأن السارق هو هذا،

صاحب الوجه الأحمر. وإذا كنت لا أذكر ماذا فعلتم بي بعدما أسكرتموني، فلا يعني هذا انني حمار.

فولستاف : (لباردولف) ما رأيك في ما يقول، يا صاحب اللون القرمزي ؟
باردولف : من جهتي، أعتقد أن هذا الثبيل فقد رشد بعد أن سكر.

إفانس : فقد رشد — تبا له من جاهل !

سلندر : أجل، وكنت أنت أيضاً تتكلم باللاتينية. ولكن هذا لا يهم !

بعد هذه الخدعة القذرة، لن أسكر إلا بصحبة أناس شرفاء واثقياء يخافون الله، وليس مع سكيرين.

إفانس : بحق الله الذي سيدينني، ان قصدك شريف.

فولستاف : تلاحظون، أيها السادة، أنهم أنكروا كل ما حصل.

(تدخل السيدة آن باج ومعها خمر، ثم السيدة غي والسيد باج)

باج : أعيدي هذه الخمر يا ابنتي، مستشرب في البيت.

(تعود آن باج إلى البيت)

سلندر : أيتها السماء ! إنها الآتسة آن باج !

باج : كيف حال السيدة غي ؟

فولستاف : أهلاً بك، أيتها السيدة غي — استأذنك، أيتها السيدة العزيزة !
(يعانقها) .

باج : أيتها السيدة، أقمي عيداً لهؤلاء السادة، تعالوا، إن لدينا فطائر لحم ساخنة معدة للغداء — تعالوا، أيها السادة، آمل أن ندفن جميع أحقادنا.

(يدخل الجميع إلى البيت باستثناء شالو، سلندر وإفانس)

سلندر : إني مستعد لاعطاء أربعين شلناً لمن يحضر إليّ كتاب الأغاني.

(يدخل سامبل)

حسنأ، يا سامبل ! أين كنت ؟ هل ينبغي عليّ أن أخدم نفسي، أليس

كذلك ؟ هل أحضرت معك كتاب الأغناز ؟

سامبل : كتاب الأغناز ! ولكنك أعرتة إلى أليس كورتميش، في عيد جميع القديسين الماضي.

شالو : تعال يا ابن عمي، تعال، نحن بانتظارك — هناك اقترح تقدم به السير
هوغ الموجود هنا... هل تسمعني ؟

سلندر : أجل، يا سيدي، وستجدي عاقلاً، سأعمل كل ما يأمرني به العقل،
إذا كان الأمر كذلك.

شالو : ولكن اسمعني.

سلندر : هذا ما أفعله، يا سيدي.

إفانس : استمع جيداً، يا سيد سلندر، سأقول لك ما إذا كان الأمر يناسبك أم
لا.

سلندر : كلا، سأفعل ما سيقوله لي، ابن عمي شالو. أعذرني أرجوك، إنه
قاضي صلح في بلدته. أما أنا فأني رجل بسيط.

إفانس : ولكن ليس هذا ما نعنيه، ان الأمر يتعلق بزواجك.

شالو : أجل، هذا هو المقصود، يا عزيزي.

إفانس : أجل، المقصود هو زواجك من الآنسة آن باج !

سلندر : إذا كان الأمر كذلك، فأني مستعد لأن أتزوجها رغم كل الشروط
المعقولة.

إفانس : ولكن هل تستطيع أن تحب الفتاة ؟ نريد أن نعلم ذلك منك شخصياً.

شالو : يا ابن عمي، ابراهام سلندر، هل تستطيع أن تحبها ؟

سلندر : أرجو ذلك، يا سيدي، سأفعل من أجل أن أحبها كل ما يأمرني به
العقل.

إفانس : استحلفك بالله وبالسيدة العذراء، أن تقول لي بالإيجاب ما إذا كنت
تستطيع أن تحبها.

شالو : يجب أن تفعل ذلك — هل تتزوجها ومعها مهر مرموق ؟

سلندر : إني مستعد لأن أفعل أكثر من ذلك، يا ابن عمي، بناءً على طلبك
المعقول.

شالو : ولكن افهمني، افهمني، يا ابن عمي. ما أريده، هو إسعادك. هل
تستطيع أن تحب الفتاة ؟

سلندر : إني مستعد لأن أتزوجها بناءً على طلبك، يا سيدي. ولكن إذا لم يكن

الحب كبيراً في البداية، فإن السماء متعمل على انقاصه بعد معاشره حميمة عندما نتزوج ويكون قد تسنى لنا أن يعرف أحدنا الآخر أكثر.

وإني أتوقع أن يزداد النفور فيما بيننا عندما نكون أقل كلفة. ولكن إذا قلت لي تزوجها، فإني سأفعل ذلك. إني رجل منحل الأخلاق جداً في هذا الصدد وبغاية الانحلال.

إفانيس : إنه جواب حكيم ما عدا كلمة بغاية الانحلال التي يجب أن يقال : بعزم شديد... ان قصده شريف.

شالو : أجل، أعتقد أن قصده شريف.

سلندر : أجل، لو لم يكن قصدي شريفاً، لقررت أن أشتق هنا.

(تدخل آن باج)

شالو : إن السيدة الجميلة آن قادمة... كم أتمنى لو كنت شاباً لأحبك أيتها السيدة آن !

آن : إن الغداء جاهز، ووالدي يرغب في تناول الطعام معك.

شالو : إني تحت تصرفه، أيتها السيدة الجميلة آن.

إفانيس : تبارك الله ! لا أريد أن تفوتني صلاة السلام الملائكي.

(يخرج شالو وإفانيس)

آن : هل تريد أن تدخل، يا سيدي ؟

سلندر : كلا، أشكرك من كل قلبي، إني على أحسن ما يرام.

آن : إن الغداء بانتظارك، يا سيدي.

سلندر : لست جائعاً، شكراً لك (لسابل) اذهب، أيها الحقيق، وقم بخدمة ابن عمي شالو. (يخرج سابل) إن قاضي الصلح، يجد الراحة إذا اعاره احد ذويه خادمه... إني احتفظ بثلاثة خدام وبوصيف واحد، وذلك إلى أن تموت أُمي. وبانتظار ذلك، فإني أعيش كمن ينحدر من أصل حقير.

آن : لا استطيع أن أدخل بدونك، يا سيدي. لن يجلس أحد الى مائدة الطعام قبل أن تحضر.

سلندر : في الحقيقة لا أريد أن أكل شيئاً. أشكرك كما لو كنت قد أكلت.

آن : ارجوك ان تدخل، يا سيدي.

سلندر : شكراً لك. أفضل أن تنتزه هنا — لقد رُضَّ البارحة عظم ساقى عندما كنت اقاتل مدرباً بالمبارزة. لقد تناولت صحناً من الإجاص المجفف، ومنذ ذلك الحين بت لا استطيع تحمل رائحة الطعام الساخن... لماذا تنبح كلابك هكذا ؟ هل هناك دبية في المدينة ؟

آن : اعتقد ذلك، يا سيدي.

سلندر : أحب كثيراً هذا النوع من اللهو، كما إنني بارع في مقاتلة الدبية مثل اي رجل في انكلترا... الا يعتريك الخوف عندما ترين الذبّ وقد افلتت من قيده ؟

آن : أجل، يا سيدي.

سلندر : إن هذا النوع من اللهو، يعادل بالنسبة لي الأكل والشرب. لقد رأيت « ساكرسون » وقد افلتت من قيده، كما إنني امسكت بسلسلته، مراراً عديدة. ولكني أجزم لك بأن النساء كنّ يولولن لدى رؤيتهن هذا المشهد. إن النساء لا يستطعن تحمل رؤية هذه الحيوانات المفترسة.

باج : (يخرج من المنزل) تعال، ايها العزيز سلندر، تعال نحن بانتظارك.

سلندر : لا أريد أن آكل شيئاً. شكراً لك، يا سيدي.

باج : تعال، تعال يا سيدي.

سلندر : أدخل أمامي، أرجوك.

باج : هيا، يا سيدي.

سلندر : أيتها السيدة آن، ادخلي أولاً.

آن : كلا، يا سيدي، ارجوك أن تدخل أولاً.

سلندر : لن ادخل أولاً، لن اسبب لك مثل هذه الإهانة، يا سيدي.

آن : ارجوك يا سيدي.

سلندر : افضل ان اكون غير مهذب على أن اكون مزعجاً — انك تهين نفسك، في الحقيقة.

(يدخل إلى البيت تتبعه آن وباج)

المشهد الثاني

(أمام منزل باج)

(يظهر إفانس وسامبل على عتبة المنزل)

إفانس : هيا ! إسأل عن المنزل المؤدي إلى منزل الدكتور كايوس. هناك تقيم السيدة كيكلي التي تعتبر ممرضته أو ممرضته، أو طباخته، أو غسالته، أو كواءته.

سامبل : حسناً، يا سيدي.

إفانس : اعطها هذه الرسالة، إنها تعرف جيداً السيدة آن باج. والرسالة هي من أجل أن تتوصل إليها لدعم طلب سيدك لدى السيدة باج. اذهب، ارجوك، أريد أن انهي تناول غدائي، بقي عليّ أن آكل التفاح الكندي والجبن.

(يخرجان)

المشهد الثالث

(فندق غارتر)

(يدخل فولستاف، غارتر، باردولف، نيم، يستولي وروبان)

فولستاف : اهلاً بك، يا ضيفي غارتر !

غارتر : ماذا تقول أيها الوغد ؟ تكلم بحكمة.

فولستاف : في الحقيقة، يجب أن اصرف بعض خدمي.

غارتر : اصرفهم، اطردهم، يا هرقل العظيم ! ليفرّوا مسرعين !

فولستاف : إنني أنفق مئة وعشر ليرات في الأسبوع !

غارتر : انت امبراطور، مثل قيصر ! سأدخل باردولف في خدمتي. سيهتم
بصنع الخمر. هل اتفقنا، أيها العظيم هكتور ؟
فولستاف : اتفقنا، يا ضيفي العزيز.
غارتر : قلت لك اتبعني ! (لباردولف) دعني أرى ما إذا كنت تحسن رغو النبيذ
وتجعله يفور. اتبعني.

(يخرج غارتر)

فولستاف : اتبعه يا باردولف : حسن لك أن تصبح ساقياً. وداعاً، أيها الخادم
القديم والساقى الجديد !
باردولف : لقد كنت دائماً أتوق إلى هذا النوع من العيش، سأصبح ثرياً.
(يخرج باردولف)

ييستولي : يا له من رجل حقير !

نيم : إن روحه لا تعرف البطولة ! لقد انجبه والداه، إذ كانا سكرانين !
فولستاف : إني مسرور لأنني تخلصت منه. لقد أصبحت سرقاته مشهورة.
كان يشبه في نشله مطرباً غير موهوب لا يتقيد بالايقاع. ولكني، أيها السادة،
أصبحت أعيش في بؤس ! يجب أن ألجأ إلى الاحتيال ونصب المكائد.
ييستولي : يجب ان يكون للغريان ما تقتات به.

فولستاف : من منكم يعرف شخصاً في هذه المدينة يدعى غي ؟

ييستولي : لقد عرفته، إنه رجل ميسور.

فولستاف : سأغزل بامرأته، إنها على استعداد لتقبل ذلك. إنها ثرثرة ولها
نظرة جذابة. إني أعلم بأفكارها.

ييستولي : إنه يعلم أفكارها.

فولستاف : يقال إنها تمتلك ثروة زوجها... لقد كتبت إليها رسالة، كما
كتبت أيضاً رسالة أخرى الى السيدة باج التي حدتني منذ لحظة بعينها
الجذابتين اللتين كانتا تشعان تارة على بطني وتارة على قدمي.

ييستولي : هذا يعني أن الشمس كانت تشع على المزبلة !

نيم : شكراً لك على هذا التعبير !

فولستاف : لقد كانت تتحرق شوقاً إليّ ! لذلك كتبت إليها هذه الرسالة —

هي أيضا ثرية — سأكون أمين الصندوق بالنسبة لكل منهما، وسيكونان مصدر ثروتي (ليستولي ونيم).

(إحمل أنت هذه الرسالة إلى السيدة باج، وإحمل أنت أيضاً هذه الرسالة إلى السيدة غي. سنغتني، أيها الفتيان، سنغتني).

ييستولي : هل أصبح مثل السير بانداروس، أنا الذي يحمل السيف على جنبه ؟ ليأخذ بالأخرى الشيطان !
نيم : لن اشترك في نصب مكيدة خسيسة : استعد رسالتك هذه، إنني أريد الحفاظ على سمعتي.

فولستاف : (لروبان) اسمع أيها الحقير، سلم هاتين الرسالتين إلى اصحابهما بسرعة... وأنتما أيها الوغدان، اخرجوا من هنا ! أنتما مصروفان من خدمتي، هيا ابحثا لكما عن مأوى في مكان آخر. إن فولستاف يريد أن يقتصد في معيشته، سأكتفي بخادم واحد.

(يخرج مع روبان)

ييستولي : لتمزق النسور أحشاءك ؟ إن هناك دائماً أناس يحالون على الأغنياء والفقراء. سيأتي يوم أصبح فيه غنياً، وتصبح فيه أنت فقيراً، أيها الحقير.
نيم : أريد الانتقام منه.

ييستولي : تريد الانتقام منه ؟
نيم : أجل.

ييستولي : بالسيف أم بالاحتيال ؟

نيم : بالاثنتين معاً — سأكشف للسيدة باج المكيدة التي يدبرها لها.
ييستولي : وأنا بدوري، سأكشف للسيد غي، كيف أن هذا الحقير يخطط للاستيلاء على ثروته والنيل من شرفه وشرف امرأته.
نيم : سأحث باج على أن يدسّ له السم. إن رجلاً له مثل طبعه الفظ، لهو رجل خطير.

ييستولي : سأقف إلى جانبك — إلى الأمام !

(يخرجان)

المشهد الرابع

(في منزل الدكتور كايوس)

(تدخل السيدة كيكلي، سامبل وروغي)

السيدة كيكلي : روغي، أرجوك أن تمضي، إلى مفرق الطرق، لترى ما إذا كان سيدي، الدكتور كايوس قادماً أم لا — لأنه إذا وصل إلى المنزل ووجد أحداً فيه، فإنه سيستشيط غضباً.

روغي : سأترقبه.

السيدة كيكلي : اذهب. (يخرج روغي) انه فتى شريف، يتفانى في خدمة البيت، وسيئته الوحيدة، استرساله في الصلاة، وهو في هذا عنيذ، ولكن لكل امرئ نقائصه — والآن، لندع هذا جانباً... قلت أن اسمك هو بيتر سامبل ؟

سامبل : أجل، لا يوجد اسم أفضل منه.

السيدة كيكلي : والسيد سلندر، هو سيدك ؟

سامبل : أجل.

السيدة كيكلي : أنه صاحب لحيّة كبيرة ومستديرة، أليس كذلك ؟

سامبل : كلا، انه صاحب وجه صغير وذقن صغيرة أيضاً، تماماً مثل ذقن قايين.

السيدة كيكلي : إنه صاحب طبع لطيف، أليس كذلك ؟

سامبل : أجل. ولكن له يداً رشيقة. لقد قاتل خفير الصيد.

السيدة كيكلي : ماذا تقول ؟ يجب أن تذكره — هل يمشي رافعاً رأسه ومتبخرأ ؟

سامبل : أجل.

السيدة كيكلي : هيا، عسى ألا ترسل السماء إلى آ ن باج نصيباً أسوأ ! قل

للقس إفانس بأني سأفعل كل ما أستطيع من أجل سيده... إن آن هي ابنة
فاضلة، وإنني أتمنى...

(يدخل روغي)

روغي : انجوا بأنفسكم ! لقد قدم سيدي.

السيدة كيكلي : سيعنفنا جميعاً ! أيها الفتى، اختبئ في هذه الحجرة (تخفي،
سامل في غرفة الطبيب) لن يبقى فيها طويلاً. روغي، عُدْ، مرة أخرى، واستعلم عن
سيدك — أخشى ألا يكون على ما يرام، لن يدخل ! (السيدة كيكلي تلندن).

(يدخل الدكتور كايوس)

كايوس : ماذا تغنين ؟ إنني أكره هذه التفاهات. اذهبي إلى حجرتي واحضري
لي صندوقاً أخضر، هذا ما أريده. هل فهمت ماذا أريد ؟ صندوقاً أخضر.
السيدة كيكلي : أجل، سأحضره لك. (على حدة) اني مسرورة لأنه لم يمض
إلحضاره بنفسه : لو وجد الشاب في الحجرة، لأشبعه ضرباً.

كايوس : أف، أف، أف ! ان الطقس حار !.

السيدة كيكلي : (تعود من الحجرة) هل هو هذا، يا سيدي ؟

كايوس : أجل، أين هذا الحقيق روغي ؟

السيدة كيكلي : جون روغي !

روغي : إنني حاضر، يا سيدي.

كايوس : هيا تناول سيفك الطويل واتبعني إلى القصر.

روغي : سمعاً وطاعة، يا سيدي.

كايوس : لا تتأخر، يا إلهي ! ماذا نسيت ؟ هناك أشياء بسيطة في غرفتي، لا
أرغب في أن اتركها ورائي.

السيدة كيكلي : يا إلهي ! سيجد الفتى هناك ويثور غضبه !

كايوس : يا للشيطان ! من يقيم في غرفتي ؟ (يجر سامل إلى خارج الغرفة) يا لك
من خسيس ! يا لك من سارق !.. روغي، أعطني سيفي الطويل !

السيدة كيكلي : اهدأ، يا سيدي.

كايوس : ولماذا اهدأ ؟

السيدة كيكلي : ان هذا الفتى هو رجل شريف.

كاويوس : وماذا يفعل رجل شريف في غرفتي ؟ لو كان شريفاً، لما دخل الى غرفتي.

السيدة كيكلي : ارجوك لا تكن قاسياً، اسمع الحقيقة — لقد جاء، من قبل القس هوغ، لمقابلتي...

كاويوس : (للسيدة كيكلي) اسكتي، انت (لساميل) وانت، اكمل.

ساميل : توسل الى هذه السيدة الشريفة، خادمتك، كي تتوسط لدى السيدة آن باج، من أجل سيدي الذي يريد ان يتزوجها.

السيدة كيكلي : هذه هي الحقيقة، ولكني لست مستعدة لأن أفعل ذلك من أجله.

كاويوس : لقد ارسلك السير هوغ !... روعبي، ناولني ورقة (لساميل) وانت، انتظر لحظة (بكب).

السيدة كيكلي : (لساميل بصوت منخفض) اني مسرورة لأنه يلزم الهدوء. لو غضب، لمسعت صراخه ! ومهما يكن من امره يا صاحبي، فإني سأفعل المستطاع من أجل سيدك. إن الدكتور الفرنسي، هو سيدي... استطيع ان أدعوه سيدي، لأنني اتولى امور بيته، إني اغسل وانظف واكوي واحضر له الطعام.

ساميل : إن كل هذه الأعمال من شأنها أن ترهقك.

السيدة كيكلي : اتعتقد ذلك ؟ أجل، إنها مرهقة جداً، يضاف اليها النهوض باكراً، والنوم في ساعة متأخرة من الليل... مهما يكن من أمر (ما أقوله لك، لا أريد أن يعلم به أحد !). إن سيدي مغرم بالسيدة آن باج. ولكن هذا غير مهم ! إني أعرف مشاعر آن : إنها لا تهواه، كما انها لا تهوى سواه.

كاويوس : (لساميل) سلّم هذه الرسالة الى السير هوغ، انها تتضمن تحدياً له بالبارزة ! إني أريد أن أقطع له عنقه في المنتزه كما إني سألقن هذا القسّ الشرير كيف يتدخل في جميع الأمور !... بإمكانك أن تذهب، إن بقاءك هنا، يلحق بك الضرر. لن يبقى من عظامه شيئاً تلهو به الكلاب !

(يخرج ساميل)

السيدة كيكلي : يا للأسف ! لا يسهه إلا أن يتكلم من أجل أحد أصحابه.

كاويوس : هذا غير مهم ! ألم تقولي لي أن السيدة آن باج ستكون لي ؟ اريد أن أقتل هذا القس الحقير والوقع، وإني اخترت ضيفي غارتر ليقيس حسامينا... وأريد أن أحظى بالسيدة آن باج.

السيدة كيكلي : سيدي، إن الفتاة تحبك، وكل شيء سيسير على ما يرام... لن ندع الناس تثرثر.

كاويوس : روغي، تعالى معي إلى القصر... إذا لم أحظ بآن، فإني سأطردك. اتبع خطواتي، يا روغي.

(يخرج، ويهيم روغي)

السيدة كيكلي : لن تحظى إلا بأذني حمار ! إني أعرف مشاعر آن، من هذه الناحية، إنه لا يوجد امرأة في وندسور، تعرف مشاعرها أكثر مني، كما أنه لا توجد بفضل الله امرأة واحدة تستطيع أن تؤثر عليها.

فانتون : (من الخارج) يا هذا !

السيدة كيكلي : (تذهب إلى النافذة) من هناك ؟ اقرب من البيت، أرجوك.

(يدخل فانتون)

فانتون : كيف حالك، أيتها السيدة الطيبة ؟

السيدة كيكلي : إني على أحسن ما يرام.

فانتون : كيف حال السيدة آن ؟

السيدة كيكلي : إنها، يا سيدي، تبدو دائماً جميلة وشريفة وحلوة.

فانتون : هل تعتقدين إني سأحظى بها ؟ ألن تذهب جهودي سدى ؟

السيدة كيكلي : كل شيء بيد الله، يا سيدي، بيد أني أقسم لك بأنها تحبك.

أليست لك ثؤلولة فوق العين ؟

فانتون : أحل. وبعد ؟

السيدة كيكلي : ان لهذه الثؤلولة قصة طويلة... لقد تحدثت سحابة ساعة عن

هذه الثؤلولة. إني لا أضحك إلا عندما أكون بصحبتها ! إنها فتاة تميل إلى

الكتابة والأحلام... حسناً، اذهب !

فانتون : حسناً، سألتقي بها اليوم. خذي هذا المال لك، تكلمي من أجلي، إذا

شاهدتها قبلي، فأوصها خيراً بي.

السيدة كيكلي : هل تشك في ذلك ؟ أجل، سأعلمها من أجلك، وفي المرة القادمة سأحدث إليك أيضاً عن الثؤلولة وعن سائر الظرفاء !
فانتون : حسناً، وداعاً ! إني مستعجل الآن.
السيدة كيكلي : وداعاً ! (يخرج فانتون) في الحقيقة أنه رجل رفيع التهذيب.
ولكن آن لا تحبه، إني أعرف مشاعر آن تمام المعرفة... يا للشيطان ! ماذا نسيت ؟

(تخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(أمام منزل باج)

(تدخل السيدة باج حاملة رسالة بيدها)

السيدة باج : ماذا ! كنت بمنأى عن رسائل الغرام عندما كنت في ريعان شبابي وفي أوج جمالي، وإذا بي اليوم أصبح هدفاً للغزل والغرام لنرى ! (تقرأ) لا تسأليني لماذا أحبك، لأن الحب إذا كان يقبل بالعقل طبيياً فإنه يرفضه مرشداً. إنك لم تعودى شابة، وأنا كذلك، أنت مرحة، وأنا كذلك، أنت تحبين الخمر، وأنا كذلك، جميع هذه الأمور تخلق بيننا تعاطفاً قوياً. أكتفي بحبي لك، أيتها السيدة باج، (هذا إذا كان يكفيك حب جندي لك !) لن أقول لك : أشفقي عليّ. إن الجندي لا يفعل ذلك، ما أقوله لك هو أن تحبيني.

أقسم لك بذاتي،
أنا فارسك الحقيقي،
في الليل وفي النهار،
وفي كل الأوقات،

بأنني مستعد للقتال من أجلك،
بكل ما أوتيت من قوة.

(جون فولستاف)

أي هيرودوس هذا ؟ يا لفساد الأخلاق ! كيف يجرؤ رجل مثله طاعن في السن على التغزل بي ! أية رعونة في سلوكي، سمحت لهذا السكران بأن يتعرض لي بهذه الطريقة ؟ ولكنه بالكاد يصحبني ثلاث مرات ! ماذا قلت له إذا ؟... لقد كنت رصينة في مرحي، سامحني الله ! آه ! سأقدم بمشروع قانون الى البرلمان لردع الرجال البدينين. كيف سأنتقم منه ؟

(تدخل السيدة غي)

السيدة غي : أيتها السيدة باج ! أقسم لك بأنني كنت ذاهبة إليك.
السيدة باج : وأنا أيضا كنت ذاهبة إليك. أنك لست على ما يرام.
السيدة غي : لا أعتقد ذلك، بإمكانني أن ابرهن لك العكس.
السيدة باج : في الحقيقة، إنك، حسب ظني، لست على ما يرام.
السيدة غي : فليكن ! ولكني مع ذلك أستطيع أن ابرهن لك العكس، أيتها السيدة باج، أرجوك أن تسدي لي نصيحة...
السيدة باج : ما الأمر يا عزيزتي ؟
السيدة غي : آه يا عزيزتي، أي شرف كنت سأنال، لولا ترهات الوسواس !
السيدة باج : لتذهب الترهات إلى الشيطان، يا عزيزتي ! أما أنت فنالي الشرف... لا تهتمي بالترهات. ولكن ما الأمر ؟
السيدة غي : إذا كنت أفضل الذهاب إلى الجحيم، فإني أصبح أهلاً للحصول على شرف الفروسية.
السيدة باج : ما هذا أيتها السيدة غي !... إن الشرف في مثل هذه الحالة يفقد قيمته. صديقي. من الأفضل لك أن تحافظي على ما أنت عليه.
السيدة غي : إننا نضيع نور النهار خذي، إقرئي... سترين كيف كنت سأصبح أهلاً للحصول على شرف الفروسية (تسلّم رسالة إلى السيدة باج) سأظن سوءاً بكل رجل بدين، طالما لعيني القدرة على التمييز بين رجل وآخر. ومع ذلك فإن

هذا الرجل، لم يلجأ إلى الشتيمة، بل كان يمدح تواضع النساء، وينتقد كل اخلال باللياقة بتعايير حكيمة وبناءة، لدرجة إنني كدت أجزم بأن مشاعره كانت مطابقة لأقواله، ولكن مشاعره كانت بعيدة كل البعد عن أقواله. كيف سأنتقم منه ؟ أعتقد أن أفضل وسيلة لبلوغ مأربي، هي أن ادغدغ آماله حتى تغنيه نار شهوته. هل سمعت بمثل هذا في حياتك ؟

السيدة باج : إن الرسالتين متماثلتان تماماً، باستثناء اسمي باج وغي. ولكنني اطمئنك كفاية عن سر شهرتك السيئة، إليك الرسالة التوأم. أؤكد لك أن لديه آلاف الرسائل المماثلة لهاتين الرسالتين، ولكنها لا تحمل بعد أسماء من ستوجه إليهن. اتمني لو كنت عملاقة مستلقية على منحدر جبل بيليون. في مثل هذه الحالة، كنت سأجد عشرين يمامة شهوانية، قبل أن اعثر على رجل واحد عفيف.

السيدة غي : (تفرق بين الرسالتين) انهما متماثلتان في الكتابة وفي التعابير. ماذا يفكر إذا بصددنا ؟

السيدة باج : بحق السماء لا أعلم شيئاً، أيتها السيدة. إن رسالته تحملني على أن أعامل نفسي كما لو كنت أجهل حقيقتها. لأنه بكل تأكيد لو لم يلحظ في سلوكي ميلاً أجهله، لما تعرض لي بهذه الطريقة العنيفة. علينا أن نتقم منه، لنضرب له موعداً.

السيدة غي : سأحتال عليه بشتى الطرق، شرط أن يبقى شرفي مصوناً. لو وقعت هذه الرسالة بين يدي زوجي، لأثارت غيخته إلى الأبد !
السيدة باج : إن زوجك قادم، وزوجي أيضاً. ولكن زوجي أبعد من أن تأكله نار الغيرة.

السيدة غي : إنك من هذه الناحية، أسعد حظاً مني.
السيدة باج : تعالي نتواطأ ضد هذا الفارس البدين.

(تبتعدان)

(يدخل غي وهو يتحدث مع يستولي، ثم باج وهو يتحدث مع نم)

غي : تعال، أرجو أن لا يكون الأمر مهماً.

يستولي : ان الرجاء في بعض الأمور، أشبه ما يكون بكلب فقد ذنبه. ان السيرجون يريد أن يسيء إلى امرأتك.

غي : ان امرأتي لم تعد شابة، يا سيدي.

يستولي : انه يفاضل جميع النسوة، الشابات منهن والطاعنات في السن. إنه يحب امرأتك، انتبه، يا سيد غي.

غي : هو يحب امرأتي ؟

يستولي : إنه يحبها بكل جوارحه. فتدرك الأمر قبل وقوعه، وإلا لحق بك العار ! وداعاً ! هيا بنا، يا نيم.

(يخرج يستولي)

غي : سأصبر حتى تنجلي الأمور.

نيم : (باج) اني أقول لك الحقيقة — ليست من عادتي الكذب لقد أساء إليّ بطريقة ما. كان بإمكانني أن أبعث إليه برسالة كما فعل هو بالنسبة إلى امرأتك، ولكني أملك شيئاً أجد استعماله عند الضرورة — خلاصة القول : أنه يحب امرأتك. ان اسمي هو العريف نيم. وداعاً !

(يخرج)

باج : (على حدة) يا له من فتي متصنع !

غي : (على حدة) سأراقب فولستاف.

باج : (على حدة) إنني لم أسمع بوغد مغرور ومهزار مثله.

غي : (على حدة) إذا اكتشفت شيئاً ما، فالويل له !

باج : (على حدة) لن أصدق هذا الصيني، لو جزم كاهن المدينة بأنه رجل شريف.

غي : (على حدة) انه فتي عاقل.

باج : (لأمراته التي تقدم نحوه) هذا أنت ؟

السيدة باج : إلى أين أنت ذاهب، يا جورج ؟ إسمع إذاً.

السيدة غي : (تقدم نحو زوجها) حسناً يا عزيزي فرانك، لماذا أنت كئيب هكذا ؟ غي : أنا، كئيب ! لا، لست كئيباً. عودي إلى البيت.

السيدة غي : لا شك أن فكرة غريبة تخطر لك الآن... هل تأتينا معي، أيتها السيدة باج ؟

السيدة باج : أجل... جورج، هل تأتينا لتناول الغذاء ؟ (على حدة للسيدة غي) انظري من القادم : ستكون رسولتنا الى هذا الفارس السافل.

(تدخل السيدة كيكلي)

السيدة غي : أقسم لك بأنني كنت أفكر فيها : ستنجز لنا عملنا.

السيدة باج : (للسيدة كيكلي) أنت قادمة لرؤية ابنتي آن، أليس كذلك ؟

السيدة كيكلي : أجل — أرجوك كيف حال السيدة آن ؟

السيدة باج : تعالي معنا، سترينها — سنتحدث معك، سحابة ساعة كاملة.

(تخرج السيدة غي والسيدة باج والسيدة كيكلي)

باج : حسناً، يا سيد غي.

غي : هل سمعت ما قاله لي هذا المحتال ؟

باج : أجل، وهل سمعت ما قاله لي المحتال الآخر ؟

غي : هل تعتقد أنهما صادقان ؟

باج : ليذهبا الى الشيطان ! لا أعتقد أن الفارس يستطيع ذلك. ولكن اللذين

اتهماه بأنه ينوي الإساءة الى زوجتك وزوجتي قد سبق له أن طردهما من

خدمته : انهما الآن يتسولان ولا يقومان بأي عمل !

غي : كانا في خدمته ؟

باج : أجل.

غي : ان هذا الأمر لا يزيد في طمأننتي... انه يقيم في فندق غارتر.

باج : أجل. إذا حاول أن يتعرض لامرأتي، فسأدعه يفعل، ثم إذا حصل على

شيء غير الصبد فإني سأخذ المسؤولية على عاتقي.

غي : إني لا أشك في امرأتي — ولكنني لا أريد أن أعرضها لخطر الوقوع في

شباكه.

باج : انظر ! ان غارتر قادم إلينا وهو يصيح : إنه لا يبدو فرحاً إلا إذا كان

رأسه ممتلئاً خمرأ، أو إذا كانت محفظة نقوده ممتلئة مالا... كيف حال

ضيفنا ؟

(يدخل الضيف، ويتيمه شالو)

غارتر : (باج) كيف حالك، أيها الوجد ؟ أنت رجل رفيع التهذيب !

(لشالو) هيا بنا، أيها القاضي !

شالو : اني اتبعك، أيها الضيف العزيز... أسعدت مساءً، أيها السيد باج ! هل تريد الذهاب معنا ؟

غارتر : قل له أيها القاضي، قل له أيها العفريت !

شالو : سيدي، ستحصل مبارزة بين السير هوغ والدكتور كايوس.

غي : عزيزي غارتر، أريد أن أقول لك كلمة !

غارتر : ماذا تقول، أيها العفريت ؟ (يقف السيد غي وغارتر على انفراد)

شالو : (باج) هل تريد الذهاب معنا، لمشاهدة المباراة ؟ لقد بلغني بأن القس لا يمزح في أمر كهذا.

غارتر : (لني) هل لك من شكوى على ضيفي، الفارس ؟

غي : كلا. ولكنني أعطيك حلواناً، إذا سمحت لي برؤيته وقلت له اني ادعى فوتتين : افعل ذلك فقط بهدف المزاح !

غارتر : اني مستعد للقيام بذلك : ستدخل وتخرج عندما تشاء، وسيكون اسمك فوتتين — انه فارس مرح — هل نذهب، أيها السادة ؟

شالو : اني تحت تصرفك، يا ضيفي العزيز.

باج : لقد بلغني بأن الفرنسي بارع في المسابقة.

شالو : كنت افوقه براعة في لعبة المسابقة، كنت بسيفي الطويل، ارغم اربعة من الفتيان الأشداء امثالك، على الفرار مثل الفئران، ان الشجاعة في هذا الميدان، هي كل شيء.

غارتر : من هنا، يا ابنائي ؟ من هنا — هل نمضي ؟

باج : اني رهن اشارتك... كنت افضل أن أسمعهما يتشاجران، على أن أراهما يتقاتلان.

(يخرج غارتر، شالو وباج)

غي : لقد كان باج متساهلاً وأحمق عندما وثق بضعف امرأته، لا أستطيع أن اطمن نفسي بهذه السهولة. إنها الآن لدى السيدة باج، لا أعلم ماذا يفعلان

هناك. سأتحقق من الأمر وسأتنكر لمعرفة نوايا فولستاف وسواء وجدت امرأتي فاضلة أم لا، فلن يذهب جهدي سدى.

(يخرج)

المشهد الثاني

(فندق غارتر)

(يدخل فولستاف ويستولي)

فولستاف : لن أعطيك بنساً واحداً.

يستولي : في مثل هذه الحالة، سأكسب معيشتي بحذّ السيف.

فولستاف : لن أعطيك بنساً واحداً — لقد عرضت نفسي للهلاك الأبدى، عندما أقسمت لآناس رفيعي التهذيب بأنك ونيم جنديان باسلاّن، وعندما فقدت السيدة بريجيت مروحة اليد التي تملكها، اقسمت بشرفي بأنك لم تسطّ عليها.

يستولي : ألم تقسم الأرباح ؟ ألم يكن نصيبك خمسة عشر بنساً ؟

فولستاف : فكّر جيداً أيها المحتال. هل تعتقد أنني أعرض نفسي للخطر مجاناً ؟ وخلاصة القول، لست مخلوقاً لأكون فريسة لك. أغرب عن وجهي ! لقد رفضت أن تحمل رسالة من أجلي، أيها الحقيّر ! لقد حاولت التستر بالشرف أيها السافل في حين أنني أنا بالذات أكاد لا أستطيع المحافظة على اصول الشرف ! أجل، أنا بالذات اضطر أحياناً لأن الجأ إلى الاحتيال، وأنت، أيها السافل، تريد التستر بالشرف !

يستولي : اني نادم — ماذا تستطيع أن تطلب مني أكثر من ذلك ؟

(يدخل روبان)

روبان : سيدي، هناك امرأة تريد التحدث إليك.

فولستاف : دعها تقترب !

(تدخل السيدة كيكلي)

السيدة كيكلي : لست امرأة بعد، يا سيدي.

فولستاف : إذا أيتها الفتاة.

السيدة كيكلي : إني كذلك، يا سيدي، تماماً كما كانت والدتي بعد ساعة من ولادتي.

فولستاف : إني اصدقك — ماذا تريدن مني ؟

السيدة كيكلي : هل لي أن أقول لك كلمة أو كلمتين ؟

فولستاف : إني أستمع إليك، أيتها الأنسة، تكلمي ما طاب لك الكلام.

السيدة كيكلي : هناك امرأة تدعى السيد غي، يا سيدي...

اقرب قليلاً من هذه الناحية، أرجوك... إني اقيم في منزل السيد كابوس.

فولستاف : حسناً، اكلمي — قلت، السيدة غي ؟

السيدة كيكلي : أجل — أرجوك أن تقترب قليلاً من هذه الناحية.

فولستاف : أؤكد لك بأن أحداً لا يسمع إلينا... هؤلاء هم رجالي.

السيدة كيكلي : حقاً ؟ ليباركهم الله ويجعل منهم خداماً له !

فولستاف : حسناً — السيدة غي ! ماذا تريدن أن تقولي بخصوصها ؟

السيدة كيكلي : إنها مخلوقة رائعة يا سيدي — يا إلهي ! يا إلهي ! يا لك من

رجل فائن يتقن الاغواء، يا سيدي، ولكن سامحنا الله جميعاً.

فولستاف : السيدة غي ؟

السيدة كيكلي : باختصار، لقد اربكتها، كما لم يستطع شخص من قبل أن

يفعل ذلك، عندما كان البلاط لا يزال في وندسور — ومع ذلك، فقد كان يفد

إليها الفرسان واللوردات والنبلاء بعرباتهم الفخمة، ويعثون إليها بالرسائل

والهدايا، كانوا يفدون إليها بتياب من الحرير والذهب، ورائحة المسك تفوح

منهم، ويتوددون إليها بعبارات جميلة تحمل أية امرأة مهما علا شأنها على

الاذعان لهم. ومع ذلك، لم يستطيعوا أن يفوزوا بحبها...

فولستاف : ولكن ماذا تريد مني ؟ اختصري، أيتها الأنسة...

السيدة كيكلي : حسناً لقد تسلمت رسالتك، وهي تشكرك كثيراً عليها، وهي

تريد أن تخطر بك بأن زوجها يكون خارج المنزل بين الساعة العاشرة والحادية

عشرة.

فولستاف : بين العاشرة والحادية عشرة ؟

السيدة كيكلي : أجل في مثل هذا الوقت، يكون زوجها خارج المنزل، لذلك بإمكانك أن تأتي للالتقاء بها — انها تحيا معه حياة تعيسة، ان غيرته قتالة، ان حياتها معه ملأى بالشدائد.

فولستاف : بين العاشرة والحادية عشرة ! بلفيها تحياتي، أيتها الأنسة — لن أتأخر عن الموعد.

السيد كيكلي : أحسنت — ولكن لدي رسالة اخرى، أحملها إليك — أن السيدة باج تبلغك تحياتها. ودعني أسرُ إليك بأنها امرأة تقية مثل جميع نساء وندسور، لا تخلف أبداً عن تأدية الصلاة، صباحاً ومساءً. ولقد كلفتني بأن أقول لك أن زوجها لا يتغيب عن المنزل إلا نادراً، ولكن ترجو غيابه ذات يوم. لم أر مثلاً امرأة تهيم برجل — لا شك أنك رجل فائن.

فولستاف : ولكن قل لي، هل شاركت كل من زوجة غي وزوجة باج بحبها لي ؟

السيدة كيكلي : انهما افطن من أن تفعل ذلك. ان السيدة باج تستحلفك أن ترسل إليها خادمك الصغير : ان زوجها يحبه كثيراً، وفي الحقيقة، ان السيد باج رجل شريف — لا توجد في وندسور، زوجة أسعد من زوجته. انها تفعل كل ما يحلو لها، وهي، في الحقيقة، تستحق ذلك — يجب أن ترسل إليها خادمك الصغير.

فولستاف : حسناً، سأفعل ذلك.

السيدة كيكلي : أجل، افعل ذلك إذا، واحرص على أن يكون وسيطاً بينكما، ولكن لا تدعه يعلم بنواياكما، ودفعاً لكل طارئ ليكن بينكما كلمة سر لا يصل نواياكما المتبادلة لأنه ليس من المستحب أن يعرف الصغار الخبث. **فولستاف :** وداعاً ! بلّغي تحياتي إلى الاثنين معاً. خذي هذا المال مكافأة لك ! اني لا أزال مديناً لك. أيها الخادم، إذهب مع هذه السيدة... ان هذا النبأ قد سلبنى عقلي.

(تخرج السيدة كيكلي وروبان)

ما يجعل امرأته فاتنة بالنسبة لي. سأمتلكها كما يمتلك زوجها المخلوع مفتاح خزنه، وعندئذ سيبدأ الحصاد بالنسبة لي.
غبي : كنت أتمنى لو تعرف السيد غبي، فتتجنبه إذا التقيت به.
فولستاف : ليذهب إلى الشيطان هذا السافل ! سأرعبه بعصاي، ستحلق كالنيزك فوق قرني هذا الزوج المخلوع — اعلم، أيها السيد فوتنين، إنني سأنتصر عليه واثك ستنام مع امرأته... تعال إليّ، باكراً هذا المساء. ان غبي هو مجرد وغد وزوج مخلوع.

(يخرج)

غبي : أي شخص سيء السيرة، هو هذا الرجل !... ان قلبي يكاد ينفجر لنفاذ صبري !... من يستطيع أن يقول لي بعد الآن، ان غيرتي ليست في محلها ! لقد بعثت امرأتي إليه برسالة، وحددت له المكان والزمان. من كان يصدق ذلك !... يا لها من امرأة خائنة ! سيدنس سريري ويسلب مالي، وتشوّه سمعتي ! وعلاوة على كل هذا، سأنتع بأشنع النعوت ! ان الشيطان نفسه، لا يدعى بأسماء كهذه. ان باج هو حمار لأنه يثق بامرأته ولا تملكه الغيرة. إنني افضل ان اعهد بقنينة الخمر التي املك الى رجل إرلندي على ان اترك امرأتي تتصرف بمفردها. انها تتآمر عليّ. لم أر عناداً يشبه عناد النساء. تبارك الله بسبب غيرتي ! الحادية عشرة هي موعد لقاتهما ! سأحاطط للأمر، سأباغت امرأتي وانتقم من فولستاف واسخر من باج — إلى العمل ! تباً لك، أيها الزوج المخلوع !

(يخرج)

المشهد الثالث

(في متزه وندسور)

(يدخل كايوس وروغي)

كايوس : روغي !

روغي : سيدي !

كايوس : كم الساعة الآن ؟

روغي : لقد انقضى الوقت الذي حدده السير هورغ لمحبيته.

كايوس : لقد نجا بنفسه بتخلفه عن المجيء — يبدو أنه صلى في الكتاب المقدس، لأنه لم يأت، لو أنه حضر، لكان الآن في عداد الأموات.

روغي : انه حفر، يا سيدي : كان يعلم بأنك ستقتله، لو أتى.

كايوس : خذ سيفك، يا روغي، سأريك كيف كنت سأقتله.

روغي : توقف، ها إن رهفاً من الناس قادم إلينا.

(يدخل غارتر، شالو، سلندر وباج)

غارتر : ليباركك الله، أيها الدكتور كايوس !

باج : مرحباً، أيها الدكتور !

سلندر : أتمنى لك يوماً سعيداً، يا سيدي.

كايوس : ماذا جئتم تفعلون هنا كلكم ؟

غارتر : جئنا لنرى كيف تقاتل، وكيف تمتشق حسامك. ألم تجهز على خصمك بعد ؟

كايوس : انه أجبن كاهن عرفته : لا يجرؤ على الظهور أمامي !

غارتر : انك مثل هكتور، أيها الفتى !

كايوس : أرجوكم أن تشهدوا على اني انتظرتة سبع ساعات، ولم يحضر البتة.

شالو : لقد برهن بذلك على أنه حكيم، يا سيدي — انه طيب النفوس، كما انك طيب الأجساد.

باج : أيها السيد شالو، لقد كنت مقاتلاً باملاً، رغم أنك رجل سلام.
شالو : رغم اني اصبحت طاعناً في السن، ورغم كوني رجلاً مسالماً، فإنني لا أستطيع رؤية سيف امتشقته صاحبه من غمده، دون ان تحكّني أصابعي، رغم كوننا قضاة ورجال كنيسة فإننا ما زلنا نتمتع ببقية من شبابنا، إننا اناس مثل سائر الناس، يا سيد باج.

باج : هذا صحيح، يا سيد شالو.

شالو : وسنبقى كذلك، يا سيد باج... دكتور كايوس، جئت لآخذك معي.
اني قاضي صلح محلف، لقد أظهرت إنك طيب حكيم، كما اظهر السير هوغ انه كاهن حكيم وصبور. يجب أن تأتي معي، أيها الدكتور.

كايوس : سأنتقم من هذا الكاهن البائس، سأقطع له اذنيه.
غارتر : وهو بدوره سيفني لك، ليعوض الإساءة التي تكون قد الحققتها به. وأنا سأحته على ذلك، وإذا لم يفعل، فليذهب الى الشيطان !

كايوس : أتمنى أن يفعل ذلك، شكراً لك.

غارتر : على كل حال، يا سيدي... (للآخرين، بصوت منخفض) ولكن عليكم أنتم أولاً أن تمضوا إلى فروغموور عبر المدينة.

باج : (بصوت منخفض لغارتر) السير هوغ هو هناك، أليس كذلك ؟

غارتر : (بصوت منخفض لباج) انه هناك — سترى كم هو مضطرب المزاج، اما انا فمأصحب الدكتور عبر الحقول.

شالو : (بصوت منخفض لغارتر) سنفعل ذلك.

باج، شالو ولسندر — وداعاً أيها الدكتور العزيز !

(يخرج باج، شالو ولسندر)

كايوس : سأقتل الكاهن، لأنه يريد أن يكلم السيدة آن باج من اجل صعلوك قبيح.

غارتر : ليبت إذا ! هدىء روعك ! تعال معي عبر الحقول، حتى فروغموور،

سأقودك إلى حيث السيدة آن باج، انها الآن في إحدى المزارع تحتفل بالعيد، سنلتقي بها ونغازلها.

كاپوس : شكراً لك — إنني احبك ! سأجلب لك العديد من الزبائن.

غارتر : مقابل ذلك، سأتظاهر بأنني خصمك لدى السيدة آن باج.

كاپوس : أحسنت !

غارتر : لنذهب اذاً.

كاپوس : اتبعني، يا روغبي.

(يخرج الجميع)

الفصل الثالث

المشهد الاول

(حقل بالقرب من فروغمور)

(يدخل السير هوغ إفانس وساميل)

إفانس : أرجوك، ايها الخادم الأمين ساميل، أين بحثت عن الدكتور كايوس ؟
ساميل : لقد بحثت عنه في كل مكان، باستثناء المدينة.
إفانس : أرجوك أن تبحث عنه هناك.
ساميل : حسناً، يا سيدي.

إفانس : ليعاقبني الله ! لماذا انا غاضب ومضطرب الفكر هكذا ؟ لماذا أنا
كئيب ؟ سأنتقم منه إذا سنحت لي الفرصة. ليعاقبني الله !
(يغني)

بالقرب من الينابيع غير العميقة وذات الشلالات التي توحى بالموسيقى الى
العصافير الشجية، سنصنع اسرتنا الوردية، وألف اكليل من الزهر العطر. بالقرب
من الينابيع...

رحماك يا رب ! اني أشعر برغبة قوية إلى البكاء !
... اوحى بالموسيقى إلى العصافير الشجية...
عندما كنت في بابل...

وألف اكليل من الزهر العطر...

قرب الينابيع...

ساميل : انظر انه قادم إلينا !

إفانس : على الرحب والسعة.

قرب الينابيع غير العميقة ذات الشلالات...

أي نوع من السلاح يحمل ؟

ساميل : لا يحمل أي سلاح، يا سيدي. لقد أتى السيد شالو ومعه رجل آخر

رفيع التهذيب، انهما قادمان من هذه الناحية.

إفانس : اعطني ردائي، أو بالأحرى إحتفظ به.

(يدخل باج وشالو وسلندر)

شالو : هذا أنت يا سيدي القس ! عم صباحاً، أيها السير هوغ ! انه لأمر رائع
أن يكون اللاعب بعيداً عن زهر النرد، والعالم عن كتبه.

سلندر : (متهدأ) آه ! أيتها اللذيذة آن باج !

باج : حفظك الله، أيها السير هوغ !

إفانس : عاقبكم الله جميعاً !

شالو : ماذا ! السيف والكلمة ! انت إذا تحوذ على الاثنين معاً، أيها الراعي

المعلم ؟

باج : كيف ترتدي مثل هذه الثياب في يوم بارد كهذا ؟

إفانس : هناك أسباب لكل هذا.

باج : لقد أتينا إليك، من أجل عمل صالح، أيها الراعي المعلم.

إفانس : عظيم، ما الأمر ؟

باج : هناك شخص رفيع التهذيب، قد أساء إليه أحدهم، انه الآن في حالة من

الغضب أفقده الصبر والاعتزان.

شالو : لقد تجاوزت الرابعة والثمانين من العمر، ولكني لم أر شخصاً يتمتع

بعلمه ووقاره، يفقد احترام نفسه مثله.

إفانس : من هو ؟

باج : اعتقد انك تعرفه : الدكتور كايوس، الطبيب الفرنسي المشهور.
إفانس : لا أريد أن تحدثني عنه.

باج : لماذا ؟

إفانس : لأنه وغد جبان.

باج : (شالو) إنه هو الذي كان سيتقاتل مع الطبيب.

سلندر : (متهدأ) آه : أيتها اللذيذة آن باج !

شالو : (باج) إن السلاح الذي يحمله دليل على أنه سيقاتله... ان الدكتور كايوس قادم نحونا.

(يدخل غارتر، كايوس وروغي)

باج : أيها المرشد الطبيب، أغمد سيفك.

شالو : افعل انت كذلك، ايها الطبيب البارع.

غارتر : لنجرّدهما من السلاح، وندعهما يتحدثان : ليحتفظا بأعضائهما سليمة
ويغرما لغتنا الانكليزية !

كايوس : (لإفانس) أرجوك، دعني أسر لك بكلمة (بصوت منخفض) لماذا لا تريد
الالتقاء بي ؟

إفانس : (لكايوس) عفوا تجلد بالصبر، لا بدّ وأن نلتقي.

كايوس : (بصوت منخفض لإفانس) انك رجل سافل !

إفانس : (بصوت منخفض) ارجوك لا تدع الجمهور يهزأ منا ! إني استنجد
بصدقتك، وسأعوض عليك بطريقة أو بأخرى (بصوت عال) سأحطم لك رأسك
لألقنك درساً في الاخلال بمواعيدك !

كايوس : يا للشيطان ! روغي، غارتر، ألم انتظره في المكان المعين ؟

إفانس : هذا هو المكان المعين، وإني أشهد غارتر على ذلك.

غارتر : مهلاً، فأنت طبيب الجسد، وهو طبيب الروح.

كايوس : هذا كلام رائع !

غارتر : قلت ألزما الهدوء ! هل أنا سياسي ؟ هل أنا داهية ؟ هل أنا
ميكيافلي ؟ هل أتمنى خسارة الدكتور العزيز ؟ كلا : انه يصف لي الدواء.
هل أتمنى فقدان القس العزيز ؟ الكاهن الغالي، السير هوغ ؟ كلا : انه

يرشدني... أعطني يدك أيها العالم الدنيوي... أعطني يدك أيها العالم السماوي. يا أبناء العلم، لقد خدعتكما وضربت لكما موعدين مختلفين. انكما رفيعا الشأن، وان جسديكما لم يمسا بأذى. لنته هذه القضية بتناول الخمر ! اتبعني، يا قاضي الصلح، اتبعني !

شالو : تعالوا، تعالوا، أيها السادة.
سلندر : (متهدأ) آه ! أيتها الحلوة باج !

(يخرج شالو، سلندر، باج وغارتر)

كايرس : لقد فهمت الآن ! لقد جعلنا مجرّد احمقين ! آه ! آه !
إفانس : حسناً ! لقد جعلنا العوبة بين يديه. ارجو ان نصبح اصدقاء وتعاون للانتقام من هذا الضيف الوغد غارتر.
كايرس : أتمنى ذلك من كل قلبي، لقد وعدني بأن يجمعني بالسيدة آن باج، لكنه سخر مني أنا أيضاً !
إفانس : حسناً، اني سأحطم رأسه... اتبعني، ارجوك.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(بالقرب من منزل غي)

(تدخل السيدة باج وروبان)

السيدة باج : هيا، سر أمامي، ايها الفتى — ان من عادتلك ان تتبع الآخرين، أما الآن فتقودهم. ماذا تفضل، ان تقود خطاي، او تسير خلف سيدك ؟
روبان : افضل ان اسير امامك كرجل، على ان اتبعه مثل القزم.
السيدة باج : يا لك من متملق صغير !

(يدخل غي)

غبي : اني سعيد للقائك، اينها السيدة باج ! إلى أين أنت ذاهبة ؟
السيدة باج : اني ذاهبة لرؤية امرأتك، يا سيدي. هل هي في المنزل ؟
غبي : اجل، وهي عاطلة عن العمل، لعدم وجود من يصحبها — اعتقد انه إذا توفي زوجكما فإنكما ستزوجان انما الاثنين.
السيدة باج : تأكد، اننا، في مثل هذه الحالة، سنتخذ لنا، زوجين آخرين.
غبي : (مشيراً الى الخادم) اين التقيت بهذا الفتى الظريف ؟
السيدة باج : لا أعرف اسم الشخص الذي أهدها إلى زوجي... ما اسم فارسك، يا صاحبي ؟
روبان : السير جون فولستاف.
غبي : السير جون فولستاف.
السيدة باج : انه هو، انه هو ! يصعب عليّ أن اتذكر اسمه — ان صداقة قوية تجمع بينه وبين زوجي !... هل حقاً زوجتك موجودة في المنزل ؟
غبي : اجل انها في المنزل.
السيدة باج : (وهي تحيي) استأذنتك، يا سيدي ! اني مريضة بحيث اني لا استطيع مشاهدتها.

(تخرج السيدة باج وروبان)

غبي : لا شك بأن السيد باج، لم يعد يتمتع بكامل قواه العقلية. ان هذا الفتى سريع في نقل رسائل سيده. ان السيد باج يذعن لرغبات زوجته، وها هي الآن ذاهبة لمشاهدة زوجتي برفقة خادم فولستاف ! يا لها من مؤامرة محكمة التدبير ! ان زوجتي وزوجته المتمردتين ستهلكان. حسناً ! سأفاجئهما، سأعذب زوجتي، وسأفضح العفة المزيفة التي تتقنع بها السيدة باج، وسأبلغ عن السيد باج، انه تغافل عمدًا في سوء سلوك امرأته، وسيصفق لي جميع جيراني، لقيامي بمثل هذه الأعمال (تدق الساعة). ان الساعة تدعوني إلى العمل. سأجد فولستاف هناك، لن يسخر أحد من عملي هذا بل سيمدحني الجميع عليه. اني متأكد من ان فولستاف هناك، اني ذاهب إليه.

(يدخل باج، شالو، سلتير، غارتر، السير هوغ، كلاوس ، وروغي)

الجميع : اننا سعداء للقائك، ايها السيد غبي !

غي : اني سعيد بصحبتكم ! ان لديّ طعاماً فاخراً في المنزل، تعالوا معي جميعكم.

شالو : يجب ان اعتذر، ايها السيد غي.

سلندر : وأنا كذلك ! لقد وعدنا السيدة أنّ بآن نتناول طعام الغداء معها، لا نستطيع أن نخلف بوعدنا.

شالو : لقد عرضنا عليها الزواج من ابن أخي سلندر، واليوم ستلقّى جوابها.

سلندر : أرجو أن توافق، يا سيد باج.

باج : إنني موافق، يا سيد سلندر. إنني تحت تصرفك. (لكايوس) ولكن زوجتي، يا دكتور، هي تحت تصرف الجميع.

كايوس : أجل، ان الآنسة تحبني، لقد أكدت لي ذلك، ممرضتي كيكلي. غارتر : ما رأيك في الشاب فانتون ؟ انه في ريعان شبابه، وينظم الشعر — سيحظى بها، ان الزهور تعلق له ذلك، سيحظى بها !

باج : لن يحظى بها بموافقتي. ان هذا الفتى لا يملك شيئاً. لن أسمح بأن يعقد قرانه على ابنتي للاستيلاء على ثروتي. إذا أراد أن يتزوجها، فليأخذها كما هي !

غي : إنني مصرّ على أن يأتي بعضكم لتناول الغداء في منزلي : بالإضافة إلى الطعام الفاخر، سأريكم شخصاً مخيفاً. يجب أن تأتي، يا دكتور، وأنت كذلك، يا سيد باج، وأنت أيضاً، يا سير هوغ !

شالو : حسناً، وداعاً، لن نقول أقل راحة لدى السيد باج.

(يخرج شالو وسلندر)

كايوس : روغي، عد إلى البيت — سأعود عما قريب.

(يخرج روغي)

غارتر : وداعاً، يا أحيائي. سألحق بالفارس فولستاف وأشرب الخمر معه.

غي : (على حدة) كنت أود ان اجعله يشرب بانبوب قش، فيرقص (بصوت عال) ألا تريلون الذهاب معي، أيها السادة ؟

الجميع : نحن تحت تصرفك — هيا بنا لنرى هذا الشخص المخيف.

(يخرجون)

السيدة باج : أنت فتي كئوم — وكتمانك هذا يحملني على أن اخيط لك ثياباً جديدة — سأختي.

السيدة غي : قل لسيدك إني هنا وحدي (يخرج روبان) سيدة باج، تذكرني دورك.

السيدة باج : إذا لم أقم بدوري كما ينبغي، فصغري لي.

(تخرج السيدة باج)

السيدة غي : هيا بنا، سنلقن هذا الوغد درساً، لن ينساه !

(يدخل فولستاف)

فولستاف : هل حظيت بك إذاً، أيتها الجوهرة السماوية ؟

آه ليتني أموت في هذه اللحظة ! لقد عمرت طويلاً، وحققت كل ما اصبر إليه.

السيدة غي : ما اروعك، يا سيرجون !

فولستاف : ايتها السيدة غي، إني لا أحسن المداينة والثرثرة — كنت أتمنى لو أن زوجك توفي. في مثل هذه الحالة سأتزوجك يا أعلى حبيبة !

السيدة غي : لن تسعد بزواجك مني.

فولستاف : لماذا ؟ انك اجمل امرأة عرفتها.

السيدة غي : كلا. أن ما تصفني به، لا ينطبق علي.

فولستاف : انك تخونين نفسك، عندما تتكلمين هكذا. انك تتمتعين بجمال فائق — فرغم ان الحظ لم يحالفك، فإن الطبيعة اغدقت عليك مفاتها. انك لا تستطيعين انكار ذلك.

السيدة غي : صدقتني إني لا اتمتع بشيء مما وصفتني به.

فولستاف : ما الذي يحملني على حبك ؟ ان جمالك الخارق هو السبب، وهذا كافٍ لإقناعك بأنك امرأة فاتنة — إني لا أحسن المداينة إني احبك، وانت تستحقين ذلك.

السيدة غي : لا تخونني، يا سيدي، إني خائفة، انت تحب السيدة باج.

فولستاف : إني اكره منظرها القبيح، فكيف احبها ؟

السيدة غي : يعلم الله كم احبك، وسيأتيك البرهان يوماً ما.

فولستاف : حافظي على حبك لي، سأكون اهلاً له.
السيدة غي : انت اهل له، وإلا لما احببتك.
روبان : (من الداخل) سيدة غي ! سيدة غي ! ان السيدة باج في الباب، وهي مرتبة، انها تريد التحدث إليك فوراً.
فولستاف : لن تراني، سأكن لها وراء الستار.
السيدة غي : افعل ذلك، ارجوك، انها امرأة ثرثارة.

(يخفي فولستاف)

(تدخل السيدة باج وروبان)

حسناً ؟ ما الأمر ؟
السيدة باج : آه ! ايها السيدة غي، ماذا فعلت ؟ لقد ألحقت العار بشرفك، لقد دمرت حياتك، لقد هلكت إلى الأبد.
السيدة غي : ما الأمر، يا سيدة باج ؟
السيدة باج : لماذا حملت زوجك الطيب على الارتياح بك ؟
السيدة غي : اي ارتياح هذا ؟
السيدة باج : تبا لك ! كم خدعتني !
السيدة غي : ولكن ما الأمر ؟
السيدة باج : ان زوجك قادم الآن إلى هنا، ومعه جميع قضاة وندسور، للبحث عن رجل رفيع التهذيب، قال انه موجود الآن في المنزل. بموافقتك، وانه استغل غياب زوجك للمجيء إلى هنا. لقد هلكت إلى الأبد !
السيدة غي : ارجو الا يتم شيء من هذا.
السيدة باج : ارجو ان لا يكون الرجل موجوداً هنا، لأن زوجك قادم، ومعه نصف سكان وندسور، بحثاً عنه. لقد جئت إليك لأعلمك بالأمر مسبقاً.
يسرني ان تكوني بريئة، ولكن اذا كنت تخفين صديقاً ما هنا، فدعيه يهرب. لا تدعي الدهول يستولي عليك، استعدي وعيك، ودافعي عن سمعتك، والا فقولني وداعاً لحياتك الصالحة.
السيدة غي : ما العمل ؟ هناك بالفعل صديق لي يخفي في المنزل، اني اكثر

من العار الذي سيلحق بي، أخشى ان يتعرض هو للخطر. ولكني اريد ان يخرج من بيتي، مهما كلفني الأمر.

السيدة باج : عليك أن تبعديه عن البيت، ان زوجك على وشك الوصول إلى هنا. آه ! كم خدعتني ! خذي هذه السلّة. إذا كانت قامته معقولة، فبإمكانه أن يختبئ في داخلها، ومن ثم تضعين فوقه بياضات قدرة وتأمرين الخدم بأن يحملوه الى حيث يتم الغسيل.

السيدة غي : انه اضخم من أن تحتويه السلّة. ما العمل ؟

(يدخل فولستاف)

فولستاف : دعيني أرى السلّة ! دعيني أراها ! سأختبئ في داخلها. اتبعني نصيحة صديقتك.

السيدة باج : (بصوت منخفض) ماذا ! السيرجون فولستاف ! هل رأيت كيف جنت عليك رسائلك، أيها الفارس ؟

فولستاف : (بصوت منخفض للسيدة باج) إنني أحبك وحدك، خلصيني.

(يختبئ في داخل السلّة، وتوضع فوقه البياضات القدرة)

السيدة باج : ساعد سيدك على الاختباء، أيها الخادم... نادي خادميك، أيتها السيدة غي... يا لك من فارس مرء.

السيدة غي : جون ! روبر !

(يخرج روبان)

(يدخل الخادمان)

خذ هذا الغسيل، بسرعة ! أين العصا الطويلة ؟ لله كم تتسكعان !

(يدخل غي، باج، كايوس والسير هوغ)

غي : تقدموا، أرجوكم. إذا كان شكّي في غير محله، فاسخروا مني، إنني استحق ذلك... حسناً ! إلى أين تحملان هذا ؟

الخادمان : إلى الغسالة، يا سيدي.

السيدة غي : وما حاجتك لمعرفة ذلك ؟ لم يبقَ عليك إلا أن تهتم بالغسيل أيضاً !

غي : بالغسيل، بالغسيل ! آه ! لو كنت استطيع أن أغسل شرفي ! انه ملطخ ببقعة مخيفة، سترون ذلك.

(يخرج الخادمان، وهما يحملان السلة)

أيها السادة، لقد حلمت هذه الليلة حلماً سأرويه لكم. خذوا مفاتيحي، فتشوا جميع غرف بيتي، لا شك انكم ستجدون الثعلب... دعوني أولاً أقفل هذا المخرج، والآن فتشوا عنه !

باج : عزيزي غي، عليك أن تكظم غيظك : انك تسيء كثيراً إلى نفسك. غي : هذا صحيح، يا سيد باج... لنصعد أيها السادة، ستضحكون بعد قليل.

(يخرج)

إفانس : ان مزاجه وغيرته غريبان جداً.

كاپوس : ان مثل هذا لا يحدث في فرنسا.

باج : لتتبعه، أيها السادة ونرى حصيلة تحرياته.

(يخرج إفانس، باج وكاڤوس)

السيدة باج : أليست المغامرة ضعفاً رائعة ؟!

السيدة غي : لا أعلم أيهما أحب إليّ : خيبة أمل زوجي، أم خيبة أمل فولستاف !

السيدة باج : أية مخاوف كان يشعر بها، عندما تساءل زوجك عما في السلة؟ السيدة غي : أخشى أن يكون بحاجة إلى الاستجمام، في مثل هذه الحالة، نكون قد أدبنا له خدمة كبيرة.

السيدة باج : ليت الطاعون يصيب هذا المحتال ! أتمنى أن تحل بامثاله المصيبة التي حلت به.

السيدة غي : أعتقد أن زوجي كان يشك خصيصاً بوجود فولستاف هنا، لأنني لم أراه قط أكثر شراسة في غيرته مثله اليوم.

السيدة باج : سأتعرف إلى حقيقة الأمر، وسنلعب أدواراً أخرى ضد فولستاف.

السيدة غي : حبذا لو نرسل إليه السيدة كيكلي لتعتذر منه عما حصل، وتعطيه أملاً جديداً، من شأنه أن يجلب له تأدياً آخر ؟

السيدة باج : أجل، لنطلب إليه أن يحضر غداً، في الساعة الثامنة، تعويضاً له عما لحق به.

(يدخل غي، باج، كايوس والسير هوغ)

غي : لن أجده — لقد تبجح الوغد بما لم يستطع الحصول عليه.

السيدة باج : هل سمعت ذلك ؟

السيدة غي : أجل، أجل. اسكتي ! أنت تعاملني معاملة حسنة، يا سيد غي، أليس كذلك ؟

غي : أجل. حقاً.

السيدة غي : أتمنى ان تكافئك السماء بما يفوق افكارك !

غي : آمين !

السيدة باج : انك تسيء كثيراً إلى نفسك، يا سيد غي.

غي : أجل، أجل، يجب أن أتحمل عبء ذلك.

إفانيس : إذا كان لا يوجد شخص في البيت، فلتغفر لي السماء خطاياي يوم الدينونة !

كايوس : وأنا كذلك أجزم بأنه لا يوجد أحد في البيت.

باج : تباً لك، يا سيد غي ! ألا تخجل من نفسك ؟ أي شيطان أوحى إليك بهذه الأفكار ؟ لا أريد أن يصيبني مرض مماثل، ولو أعطيت كل ثروات قصر وندسور.

غي : إنها مصيبتني، يا سيد باج، وأنا أتألم منها.

إفانيس : ان سوء ظنك هو الذي يؤلمك : ان زوجتك هي امرأة شريفة، رغم ان النساء الشريفات قلٌ عددهن، في هذه الأيام.

كايوس : حقاً انها امرأة شريفة.

غي : حسناً... لقد وعدتكم بتناول طعام الغداء. هيا بنا نمشي قليلاً في الحديقة. أرجوكم أن تعذروني : سأشرح لكم فيما بعد، لماذا تصرفت على هذا النحو — أعذرني يا سيدة باج، وأنت، يا زوجتي.

باج : أيها السادة، لا ينبغي أن نسخر منه — إنني أدعوكم إلى تناول الفطور في

منزلي، غداً صباحاً، ومن ثم نذهب إلى الصيد، إنني أملك صقراً رائعاً لهذه الغاية، هل اتفقنا ؟

غي : كما تريد.

إفانيس : سأصحبك إلى الصيد، إذا كان لديك صقر آخر.

كايموس : وأنا كذلك.

إفانيس : (لكايموس) أرجوك أن تتذكر غداً، هذا السافل غارتري !

كايموس : أجل — سأفعل ذلك من كل قلبي.

إفانيس : يا له من سافل ! كيف يسمح لنفسه بالتهكم علينا بهذا الأسلوب.

(يخرج الجميع)

المشهد الرابع

(في منزل السيد باج)

(يدخل فانتون والسيدة آن باج)

فانتون : أرى إنني لن أحظى بتعاطف والدك، لذلك لن أعلمه بالموضوع بعد الآن.

آن : يا للأسف ! ما العمل إذا ؟

فانتون : يزعم إنني من أصل عريق، وإنني بذرت ميراثي، واحاول الآن الاستيلاء على ثروته، كما أنه يأخذ عليّ سلوكي السيء ويجزم بأنني أحبك طمعاً بميراثك.

آن : قد يكون محققاً في زعمه !

فانتون : كلا — اعترف لك بأنني غارلتك بادية الأمر طمعاً بثروة أبيك، ولكنني ما لبثت أن وجدتك أغلى من جميع الكنوز التي تحتويها.

آن : عزيزي فانتون، لا تكف عن التماس عطف والدي، وإذا لم يجد ذلك نقماً، فأليك ماذا نفعل.

(يتكلمان على حدة)

(يدخل شالو، سلندر، والسيدة كيكلي)

شالو : اقطعي عليهما الحديث، يا سيدة كيكلي : ان ابن أخي يريد أن يتكلم.
سلندر : سأرمي سهماً أو سهمين على سبيل التجربة.

شالو : لا تخف.

سلندر : لن أخاف.

السيدة كيكلي : (لأن) اسمعي ! ان السيد سلندر يريد أن يكلمك.
آن : إني رهن إشارته (على حدة) انه الشخص الذي وقع عليه اختيار أبي. يا له
من رجل سافل مليء بالعيوب !
السيدة كيكلي : كيف حال السيد فانتون ؟ كلمني، أرجوك !
(تكلم فانتون على حدة)

شالو : (لسلندر) انها قادمة، يا ابن أخي، إلى الأمام ! كان لك أب، أيها
الفتى ؟

سلندر : كان لي أب، أيتها السيدة آن... كان مزاحاً مشهوراً.

شالو : أيتها السيدة آن، ان ابن أخي يحبك.

سلندر : أجل، إني أحبك.

شالو : يريد أن يتزوجك.

سلندر : أجل.

شالو : وهو على استعداد لأن يقدم لك مهراً بمئة وخمسين ليرة.

آن : دعه يغازلني بنفسه، يا سيد شالو.

شالو : إني أشكرك على هذا التشجيع. انها تناديك، يا ابن أخي، سأدعكما
معاً.

آن : حسناً، يا سيد سلندر.

سلندر : حسناً، يا سيدة آن.

آن : ما هي رغباتك ؟

سلندر : رغباتي ؟ يا إلهي !

آن : أجل، ما تريد مني ؟

سلندر : من ناحيتي، لا أريد منك شيئاً. ان أباك وعمي، عرضا عليّ اقتراحاً.

فإذا حالفني الحظ، فنعم الأمر. وإلا فهنيئاً لمن سيكون محظوظاً ! بامكانك أن تسألني أباك عن الأمر، إنه قادم.

(يدخل باج والسيدة باج)

باج : هيا، يا سيد سلندر ! عليك ان تحبيه، يا ابنتي آن. ماذا يفعل السيد فانتون هنا ؟ يزعجني ان تردد على منزلي هكذا، لقد قلت لك إني قررت مصير ابنتي.

فانتون : لا تفقد صبرك، يا سيد باج.

السيدة باج : عزيزي السيد فانتون، عليك أن تتخلى عن ابنتي.

باج : انها ليست لك.

فانتون : اسمعني، يا سيدي.

باج : لن أستمع إليك — تعال، يا سيد شالو. تعال، يا ابني سلندر.

(يخرج باج، شالو وسلندر)

السيدة كيكلي : (لفانتون) كلم السيدة باج.

فانتون : أيتها السيدة باج، إني أكن لابتك محبة خالصة. ورغم كل العوائق، لن أراجع : أعطني فقط موافقتك.

آن : امي الحبيبة، لا تزوجيني من ذاك الأبله.

السيدة باج : ليس هذا قصدي، إني أبحث لك عن زوج أفضل.

السيدة كيكلي : إنه سيدي، الدكتور كايوس.

آن : إني أفضل أن أرجم وأدفن حية على أن أتزوجه !

السيدة باج : لا تضطرب لن أكون صديقتك، كما لن أكون عدوتك، يا سيد فانتون. أعرف كم تحبك ابنتي، ان مشاعرها متحدد موقفني منك، وداعاً يا سيدي...

يجب أن تعود إلى البيت لثلا يفضب أبوها.

فانتون : وداعاً سيدتي الغالية !

(تخرج باج وآن)

السيدة كيكلي : (لفانتون) لقد قلت لها : هل سترمي بابتك بين يدي هذا

الأحمق أو بين يدي الطبيب ؟ زوجيها من السيد فانتون.

فاتنون : شكراً لك — أرجوك أن تسلمي السيدة آن، هذا الخاتم، مساء اليوم.
خذي هذا مكافأة لك.

(يخرج)

السيدة كيكلي : تمنحك السماء حظاً سعيداً !... انه رجل طيب، أتمنى أن
تكون السيدة آن من نصيب سيدي، أو من نصيب سلندر، أو من نصيب
فاتنون، ولكن بنوع خاص، من نصيب فاتنون... ولكن عليّ مهمة أخرى
يجب أن أقوم بها لدى السير فولستاف.

(تخرج)

المشهد الخامس

(في اوتيل غارتر)

(يدخل فولستاف وباردولف)

فولستاف : هيا بنا، يا باردولف.

باردولف : إني حاضر، يا سيدي.

فولستاف : أعطني كأس خمر وبعض اللحم المشوي. (يخرج باردولف) هل
عشت كل هذه الأعوام، لأحمل بسلة كما تحمل نفايات اللحم، وأرمي في
النهر ؟ إذا كنت سأسمح لأحد بأن يحتال عليّ هكذا، فليقطع رأسي وليملح
بالسمن، وليكن طعاماً للكلاب ! لقد رمانى الأوغاد في النهر بدون أي توبيخ
ضمير، كما لو كانوا يودون اغراق صغار الكلية العميان ! وأنتم ترون ان
سمنتي تساعدني على الفرق — كنت سأغرق لو لم تكن مياه النهر منخفضة،
ولو لم يكن النهر مليئاً بالصخور... كم أكره هذا النوع من الموت ! لأن
الماء يجعل الإنسان يتنفخ. في مثل هذه الحالة، كنت سأبدو كالمومياء
الهائلة.

(يدخل باردولف ومعه خمر)

باردلوف : سيدي، ان السيدة كيكلي تريد التحدث إليك.
فولستاف : أعطني قليلاً من الخمر، ان احشائي مجلدة — دعها تدخل.
باردلوف : ادخلي أيتها السيدة.

(تدخل السيدة كيكلي)

السيدة كيكلي : نهارك سعيد، يا سيدي.
فولستاف : (لباردولف) خذ هذه الكؤوس، واحضر لي كأس خمر ساخناً.
باردلوف : وهل أحضر ييضاً، يا سيدي ؟
فولستاف : أجل — (يخرج باردولف) حسناً ؟
السيدة كيكلي : لقد ارسلتني إليك السيدة غي.
فولستاف : السيدة غي.
السيدة كيكلي : يا للأسف ! لا تلمها، انها غاضبة على هؤلاء الخدم الذين
اسأؤوا معاملتك.

فولستاف : لقد وثقت بوعود امرأة مجنونة !
السيدة كيكلي : آه، يا سيدي، ان حزنها لما حصل لك، يفطر القلوب. لقد
ذهب زوجها، هذا الصباح، إلى الصيد، انها ترجوك، مرة أخرى، ان تأتي
إليها، بين الثامنة والتاسعة صباحاً. يجب ان انتقل إليها جوابك، بأسرع ما
يمكن. ستعوض عليك، بكل تأكيد.
فولستاف : حسناً، سأزورها. بلغيتها ذلك، قولي لها ان تأخذ بعين الاعتبار
ضعفنا الإنساني، عندئذٍ فلتحكم عليّ !
السيدة كيكلي : سأقول لها ذلك.

فولستاف : افعلي ذلك — قلت لي، بين التاسعة والعاشر، أليس كذلك ؟
السيدة كيكلي : بين الثامنة والتاسعة، يا سيدي.
فولستاف : حسناً ! إذهبي : لن أتخلف عن الموعد.
السيدة كيكلي : رافقتك السلامة، يا سيدي !

(تخرج)

فولستاف : لماذا لم يحضر السيد فونتين ؟ لقد أرسل من يقول لي أن أبقى
هنا. أحب كثيراً ماله — أوه، إنه قادم.

(يدخل غي)

السيدة باج : ان زوجك يا عزيزتي قد عادت إليه سويداؤه وهو موجود هناك مع زوجي، انه غاضب على كل المتزوجين يلعن كل بنات حواء وحالته تدعو إلى الشفقة. إني مسرورة لأن الفارس البدين ليس هنا.

السيدة غي : ماذا ! هل هو يتكلم عليه ؟

السيدة باج : انه لا ينفك يتكلم عليه، وهو يؤكد لزوجي انه عندما فتش عن السيرجون مؤخراً ولم يجده كان في الحقيقة مختبئاً في سلّة البياضات، وقد أعلن لزوجي انه الآن هنا، لذلك حرمة ومن معه، من الذهاب إلى الصيد، لكي يأتوا معه لتفتيش البيت مجدداً. ولكني مسرورة لأن الفارس ليس هنا. سيرى الآن بنفسه حماقه.

السيدة غي : أين هو الآن، يا سيدة باج ؟

السيدة باج : انه قريب من هنا، في آخر الشارع، وسيصل فوراً إلينا.

السيدة غي : لقد قضي عليّ ! ان الفارس هنا !

السيدة باج : في هذه الحالة، تكونين قد ألحقت بك العار، وحكمت عليه بالموت... أية امرأة أنت، إذا !... دعيه يخرج، دعيه يخرج ! الفضيحة تبقى أفضل من الموت...

(يدخل فولستاف)

فولستاف : لن أذهب بعد الآن مختبئاً داخل سلّة البياضات. أليس من الممكن أن أخرج قبل وصوله ؟

السيدة باج : يا للأسف ! ان ثلاثة من أشقاء السيد غي، يقفون في الباب، حاملين مسدساتهم، لمنع أي كان من الخروج. ماذا ستفعل ؟

فولستاف : سأصعد من خلال المدخنة.

السيدة غي : ولكن من عادتهم أن يفرغوا بنادق الصيد من خلال المدخنة. اختبيء في الفرن.

فولستاف : أين هو ؟

السيدة غي : كلا، سيبحث عنك هناك. لا جدوى من اختبائك داخل البيت، انه يتفقد كل محتوياته يومياً.
فولستاف : حسناً سأخرج.

السيدة باج : إذا خرجت غير متنكر، فستموت يا سير جون. يجب ان تخرج متنكراً.

السيدة غي : كيف ذلك ؟

السيدة باج : يا للأسف ! لا أعلم. كان يمكن أن يخرج متنكراً بزي امرأة ولكن لا يوجد فستان يتسع لجسمه البدين.

فولستاف : ينبغي عليكما إيجاد حل ما.

السيدة غي : ان عمة وصيفتي البدينة قد تركت ثوبها فوق.

السيدة باج : انه يتسع له. احضري له أيضاً قبعته وعصاة الذقن التي تستعملها.

السيدة غي : سنحضر لك أيضاً ما تستر به رأسك، أيها الحبيب فولستاف !
السيدة باج : أسرع، أسرع ! سنبرحك فوراً : بانتظار ذلك، ارتدِ الفستان.

(يخرج فولستاف)

السيدة غي : اريد أن يلتقي به زوجي وهو متنكر بزي عمة وصيفتي انه يكرهها ويلقبها بالساحرة، لقد منعها من دخول بيتنا، مهدداً إياها بالضرب.

السيدة باج : لتجعله السماء تحت رحمة عصا زوجك !

السيدة غي : ولكن هل سيصل زوجي ؟

السيدة باج : أجل، وهو يتحدث أيضاً عن مغامرة سلة البياضات، إنني أجهل كيف علم بها.

السيدة غي : سنعلم ذلك، سآمر الخدم بأن يحملوا السلة، كما في السابق بحيث يلتقون به في الباب كما في المرة السابقة.

السيدة باج : ولكنه سيصل حالاً. هيا بنا للنيلس الفارس.

السيدة غي : سأقول للخدم ماذا ينبغي أن يفعلوا، ثم ألحق بك فوراً.

(تخرج)

السيدة باج : يا له من رجل سافل ! مهما أسأنا معاملته، فلن نفيه حقه !
(سنبرهن بما سنقوم به على انه بإمكان الزوجات، أن يكنَّ سعيدات، وأن يقيمن مع ذلك فاضلات. اننا لا نفعل سوءاً نحن اللواتي، غالباً ما ننضحك

ونمزح. ان المثل يقول : المياه الراكدة، هي أسوأ أنواع المياه).

(تخرج)

(تدخل السيدة غي ومعها خادمان)

السيدة غي : هيا، احملا هذه السلة، مرة أخرى، فوق كتفيكما، ان سيدكما على وشك الوصول إلى الباب، إذا أمركما بانزالها على الأرض، فأطيعاه — اسرعا !

(تخرج)

الخادم الأول : هيا، هيا بنا إرفع هذه السلة.

الخادم الثاني : عسى ألا يكون الفارس مختبئاً في داخلها، هذه المرة !
الخادم الأول : أرجو ألا يكون الأمر كذلك. أفضل ان أحمل كتلة مماثلة من الرصاص.

(يدخل غي، باج، شالو، كابوس وهوغ)

غي : أجل. إذا كنت مصيباً في ظنوني، فكيف ستعوض عليّ، يا سيد باج، عن سخريتك مني ؟... ضع هذه السلة على الأرض، أيها الوغد ! هناك عصابة من الخدم تتأمر عليّ إذا ! ولكن، سيخذي الشيطان !... هيا، يا امرأة ! اخرجي من هناك ! ... انظري البياضات الشريفة التي ترسلينها إلى التنظيف !

باج : لقد تجاوزت غيرتك كل الحدود، يا سيدي. لا ينبغي أن تبقى حراً، يجب أن توضع في يدك القيود.

إفانس : يا له من رجل شاذ الطباع ! انه حائق مثل كلب مسعور.

شالو : في الحقيقة، يا سيد غي، لا يليق بك أن تكون على هذه الحالة.
غي : أنت على حق، يا سيدي.

(تدخل السيدة غي)

اقتربي، أيتها السيدة غي، يا أشرف امرأة وأطهر زوجة عرفها رجل غيور وتافه مثلي !... لقد شككت في أمرك دونما سبب أليس كذلك، يا سيدي ؟
السيدة غي : أجل، ان السماء تشهد على ان ظنونك ليس لها ما يبررها.

غي : حسناً قلت، يا صاحبة الجبين الوقح ! ابقِي هكذا !... أخرج من هنا،
أيها الوغد !

(يتربع البياضات من السلة)

باج : لقد تجاوزت كل حدّ.

السيدة غي : ألا تخجل من نفسك ؟ دع البياضات في السلة.

غي : سأضبطك بالجرم المشهود !

إفانس : هذا غير معقول ! هل سترفع بياضات امرأتك من السلة ؟ دعها !

غي : افرغي السلة، قلت لك.

السيد غي : إنني متأكد من صحة معلوماتي، يا سيد باج، إنني محق في غيرتي،
بالأمس كان في بيتي، وقد هرب مختبئاً داخل هذه السلة. افرغي هذه السلة
من البياضات.

السيدة غي : إذا وجدت رجلاً هنا، فليمت !

باج : لا يوجد أحد هنا.

شالو : ان ما تفعله سيء إليك يا سيد غي.

إفانس : من الأفضل لك أن تصلي، يا سيد غي وتترك تخيلاتك جانباً.

غي : هيا بنا، ان من أبحث عنه، ليس هنا !

باج : إنه موجود في مخيلتك فقط.

غي : ساعدوني، هذه المرة أيضاً، على تفتيش بيتي. إذا لم أعر عليه، فلاكن
ألعوبة بين أيديكم ! ليقُل عني الناس : غيور مثل غي الذي كان يبحث عن
عشيق زوجته داخل قشرة الجوزة.

السيدة غي : هيا، يا سيدة باج، انزلي أنت والمرأة المعجوز. ان زوجي
سيذهب إلى الغرفة.

غي : المرأة المعجوز ! أية امرأة عجوز تقيم هنا ؟

السيدة غي : إنها عمة وصيفتي.

غي : إنها الساحرة ! ألم أمنعها من دخول منزلي ؟ لقد قدمت إلينا من أجل
الحصول على سمسة أليس كذلك ؟ كم نحن بسطاء معشر الرجال ! انزلي
أيتها الساحرة، انزلي، قلت لك.

السيدة غي : أيها السادة، لا تدعوه يضرب هذه المرأة العجوز. مهلاً، يا زوجي الحبيب.

(يدخل فولستاف متكرراً يزيّ امرأة، تقوده السيدة باج)

السيدة باج : تعالي أيتها العجوز، هات يدك .

غي : سأنهال عليها ضرباً ! (يضرب فولستاف) اخرجني من هنا أيتها الساحرة ! هيا اخرجني !

(يخرج فولستاف)

السيدة باج : ألا تخجل من نفسك ؟ اعتقد انك قتلت الإمرأة المسكينة.

السيدة غي : أجل، سيقتلها... ان عملاً كهذا، سيشرfk.

غي : فلتشقق الساحرة !

إفانيس : اعتقد ان هذه المرأة، هي في الواقع، ساحرة — لا أحب ان يكون للمرأة لحية، لقد رأيت لحيتها الكبيرة، وقد اخفتها قليلاً تحت عصابة ذقتها.

غي : هل تريدون الذهاب معي، أيها السادة ! أرجوكم أن تتبعوني لتروا ما إذا كنت محقاً في غيرتي أم لا.

السيدة باج : تعالوا، أيها السادة.

(يخرج غي، باج، شالو، كايوس وإفانيس)

السيدة باج : لقد ضربها برفق.

السيدة غي : كلا وحق السماء لقد ضربها بشكل لا شفقة فيه اطلاقاً.

السيدة باج : لقد قام بعمل يستحق عليه المكافأة.

السيدة غي : ما رأيك ؟ هل نستطيع، بمساعدة رصانتنا وضميرنا الحي، أن نسترسل أكثر في انتقامنا منه ؟

السيدة باج : أرى أن روح الخلاعة، قد غادره إلى غير رجعة.

السيدة غي : هل نقول لزوجينا، كيف عاملناه ؟

السيدة باج : أجل، وذلك بغية أن ننزع من رأس زوجك كل التخيلات والأوهام، وإذا قرّ رأيهما على أن هذا الفارس الفاسق يستحقّ المزيد من العقاب، فإننا ستولي الأمر أيضاً وأيضاً.

السيدة غي : إنني متأكدة من أنهما يريدان الحاق الخزي به أمام الناس،

واعتقد ان المهزلة لن تكتمل، حتى نضعه علناً في حالة لا تمكنه من تبرير نفسه.

السيدة باج : هيا بنا ! لنحاول تحقيق ذلك فوراً ولنضربن الحديد وهو حار .
(تخرجان)

المشهد الثالث

(في منزل غي)

(يدخل باج، غي، السيدة باج، السيدة غي وهوغ)

إفانس : إنكما أذكى امرأتين عرفتهما.

باج : هل أرسل إليكما هاتين الرسالتين، في نفس الوقت ؟

السيدة باج : أجل.

غي : سامحيني يا امرأة. من الآن فصاعداً، افعلني ما يحلو لك. ولن أشك في وفائك بعد الآن.

باج : حسناً، حسناً، كفى. لا تكن متطرفاً في الاعتذار إليها كما كنت متطرفاً في إهانتها. ولكن لنكمل مؤامرتنا. لندع السيدة باج والسيدة غي تضربان موعداً جديداً لهذا الفاسق، بحيث نستطيع أن نفاجئه ونفضحه.

غي : ان أفضل وسيلة، هي تلك التي تحدثنا عنها.

باج : ماذا ! إذا ضربنا له موعداً في الحديقة العامة عند منتصف الليل، فلن يذهب إليه أبداً.

إفانس : تقولان انه رمي في النهر، وانه ضرب بشدة عندما كان متنكراً بزّي امرأة. اعتقد ان كل هذا سبب له من المخاوف ما يجعله يحجم عن المجيء مرة أخرى. ان العقاب الذي ناله جسده، أفقد كل رغبته.

باج : هذا هو ما اعتقده.

السيدة غي : فكروا أنتم في الطريقة التي ستعاملونه بها، عندما سيأتي، ونحن تنكفل باحضاره إلى هناك.

السيدة باج : يحكى ان صياداً يدعى هيرن، كان حارساً لغابة وندسور، في غابر الأيام، وانه كان يعود خلال الشتاء، في هدأة الليل، ليطوف حول سنديانة، وقد برزت من جبينه قرون ضخمة، وعند ذاك كانت الأشجار تزيل والمواشي ترتعد، والدم يسري في عروق الأبقار الحلوب، وكان يهز سلسلة يحملها، بطريقة مرعبة ومشوومة... لقد سمعتم بهذا الروح، وأنتم تعلمون أن العجائز الموسوسين قد آمنوا بهذه الخرافة ونقولها إلى جيلنا، على أنها حقيقة لا يرقى إليها الشك.

باج : ان العديد من الناس يخشون، حتى اليوم، المرور في منتصف الليل، بالقرب من سنديانة الصياد هيرن. ولكن ماذا تبغين من وراء كل هذه الأمور ؟ السيدة غي : نريد أن يأتي فولستاف للقائنا بالقرب من هذه السنديانة، وقد تنكر بزي الصياد هيرن.

باج : فليكن ! لنفترض انه اتى متكرراً بزي الصياد هيرن. ماذا ستفعل بعد ذلك ؟

السيدة باج : سنلبس ابنتي وابني وثلاثة أو أربعة أولاد آخرين، ثياباً تجعلهم يظهرون بمظهر العفاريت والجنيات، وعلى رؤوسهم مشاعل، وفي أيديهم نواقيس. وعندما أجتمع بفولستاف مع السيدة غي، ينطلقون فجأة من الخندق وهم ينشدون أناشيد غير منسقة. ولدى مشاهدتهم، نهرب نحن الاثنين، وقد استولى علينا الخوف. عند ذاك، يحيط الجميع به، ويسألونه لماذا يجرؤ في هذه الساعة المتأخرة من الليل على سلوك طرقاتهم المقدسة بزيه الديوي هذا. السيدة غي : وإلى أن يقول الحقيقة، يستمر العفاريت والجنيات في قرصه وحرقه بمشاعلهم.

السيدة باج : وعندما يعترف بالحقيقة نتقدم نحوه ونقتلع من الشبح قرونيه ثم نأخذه معنا إلى وندسور وسط استهزاء الجميع. السيدة غي : يجب أن يتدرب الأولاد جيداً ليحسنوا أداء دورهم.

إفانيس : سأتولى أنا تدريب الأولاد، وأقوم بدور الرجل القبيح فاحرق الفارس
بمشعلتي.

غي : سيكون عملاً رائعاً — إنني ذاهب لشراء الأفتنة.

السيدة باج : ستكون ابنتي أميرة الجنيات.

باج : إنني ذاهب لشراء الحرير (على حدة) في هذه اللحظة الذهبية، سيخطف
سلندر ابنتي ويتزوجها (بصوت عالٍ) هيا، أرسلوا من يطلب إلي فولستاف
الحضور إلى هذا المكان المحدد.

غي : وأنا سأذهب إليه متحلاً اسم فونتين : سيعلن لي عن مشاريعه. سيأتي،
بكل تأكيد.

السيدة باج : أجل... هيا بنا، لنحضر الزينة المطلوبة.

إفانيس : إلى العمل : إنها ملهاة رائعة، وانه مكر شريف.

(يخرج باج، غي وإفانيس)

السيدة باج : هيا، أيتها السيدة غي، أرسلني السيدة كيكلي لتقف على رأي
السير جون.

(تخرج السيدة غي)

أما أنا، فإنني ذاهبة إلى الطبيب لا أحد سيتزوج ابنتي إلا هو. أما سلندر
الذي يفضل زوجي، فإنه رغم الأراضي التي يملكها، أحقق، ليس إلا. ان
الطبيب صاحب ثروة كبيرة، وله أصحاب أقوىاء في البلاط.

(تخرج)

المشهد الرابع

(في باحة فندق غارتر)

(يدخل غارتر وساميل)

غارتر : ماذا تريد، أيها الفظ ؟

ساميل : جئت من قبل السيد سلندر لأكلم السير فولستاف.

غارتر : هذه هي غرفته، اقرع الباب وناده. اقرع الباب، قلت لك.

ساميل : ان امرأة عجوزاً صعدت إلى غرفته، سأنتظرها ريثما تخرج لأنني اريد أن اتحدث إليها.

غارتر : ماذا تقول ؟ ان هذه المرأة قد تسلبه ماله. سأناديه على الفور... أيها

الفارس العظيم، أجبني ! هل أنت هناك ؟

فولستاف : (يظهر من خلال النافذة) ماذا تريد، يا سيدي ؟

غارتر : ان هذا الخادم ينتظر السيدة العجوز التي دخلت عليك، دعها تنزل

إليه. ان غرف فندقي شريفة. أف من الإلفة !

(يدخل فولستاف)

فولستاف : في الحقيقة، كانت في غرفتي سيدة عجوز، ولكنها ذهبت.

ساميل : أرجوك، يا سيدي، هل هي عرّافة بريتنفورد ؟

فولستاف : أجل، ماذا تريد منها ؟

ساميل : ان سيدي سلندر، إذا رآها تمر في الشارع، أرسلني وراءها لأعلم

منها ما إذا كان نيم الذي سرق له قلادته، ما زال يحتفظ بها أم لا.

فولستاف : لقد كلمت السيدة العجوز بهذا الخصوص.

ساميل : وماذا قالت لك أرجوك ؟

فولستاف : قالت ان نفس الرجل الذي سرق له قلادته، احتال عليها.

سامبل : كنت أود أن أتحدث إلى السيدة العجوز شخصياً : كنت أريد أن أنقل إليها أموراً أخرى من قبل سيدي.

فولستاف : وما هي هذه الأمور ؟

غارتر : أجل، ما هي هذه الأمور ؟

سامبل : انها تتعلق بالسيدة آن باج : يريد سيدي أن يعرف ما إذا كانت تحبه أم لا.

فولستاف : أجل، سيحظى بها. هذا ما قالته لي السيدة العجوز.

سامبل : اشكرك يا سيدي. سيسعد بهذا النبأ.

(يخرج سامبل)

غارتر : أنت علامة، يا سيرجون ! هل كانت العرافة عندك ؟

فولستاف : أجل، وقد كشفت لي أموراً لم يسبق لي أن أدركتها. لم أدفع لها شيئاً، ولكنها هي التي دفعت لي لقاء استماعي إليها !

(يدخل باردولف)

غارتر : أين أحصستي ؟

باردولف : لقد سرقها الألمان، وطرحوني على الأرض، عندما حاولت الوقوف في وجههم.

غارتر : لقد ذهبوا لملاقة الدوق، لا تقل انهم هربوا، ان الالمان قوم شرفاء.

(يدخل إفانس)

إفانس : أين غارتر ؟

غارتر : ما الأمر يا سيدي ؟

إفانس : كن حذراً : ان صديقاً لي وصل الى المدينة وقال لي أن ثلاثة من الالمان قد دخلوا الفنادق وسرقوا ما فيها من الأحصنة. أنت رجل تقي، فلا ينبغي أن يخدعك مثل هؤلاء. أقول هذا حفاظاً على مصلحتك. وداعاً !

(يخرج)

(يدخل كايوس)

كايوس : أين أنت، يا سيد غارتر ؟

غارتر : إني هنا، يا دكتور، في حيرة عظيمة.

كاويوس : لا أعرف ماذا يجري. كل ما أعلمه، انك تستعد لاستقبال الدوق
الالمانى. ولكن لا أحد في البلاط. ينتظر وصول مثل هذا الدوق. أقول لك
هذا حفاظاً على مصلحتك. وداعاً !

(يخرج)

غارتر : النجدة ! النجدة، أيها الفارس ! لقد فقدت كل شيء ! أسرع أيها
الوغد لقد ضاع مني كل شيء !

(يخرج غارتر وباردولف)

فولستاف : أود لو يخدع كل الناس، لأنني أنا خدعت وضربت. إذا علموا في
البلاط، ما حصل لي، فإنهم سيقضون عليّ. لم أوفق منذ ان بدأت أغش
الآخرين. آه ! لو كانت لي القدرة على تلاوة صلواتي، لندمت على كل ما
فعلت.

(تدخل السيدة كيكلي)

من أرسلك ؟

السيدة كيكلي : لقد أرسلتني إليك السيدة غي والسيدة باج.

فولستاف : ليأخذهما الشيطان ! لقد عانيت الكثير من جراء حبي لهما ! أجل
إن ما تحملته يفوق قدرة ضعفنا البشري على الصمود !

السيدة كيكلي : ألم تعانينا هما أيضاً من جراء جبهما لك ؟ لقد أوسع السيد
غي زوجته ضرباً، فلم تعد تقوى على الوقوف.

فولستاف : لقد ضربت أنا أيضاً بدوري، ضرباً مبرحاً.

السيدة كيكلي : سيدي، اسمح لي أن أكلّمك في غرفتك، ومستمع كيف
ستسوى الأمور. هذه رسالة أحملها إليك.

فولستاف : تعالي إلى غرفتي.

المشهد الخامس

(غرفة أخرى من غرف الفندق)

(يدخل فانتون وغارتر)

غارتر : لا تكلمني يا سيد فانتون، إني حزين وزاهد في كل شيء.
فانتون : ومع ذلك، يجب أن تستمع إليّ. ساعدني في مشروعي وسأعطيك
مائة ليرة ذهباً وأعوض عليك كل ما فقدته.
غارتر : حسناً يا سيد فانتون، تكلم.
فانتون : لقد كلمتك، مراراً عن الحب الذي أكنه للسيدة آن باج. انها بدورها
تبادلني نفس الحب. لقد بعثت إليّ برسالة، لا شك انها تثير إعجابك (يظهر له
الرسالة). هناك مهزلة ستعلم تفاصيلها من خلال هذه الرسالة. سيكون للسير
فولستاف الدور الأكبر فيها. ستمثل حببتي، في منتصف هذه الليلة، دور ملكة
الجنيات، وذلك بالقرب من سنديانة الصياد هيرن. وقد أوعز إليها أبوها بأن
تهرب مع السيد سليندر إلى ايتون حيث سيتزوجان فوراً بينما يكون الجميع
مسترسلين في مزاحهم. وقد وافقت هي على ذلك. من جهة أخرى، قررت
أما التي تعارض مثل هذا الزواج، أن يخطفها الدكتور كايوس الذي تصر على
أن يتزوجها في حين يكون الجميع منهمكين في هزلهم. وقد تظاهرت آن
بالموافقة على الزواج من الدكتور كايوس. والآن، ان أباه يريد أن ترتدي ثياباً
بيضاء، لأنه اتفق مع السيد سلندر على ذلك، ليستطيع هذا الأخير معرفتها
والهروب معها في اللحظة المناسبة. أما أمها فإنها تريد أن ترتدي ابتها ثياباً
خضراء، لأنها بدورها اتفقت مع الدكتور كايوس على ذلك، ليتمكن من
التعرف إليها ويهرب معها في الوقت الملائم.
غارتر : ومن تريد هي أن تخدع ؟ أباه أم امها ؟

فانتون : الاثنين معاً، لنستطيع أن نذهب معي. اريد منك فقط ان تحضر
الكاهن، في منتصف الليل إلى الكنيسة، فيبارك زواجنا.
غارتر : احضر الفتاة، وسأتولى أنا احضار الكاهن.
فانتون : لن أنسى لك معروفك، وسأكافئك منذ الآن.

(بهرجان)

الفصل الخامس

المشهد الاول

(في مسكن فولستاف)

(يدخل فولستاف والسيدة كيكلي)

فولستاف : أرجوك، كفي عن الثرثرة ! إذهبي، لن أتخلف عن الموعد المحدد يقولون ان الأرقام المنفردة لها قوة إلهية، إن بالنسبة للولادة، أو بالنسبة للحظ، وكذلك بالنسبة للممات... هيا، إذهبي !
السيدة كيكلي : سأحضر لك قلادة وزوجاً من القرون.
فولستاف : إذهبي، قلت لك، ان الوقت يمر.

(تخرج كيكلي)

(يدخل غي)

كيف حالك يا سيد فونتين ؟ سأنهي الأمر هذه الليلة. كن في الحديقة، بالقرب من سنديانة هيرن، عند منتصف الليل، وسترى العجائب.
غي : ألم تذهب البارحة لرؤيتها، كما وعدتني ؟
فولستاف : لقد ذهبت إليها، كما اتفقنا، ولكن زوجها الوغد الذي يسكنه شيطان الغيرة، فاجأني هناك. سأروي لك ما حصل. لقد ضربني ضرباً موجعاً، عندما كنت أتذكر بزي امرأة عجوز. إنني مستعجل، تعالَ معي وسأقول لك

كل شيء. هذه الليلة سأنتقم من الوغد غي، وسأستولي على امرأته... تعال، ان
أشياء غريبة يجري اعدادها من أجل ذلك، يا سيد فونتين !
تعال !

(يخرجان)

المشهد الثاني

(بالقرب من حديقة وندسور)

(يدخل باج، شالو وسلندر)

باج : تعال، تعال، سنختبئ في خندق القصر، إلى أن نرى نور الجنيات.
تذكر ابنتي جيداً، يا سيد سلندر.

سلندر : أجل. لقد تحدثت إليها واتفقنا على كلمة السر.
شالو : حسناً. لقد دقت الساعة العاشرة.

باج : ان الليل مظلم، لذلك ستسلط أنوار المشاعل التي يحملونها. لتحمي
السماء مرحناً هذا ! ان أحداً منا لاينوي القيام بأي عمل مضر، باستثناء
الشیطان، الذي ستعرف إليه من خلال قرونه. هيا بنا ! اتبعوني.

(يخرج الجميع)

المشهد الثالث

(في حديقة وندسور)

(تدخل السيدة باج، السيدة غي والدكتور كايوس)

السيدة باج : ان ابنتي ترتدي ثياباً خضراء، يا دكتور. عندما تسنح لك الفرصة، اخطفها وتزوجها بسرعة — سر أماننا إلى الحديقة، ونحن الاثنين، سنمضي معاً إلى هناك.

كايوس : إنني أعرف ما ينبغي عليّ أن أقوم به. وداعاً !
السيدة باج : وداعاً، يا دكتور ! (يخرج كايوس) ان زوجي سيميد لأنه استطاع أن يسخر من فولستاف، ولكنه سيفضب لأن الدكتور كايوس تزوج ابنته. ولكن التوبيخ البسيط يبقى أفضل من الغصة.

السيدة غي : أين السيدة آن باج ؟ وأين الشيطان هوغ ؟
السيدة باج : انهما مختبئان في الخندق، بالقرب من سندية هيرن، ومعهما مشاعلهما، وعندما سيجتمع بنا فولستاف، سيظهران فجأة.
السيدة غي : ان هذا سيرعبه.

السيدة باج : سيرتعب وسيتلقى ضرباً مؤلماً.
السيدة غي : مستخونه، هذه المرة أيضاً.
السيدة باج : ان خيانة الفاسقين لا تعدّ خيانة.
السيدة غي : ان الساعة تقترب. إلى السندية ! إلى السندية !

(تخرجان)

المشهد الرابع

(في حديقة وندسور. أمام سندیانة هیرن)

(یدخل السیر هوغ، إفانس والجنيات)

إفانس : هيا — هيا ! تذكرن جيداً أدواركن — تشجعن !
لنختبئ في الخندق. وعندما أعطیکن الإشارة، افعلن كما قلت لكن.
(یخبئ الجميع)

المشهد الخامس

(في مكان آخر من الحديقة)

(یدخل فولستاف متكرراً، تملو رأسه قرون أیل)

فولستاف : لقد أعلن جرس وندسور الثانية عشرة ليلاً ان اللحظة الحاسمة تقترب. والآن، لتكن الآلهة في عوني !... من القادم نحوي ؟ هل هي حبيبتی ؟

(تدخل السيدة غي والسيدة باج)

السيدة غي : هل أنت هنا، يا حبيبي جون ؟

فولستاف : أجل، يا حبيبتی (یمانقها).

السيدة غي : لقد جاءت معی السيدة باج، يا حبيبي.

فولستاف : تقاسماني إذاً. فقط أبقيا على قروني، لأنني سأهديها إلى السيد غي والسيد باج — أأست صياداً ماهراً ؟ إنني أتکلم مثل الصياد هیرن، أليس كذلك ؟ أهلاً بکما.

(تملو الضجة، خلف المسرح)

السيدة باج : ما هذه الضجة ؟
السيدة غي : يا إلهي، إغفر لنا ما خططنا به إليك !
فولستاف : ما عسى أن يكون هذا ؟
السيدة باج والسيدة غي : لنهرب، لنهرب.

(تهربان)

فولستاف : اعتقد ان الشيطان لا يريد هلاكي، خشية أن لا أزيد نار جهنم
تأججاً، وإلا لما أتني هكذا ؟

(يدخل السير هوغ ويستولي متكرين، تتبعهما آن باج وأخوها وأولاد آخرين متكرين
أيضاً، وعلى رؤوسهم مشاعل مضاعة).

ملكة الجنيات : أيتها الجنيات قمن بواجبكُن (ليستولي) أيها المنادي، استدعي
الجنيات.

يستولي : أيتها الجنيات، ان ملكتنا تكره الأناس الفاسقين، تعالوا إليها.
فولستاف : انهن في الحقيقة جنيات ! ان من يكلمهن، يموت. سأغمض عيني
وارتمي على الأرض. لا ينبغي لآدمي أن يرى أعمالهن.

(يرتمي على الأرض)

إفانس : هيا، أيتها الجنيات، داعبن الفتيات اللواتي يتلن صلواتهن قبل النوم.
أما الأناس الذين ينامون دون أن يفكروا في خطاياهم فأوسعوهم ضرباً مؤلماً.
ملكة الجنيات : هيا، فتشوا قصر وندسور، وازرعوا الحظ السعيد في جميع
غرفة المقدسة، ليبقى قائماً إلى يوم الدينونة ! واثن يا جنيات الحدائق،
أنشدن الألكان، في الليل، فينبت-العشب وتزهر الأزهار. ليكن شعاركن :
الخزي والعار لكل من يفكر بالسوء في قرارة نفسه — هيا تفرقن، ولكن لا
تسعين أولاً أن ترقصن حول سنديةانة هيرن الصياد.
إفانس : هيا، تحلقن حول السنديةانة بمشاعلكن. ولكن مهلاً ! إنني أشعر
بوجود آدمي هناك.

فولستاف : لتحمني السماء من هذا الشيطان !

يستولي : أيها السافل، لقد أصابتك العين الشريرة منذ ولادتك !
ملكة الجنيات : دعوا النار تلامس أصبعه ! فإذا كان عفيفاً، ارتدت النار إلى

الوراء دون أن تؤذيه، وإذا ارتعش، فمعنى ذلك انه رجل فاسق.

يستولي : هيا بنا !

إفانس : لنرى ماذا سيحصل له !

(يتقدم الجميع ويحرقونه بمشاعلهم)

فولستاف : أوه ! أوه ! أوه !

ملكة الجنيات : إنه رجل فاسق ! تحلقن حوله، وأنشدن له أبياتاً تلحق به

الخزي والعار، وفي الوقت نفسه لا تكففن عن وخزه.

أغنية

تباً للأفكار الشريرة !

تباً للرذيلة والفجور !

ان الفجور نار دموية،

تشعلها الرغبات الفاحشة.

ان موقدها في القلب،

وان شعلتها تصل إلى العقل.

أيها الجنيات لا تتوانين عن وخزه واحرقه،

بسبب فجوره، لحين طلوع الفجر !

(أثناء الشيد، يصل الدكتور كابوس ويخطف جنية ترتدي ثياباً خضراء، وكذلك يصل

سليندر ويخطف جنية ترتدي ثياباً بيضاء، ثم يصل فانتون ويخطف آن باج. تتعالى ضجة

بعض الصيادين. تهرب الجنيات وينزع فولستاف قرون الأهل عن رأسه، ويقف)

(يدخل باج، غي، السيدة باج والسيدة غي، ويمسكون بفولستاف)

باج : لا تحاول الهرب، اعتقد اننا تمكنا من ترويضك، هذه المرة. لا نستطيع

بلوغ هدفك إلا إذا تنكرت بزي هيرن الصياد، أليس كذلك ؟

السيدة باج : دعه، أرجوك، كفانا مزاحاً... والآن، كيف وجدت نساء

وندسور، يا سيرجون ؟ (مشيرة إلى قرون فولستاف) هل ترى هذه القرون، يا

زوجي ؟ انها تليق بالغابة وليس بالمدينة.

غي : (لفولستاف) حسناً، من تراه الآن، الزوج المخدوع، يا سيدي ؟

السيدة غي : لم يحالفنا الحظ، يا سيرجون. لن أتخذك عشيماً لي بعد الآن.
فقط سأعبرك الأيل المحبب إلى قلبي.

فولستاف : بدأت أدرك إنني كنت حماراً.

غي : أجل وثوراً أيضاً : الأدلة على ذلك كثيرة.

فولستاف : ألم يكن إذاً جنياً ؟ لقد ارتبّت في أمرهن، برهة، ولكنني ما لبثت ان تأكدت مجدداً من حقيقتهن. أنظر الآن، إلى أية مهزلة يعرض العقل نفسه، عندما يساء استعماله !

إفانس : سيرجون، إتق الله، واكفر بشهواتك، إذ ذاك لن تتعرض لوخز الجنيات.

غي : حسنا قلت، أيها العفريت هوغ !

إفانس : (لني) وأنت أيضاً أكفر بغيرتك، أرجوك.

غي : لن أشك بامرأتي بعد الآن، إلا عندما تصبح أنت قادراً على مغازلتها بالانكليزية.

فولستاف : هل فقدت رشدي كلياً، حتى وقعت في مثل هذا الشرك ؟ ان ما حصل لي يكفي لتأديب جميع الفاسقين في المملكة.

السيدة باج : هل تعتقد، يا سيرجون، اننا لو طردنا الفضيلة من قلوبنا وأسلمنا أنفسنا للشيطان، انك ستحظى باعجابنا واننا سنستسلم إليك ؟

غي : يا لك من سافل !

السيدة باج : يا لك من رجل متورم !

باج : يا لك من رجل قاتر وكريه !

غي : ونمّام مثل الشيطان !

باج : ومسكين مثل أيوب !

غي : وشرير مثل امرأته !

إفانس : ويتعاطى الفجور ويعاقر الخمر !

فولستاف : عاملوني، كما تريدون، لقد تغلبتم عليّ، لقد هزمت، ولا أستطيع أن أنبس بينت شفة.

غي : حسناً، يا سيدي، ستعودك إلى وندسور، حيث ستعيد إلى السيد فونتين

المال الذي سلبته إياه. وهذا سيكون عقابك الأكبر.
باج : هذا أمر غير مهم. إفرح، أيها الفارس. إنك مدعو إلى بيتي هذا المساء.
ستسخر من امرأتي، كما تسخر هي منك الآن : سنقول لها ان السيد سلندر
تزوج ابنتها.
السيدة باج : (على حدة) إذا كانت آن باج هي ابنتي فعلاً، فإنها ستكون الآن
قد تزوجت الدكتور كايوس.

(يدخل سلندر)

سلندر : سيد باج ! سيد باج !
باج : ماذا تريد ؟ هل تم كل شيء ؟
سلندر : كلا !
باج : ماذا حصل، يا سيد سلندر ؟
سلندر : عندما وصلت إلى ايتون لأتزوج السيدة آن باج، وجدت نفسي أمام
فتى بدين. ولو لم تكن في الكنيسة، لحصل له ما لم يكن في الحسبان.
باج : لقد خدعت.
سلندر : أجل، لقد كان يرتدي ثياب امرأة. ولو تزوجته، لما أسأت إليه.
باج : لقد ارتكبت حماقة، ألم أقل لك انك ستتعرف إلى ابنتي من خلال
ثيابها.

سلندر : لقد ذهبت الى الفتاة التي كانت ترتدي ثياباً بيضاء وقلت لها كلمة
السر. فعرفتني. ومع ذلك فإنها لم تكن السيدة آن، بل حوذيةً كان يتزوي بزى
امرأة !

السيدة باج : (باج) لا تغضب يا عزيزي، لقد علمت مسبقاً بخطبتك،
وألبست ابنتي ثياباً خضراء. وهي الآن مع الدكتور كايوس الذي سيتزوجها.
(يدخل كايوس)

كايوس : أين السيدة باج ! لقد خدعت — لقد تزوجت فتى، بدلاً من الأنسة
آن باج ! لقد خدعت !

السيدة باج : ولكن هل خطفت الفتاة التي كانت ترتدي ثياباً خضراء ؟
كايوس : أجل، ولكنني وجدت نفسي فيما بعد أمام فتى.
(يخرج كايوس)

غى : يا للعجب ! من إذاً خطف السيدة آن باج ؟
باج : ها هو السيد فانتون.

(يدخل فانتون وآن باج)

ما معنى هذا، يا سيد فانتون ؟
آن : سامحتي يا أمي ! سامحتني يا أمي !
باج : لماذا لم تذهبي مع السيد سليندر، أيتها السيدة ؟
السيدة باج : لماذا لم تذهبي مع الدكتور كايوس، أيتها السيدة ؟
فانتون : لا ترهقا أعصابها ! سأقول لك الحقيقة. كنتما تريدان لها زواجاً
تعيساً، خالياً من الحب. نحن الاثنان يجمعنا الآن رباط لا يمكن فصله.
مباركة الخطيئة التي ارتكبتها والإهانة التي سببتها ! انها بعملها هذا جنبت
نفسها اللعنة التي كان سيسببها زواجها القسري ممن لا تحب.
غى : لا تبقي هكذا ذاهلين. إن هذا لن يجديكما نفعاً. ان سلطان الحب لا
يقاوم. بالمال، نستطيع شراء الأراضي، أما النساء فإن القدر يوزعهن كما
يشاء !

فولستاف : إني سعيد لأن السهام التي سددموها نحوي ارتدت إلى
صلوركم.

باج : لتجعلك السماء سعيداً، يا فانتون. يجب الاذعان للأمور التي لا نستطيع
تجنبها !

فولستاف : عندما تصطاد الكلاب، أثناء الليل، تستحسن كل طريدة تقع
عليها.

السيدة باج : لننسى ما حصل، يا سيد فانتون ! ونهني هذه المهزلة، بالقرب
من الموقد. هيا بنا جميعاً، وأنت أيضاً، يا سيرجون.

غى : فليكن ! لقد وفيت بوعدك، يا سيرجون، نحو السيد فوتين، لأنه سينام
هذه الليلة مع الأنسة غى.

(يخرج الجميع)

﴿ تَمَّت ﴾

واحدة بواحدة

تعريب

أ.ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

فنستو	: دوق فينا
أنجلة	: نائب الدوق أثناء غيابه عن الحكم
أسكالوس	: مولى عجوز، زميل أنجلو في المنصب
كلوديو	: وجيه شاب
لوسيو	: شخص غريب الأطوار
وجيهان آخرا	
ضابط الشرطة	
توماس	{ راهبان
بطرس	
كود	: شرطي مغفل
المعلم رغو	: غني أبله
بومبي	: خادم السيدة المرهقة
أبو رسون	: جلاد
برنردان	: سجين منحط الأخلاق
إيزابيل	: أخت كلوديو
مريان	: خطيبة أنجلو
جوليت	: حبيبة كلوديو
فرنسيسكا	: راهبة
السيدة المرهقة	: قوادة
سادة ووجهاء وحرس وخدم	
تجري الأحداث في فينا.	

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل الدوق واسكالوس وسادة وخدم

الدوق : يا أمسكالوس.

امسكالوس : نعم يا مولاي.

الدوق : ان شرحي كل قوانين الحكم يتطلّب من قبلي أن أبسط لك جملاً وخطباً، وأنا أدري جيداً ان معارفك الخاصة في هذا الموضوع تفوق ما تتناوله خبرتي من معلومات يسعني أن أزودك بها، وإني لا أحتاج إلا إلى إضافة سلطتي إلى مقدرتك، لأدعك تتصرّف بحكمتك. ان طبيعة شعوبنا ومؤسسات مدينتنا ونصوص قوانيننا المنظّمة ليست غريبة عن معظم رجال الشرع المتضلعين من النظريات والتطبيقات التي نعتمدها. هذه هي مهمتك (يسلمه ورقة) أتمنى أن لا تتخلى عنها. (لرجال حاشيته) هيا أرسلوا في طلب أنجلو واستعجلوه في الحضور اليّ. (يخرج أحد الخدم لأسكالوس) كيف تظنه سيتصرّف عندما يحلّ محليّ؟ عليك أن تعلم إنني بوحى خاص، قد اخترته ليقوم مقامى أثناء غيابي. ولقد شملته بحمايتي وأغدقت عليه محبتي وزودته بجميع وظائفى وسلطائى. فما رأيك بذلك؟

اسكالوس : إذا كان في فينا رجل يستحق تلقى إنعامك وشرف عظيم كهذا فهو السيد أنجلو.

(يدخل أنجلو)

الدوق : ها هو قد أقبل.

أنجلو : دائماً طوع بنانك يا صاحب السيادة، جئت لأستطلع رغباتك السنية.
الدوق : يا أنجلو، ان لوجودك معي بعض الميزات في الملاحظة التي تنبئني بنمط حياتك. ان شخصيتك وصفاتك ليست ملكك الخاص بمقدار ما يسعك أن تبذل من جهودك ضمن نطاق فضائلك، ومن فضائلك ضمن نطاق درايك.
فالسماء تعمل في داخلنا كما نفعل نحن بالمشاغل التي لا نضيقها لأجل ذاتها بل لمنفعتها. كذلك إذا لم تشع مزاياها خارج كياننا فالأفضل أن لا نتحلى بها. لأن الأذهان لا تقدر الجمال إلا لتعطي الجمال، والطبيعة لا تأبه أبداً للنشوة بكمالاتها بدون أن تتطلب هي ذاتها هذه الكمالات، كأنها إلهة مراية تستثمر جميع حسنات دائها وتشكراته فوق فوائده. وأنا الآن أوجه حديثي إلى رجل قادر على الحلول محلي. فيا أنجلو كن أثناء غيابي نظيري تاماً. وفي فينا، لينطلق العقاب والرقق من عقلك وقلبك. وإن أنا عيّنت أسكالوس قبلك فمقامه يأتي بعدك. فاستلم مهمتك (يسلمه ورقة).
أنجلو : انتظر يا سيدي الكريم، حتى تجرب معدني وتصنع منه إنساناً هكذا نبيلاً وجليلاً.

الدوق : لا أريد أعذاراً. لأنني فكرت ملياً في اختياري وأشبعته درساً قبل أن ألبأ اليك. فاقبل إذاً هذا المنصب، لأن استعجالي في الذهاب لا يمهلي، ولا مجال للتأخر في تقرير أمر بهذه الأهمية. سأكتب إليك عندما تدعو حاجة مصلحتي وظروفي، وآمل أن تعلمني بكل ما يجري لك هنا، فالوداع. أنا أتركك تنفذ جميع ما تقتضيه واجبات وظيفتك بحرية تامة.
أنجلو : على الأقل يا مولاي اسمح لي بأن أرافقك في جزء من الطريق.
الدوق : أقسم لك بشرفي ان ظروفني لا تتيح ذلك. فلا يقلق لك بال. لا تنس ان حريتك في العمل واسعة نظير حريتي. فبإمكانك أن تتشدد أو تتساهل في تطبيق القوانين حسب ما يوحي اليك به ضميرك الحي. هات

يدك لأصافحها. إنني أريد أن أنسحب سرّاً. فأنا أحب الناس، إنما لا يعجبني أن يستعرضوني بعيونهم، ولا أميل إلى هتافاتهم وتصفيقهم الصاخب مهما كان مرضياً، ولا أعتبر من الحكمة أن يبحث المرء عنها وداعاً. أنجلو : حماك الله وسدّد خطاك. اسكالوس : ليحرسك أنت أيضاً، ويمنّ عليك بالسعادة الكاملة. الدوق : شكراً لكما. الوداع.

(يخرج)

اسكالوس : (لأنجلو) أرجو منك يا سيدي أن تسمح لي بالتحدّث إليك قليلاً. إذ يهمني أن أفهم واجباتي جيداً. فلي سلطة، ولكن ما هو مداها، وما هي طبيعتها ؟ لأنني لم أتمكن بعد من حصرها. أنجلو : هذا هو حالي أنا أيضاً. فلننسحب معاً، وسيتسنى لنا إدراك هذه النقاط قريباً. اسكالوس : أنا طوع بئانك، يا صاحب السعادة.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في إحدى الساحات

يدخل لوسيو ومعه وجهان

لوسيو : إذا كان الدوق كسائر زملائه لم يتفاهم مع عاهل هنغاريا فسيهاجمون الملك بأجمعهم. الوجه الأول : شملنا الله بسلامه، لا بسلام ملك هنغاريا. الوجه الثاني : آمين. لوسيو : أنت تفكر مثل ذاك القرصان المتمزّت الذي ركب البحر مزوداً بالوصايا العشر بعد أن شطب إحداها من اللوحة.

الوجيه الثاني : القائلة : لا تسرق.

لوسيو : أجل، هذه هي الوصية التي ألفاها.

الوجيه الأول : بالفعل، هذه الوصية هي التي تأمر الربّان وجميع رجاله بالتخلي عن مهنتهم لأنهم أقلعوا بقصد النهب والسلب. ليس بين جنودنا فرد يصلي قبل الأكل ويقبل بالفقرة التي تلتبس أن يخيّم السلام على الجميع.

الوجيه الثاني : لم أسمع ابداً في حياتي جندياً يرفض السلام.

لوسيو : أنا أصدقك، لأنني أعتقد بأنك لم تكن يوماً حيث تلتبس النعم.

الوجيه الثاني : على الأقل، ذهبت عشر مرّات.

الوجيه الأول : في أية ظروف.

لوسيو : لا تهّم المناسبة ولا اللغة.

الوجيه الأول : حتى ولا الديانة أيضاً.

لوسيو : لماذا لا ؟ فالنعمة تظل نعمة رغم كل المناقشات والاعتبارات. فمثلاً

أنت خشن الطباع، وتظلّ مشاكساً مهما تلقّيت من النعم.

الوجيه الأول : وإن يكن الأمر كما تقول، فالفرق بيننا يكمن في التفاصيل.

لوسيو : تماماً كما هو الفرق بين المخمل والحاشية. وأنت لست سوى

حاشية.

الوجيه الأول : وأنت المخمل. أجل أنت مخمل ممتاز بثلاث وبرات. أوّكد

لك إنني من جهتي أفضل أن أكون حاشية قماش صرّج انكليزي على أن

أكون مخملاً مجزوزاً نظيرك على الطريقة الفرنسية. وأنا أتكلّم عن خبرة

كما لا يخفاك.

لوسيو : أصدقك، وأعتقد أن الزمان كان قاسياً عليك. وها هو إقرارك يشير

إلى أن الأفضل لك أن تعرض صحتك على طيب. أوّكد لك أنني سأمتنع،

ما حيت، عن الشرب من كأسك.

الوجيه الأول : يُخيّل إليّ انني أخطأت بحق نفسي. أليس كذلك ؟

الوجيه الثاني : نعم بدون شك، إن غاظك الأمر أو لا.

لوسيو : (يلمح السيدة المرهقة) : ها هي السيدة المسالمة قد أتت.

الوجيه الأول : تحت سقفها، اشتريت أمراضاً كلّفتني باهظاً.

الوجيه الثاني : أرجو منك أن تقول لي كم كلفتك ؟

لوسيو : إحزر.

الوجيه الثاني : ثلاثة آلاف دولار، أريد أن أقول ثلاثة آلاف دُولار في السنة.

الوجيه الأول : وأكثر من ذلك.

لوسيو : نعم، وفوق ذلك بعض العلل.

الوجيه الثاني : للوسيو : أنت تتصوّر دائماً أنني مريض، لكنك مخطئ جداً

لأنني متين البنية.

لوسيو : نعم، ولكن لا أحد يؤكّد أنك صحيح البدن. أنت صلب كالأشياء

المجوّفة، وعظامك كالنفخار سريعة العطب، لأن النجاسة تسري في أوصالك.

(تدخل السيدة المرهقة)

الوجيه الأول : كيف حالك ؟ أي جانب من الورك فيك مُصاب أكثر بداء

عرق النسا ؟

السيدة المرهقة : حسناً، حسناً. ها قد أقيّد إلى السجن رجل يساوي خمسة

آلاف من أمثالك جميعاً.

الوجيه الثاني : أرجو منك أن تقولي لي مَنْ هو.

السيدة المرهقة : لعمرى، يا سيدي، هو كلوديو، أريد أن أقول السيد كلوديو.

الوجيه الأول : كلوديو في السجن ؟ هذا لا يُصدّق.

السيدة المرهقة : أنا أعلم جيداً أن الأمر قد تمّ، وشاهدته موقوفاً ومساقاً.

علاوة على ذلك، سيقطع رأسه بعد ثلاثة أيام.

لوسيو : بعد كل هذه الثروة، أكاد لا أصدّق ما تقولين. هل أنت واثقة

من صحّة هذا النيا ؟

السيدة المرهقة : أجل أنا واثقة كل الثقة، لأنه دَنَسَ شرف السيدة جوليت.

لوسيو : (للوجيهين) : صدّقاني، المسألة ممكنة. لقد وعدني بموافاتي، من

ساعتين، وكان دائماً دقيقاً في المحافظة على مواعيده.

الوجيه الثاني : من جهة أخرى، أنت تعلم أن ذلك مطابق لما كنّا نتحدّث

عنه منذ هنيهة.

الوجيه الأول : هذا يطابق بنوع خاص ما يُعلن عنه.

لوسيو : هيا نذهب ونستفهم عن الحقيقة.

(يخرج لوسيو بصحبة الوجهين)

السيدة المرهقة : هكذا بسبب الحرب والمرض والبؤس أراني بدون عمل.
(يدخل بومي)

ما وراءك من الأخبار ؟

بومي : هناك رجل يُقاد إلى السجن.

السيدة المرهقة : وماذا فعل ؟

بومي : اعتدى على امرأة.

السيدة المرهقة : ما هو جرمه ؟

بومي : لقد أخطأ... اصطاد سمكة في نهر خاص.

السيدة المرهقة : ماذا تقول ؟ هل اغتصب فتاة ؟

بومي : نعم جعل من الفتاة امرأة. أو لم تسمعي المنادي ؟

السيدة المرهقة : أي منادٍ، يا عزيزي ؟

بومي : المنادي الذي أعلن بأن جميع البيوت في ضواحي فينا ستُهدم.

السيدة المرهقة : وماذا يحل بيوت المدينة ؟

بومي : ستظل قائمة. ولو لم يشفع بها رجل قدير حكيم، لكانت هُدمت هي أيضاً.

السيدة المرهقة : كيف تُهدم كل بيوتنا المجمعة في الضواحي ؟

بومي : ستُدك إلى الأرض، يا معلتي.

السيدة المرهقة : هذا، وربي، انقلاب في الأمور العامة. ماذا سيحل بي ؟

بومي : هيا لا تقلقي. أعلم أن النصائح المفيدة لا تجلب الزبائن. ومهما

غيرت اقامتك، لست مضطرة لاستبدال مهنتك. سأظل على الدوام أجيرك

اليقظ، فتشجعي واشفقي على حالك، ولأخسرت عينيك بغير داع اضطرابي،

ولا بدّ من النظر لترى الأشياء بعين الواقع.

السيدة المرهقة : ماذا يمكننا أن نفعل هنا، يا صاحبي ؟ هيا بنا نذهب.

بومبي : ها هوذا السيد كلوديو يقوده ضابط الشرطة الى السجن. وها هذا جوليت.

(يخرجان)

(يدخل ضابط الشرطة وكلوديو وجوليت ورجال الشرطة ثم لوسيو والوجهان).

كلوديو : (لضابط الشرطة) يا صديقي، لماذا تعرّضني هكذا لأنظار الناس ؟ خذني الى السجن حيث ستحتجزني.

ضابط الشرطة : إذا تصرّفت هكذا، فليس عن سوء نية، بل لتلبية طلب خاص أرسله لي السيد أنجلو.

كلوديو : هكذا تدفعني السلطة، وهي نصف إله، ثمن زلّتي على هواها. هي خنجر القانون الذي يطعن مَنْ يشاء ويطعن مَنْ يشاء. ما همّ، فهذا، حسب العرف، يُسمّى عدالة.

لوسيو : (يتقدّم) ما بك يا كلوديو ؟ لماذا أنت خائف هكذا ؟

كلوديو : بسبب الحرية الزائفة، يا عزيزي لوسيو. أجل بسبب الحرية الزائفة. فكما ان عسر الهضم يقتضي الصوم، هكذا التماذي في المجون بدون رادع يفضي الى العبودية. لأن غرائزنا كالجرذان التي تنهافت على السموم، تواصل الأذى المتفاعل فيها، وتظلّ تستزيد منها حتى تموت.

لوسيو : لو كنت واثقاً عند توقيفي من التكلم هكذا بحكمة لكنت بحثت عن بعض الدائنين لأستلف شيئاً من المال، مع ذلك، الحق أقول، أنا أفضل أن أثّرثر بحرية، خارج السجن، على أن أتحدّث برصانة في داخله. ماذا يغيظك يا كلوديو ؟

كلوديو : مجرد الكلام، اعتبره إهانة جديدة لا تغفر.

لوسيو : ماذا تعني ؟ هل هناك جريمة قتل ؟

كلوديو : كلا.

لوسيو : أم جنائية دعارة.

كلوديو : سمّها هكذا، إن شئت.

ضابط الشرطة : (لكلوديو) بـرّ، يا سيدي، علينا أن نمضي.

كلوديو : (لضابط الشرطة) كلمة واحدة فقط، يا صاح، كلمة واحدة يا لوسيو (يأخذ لوسيو جانباً).

لوسيو : قل مئة كلمة إذا أمكنك أن تستفيد منها. هل هكذا لا تكف عن الفسق ؟

كلوديو : هذا هو وضعي. فأني بموجب عقد قانوني تسَلَّلت الى سرير جوليت التي تعرفها، وهي الآن زوجتي بكل معنى الكلمة، ولم يبقَ لاكمال قراننا إلا معاملات الزفاف العلني. وإن لم أصل بها بعد إلى الخاتمة، فلكي أحصل على الباتنة المحتجزة في خزانة أهلها الذين رأينا من الأنسب أن نخفي عنهم هيأنا إلى أن يرضوا مع الوقت بما نرغب فيه. لكن مصير علاقتي الحميمة مكتوب بحروف كبيرة على جبين جوليت.

لوسيو : هل تعني أن هناك طفلاً ؟

كلوديو : أجل، مع الأسف. والآن، نائب الدوق الجديد... لا أدري إن كانت بهرجة سلطته الحديثة العهد تبهره وتعميه، أو إن كان يرى في جهاز الدولة حصان سباق، فما كاد يعتليه حتى همزه بشدة حتى يشعر بأنه أصبح فارسه. فهل الطغيان كامن في المنصب أم في صاحب السعادة الذي يشغله ؟ أراني ضائعاً في هذا الموضوع. أنا ألاحظ أن الحكم الجديد ينوي نبش جميع القوانين الجزائية وتحريك الدروع المصدية المعلقة على الجدران منذ زمن بعيد، لأن عشرين برجاً قد دارت في الفلك بدون أن تستعمل هذه الدروع. ولكي يلهج الناس بذكره، ها هوذا يقصد إيقاظ الشرع النائم المهجور، طبعاً لكي يشيد به الأهلون ويلهجون بالثناء على شخصه الكريم. **لوسيو :** أؤكد لك، ورأسك منتصب فوق كفيك باعتزاز، ان بائعة حليب عاشقة تستميله بتنهدة واحدة. فأرسل في طلب الدوق واستأنف دعواك لديه. **كلوديو :** هذا ما فعلته، لكني لم أعثر عليه. فأرجو منك، يا لوسيو أن تؤدّي لي هذه الخدمة. اليوم ستدخل أختي الدير، وتبدأ تجربتها لتقبل أو ترفض. فأسألك أن تعلمها بخطورة موقعي. توّسل إليها باسمي كي تلتمس من بعض الأصدقاء المقربين للتوسّط لدى نائب الدوق الحاكم الآن، وقل لها أن تضغط عليه بالحاح، وأنا وطيد الثقة بأن نضارة شبابها لغة صامتة

بليغة تحرّك مشاعر الرجال. من جهة أخرى، لديها فن لا يُستهان به عندما ترغب في تسخير منطقها وكلامها للاستمالة والاقناع.

لوسيو : أدعو الله كي تنجح في مسعاها لتأمين مرادك، وإلا ظللت تحت رحمة عقاب صارم بدون أن تبلغ شاطئ الأمان الذي يزعجني أن تبعدك عنه رمية زهر لعب غير موفقة. أنا ذاهب لأراها.

كلوديو : أشكرك يا صديقي لوسيو.

لوسيو : لن يتم ذلك قبل ساعتين.

كلوديو : هيا أيها الضابط، إلى الأمام سرّ.

(يخرجان)

المشهد الثالث

في أحد الأديرة

يدخل الدوق والأخ توماس

الدوق : كلا، يا أبتِ الجليل. أطرّد عنك هذه الفكرة، ولا تصدّق أن الحب الهزيل يسعه أن يخترق القلب المحصّن. إذا طلبت منك أن تدلّني على ملجأ سرّي، فلغاية أخطر وأعقد من خطط ومشاريع يرسمها الشباب الملتهب حماساً ؟

الأخ توماس : هل لسعادتك أن تشرح لي مبتغاك ؟

الدوق : أيها الرجل النبيل، لا أحد يعرف أكثر منك إنني طوال عمري أحببت حياة العزلة، ولم أحفل بالاجتماعات التي يسيطر عليها المرح والترف والتحدّي الطائش. ولقد أوكلت إلى السيد أنجلو، الرجل الحازم الذي لا يلين، أمر سلطتي المطلقة ونفوذ مقامي الرفيع في فينّا، وهو يظن انني مسافر إلى بولونيا كما رُوّجت الخبر أمام العموم، وقد صدّقه الجميع في كل مكان. والآن يا سيدي المفضل، هل تريد أن تعلم لماذا تصرّفت هكذا ؟

الأخ توماس : طبعاً، يا مولاي.

الدوق : لدينا قوانين صارمة وشرائع قاسية تضع حدّاً لجميع المغامرات

الجامحة التي وقفت أنا سداً منيعاً في وجه انتشارها زهاء أربعة عشر عاماً، وقد حبست نفسي في مقرّي لا أخرج منه حتى الى الصيد. وكما تدرّك جيداً، ان الأب المتساهل الرؤوف الذي يربط حزمة القضبان ويكتفي بعرضها أمام أعين أولاده، كخيال في صحراء بدون حراك، يرى ان هذه القضبان لا تليث أن تمسي موضوع تندر أكثر مما تكون أداة تأديب. هكذا اعتبر أنا ان الشرائع اللينة لدى تطبيقها تظل كأنها ميتة بدون مفعول. فالاستهتار يستخف بالقوانين والرضيع يلطم مربيته، وعلى اللياقة والوقار ألف سلام وسلام. الأخ توماس : عليك إذا يا صاحب السيادة أن تفكّ قيود هذه العدالة المكبلة، حالما يتيح الظروف، وهذا يتم على يدك أفضل بكثير ممّا إذا تولّى هذه المهمة السيد أنجلو.

الدوق : أخشى أن يكون لهذا الحل محاذير عديدة. لقد أخطأت في طريقة إثبات مثل هذه النوايا الصادقة للشعب، فصدر عني بعض التراخي في ضربه ومعاقبته فوق ما تساهلت به أنا بنفسي حياله سابقاً. وقد تفاضيت عن الشرّ وأفلت له العنان بدل أن أتصدّى له بالقصاص الشديد. هذا ما يقلقني يا صديقي، وما دعاني إلى إلقاء هذه المهمة على عاتق أنجلو، لأنه حين يجد نفسه مضطراً، سيضرب بحزم محاولاً أن لا يخطئ الهدف، بدون أن أتعرض أنا شخصياً أثناء ابتعادي عن الأنظار للانتقاد اللاذع والتجريح الأليم. ولكي أراقب معالجته الأمور عن كثب، أريد، باعتباري متخفياً في ثوب أحد رهبانك، أن أزور نائبي المصلح وشعبي المطلوب اصلاحه، فأرجو منك أن تؤمّن لي الثوب وأن تدربني على ما ينبغي أن أتصرّف بموجبه لأظهر كراهب حقيقي. وسأشرح لك عند الاقتضاء باقي الأسباب التي دعيتي الى اتخاذ هذا القرار. فاسمع إذا ما أقول : ان السيد أنجلو كثير الوسواس، ويحذر كثيراً اتباع أهوائه. وهو يكاد لا يقرّ بأن دمه يغلي في عروقه أو أن شهيته إلى الخبز مصدر الحياة أقوى منها إلى الحجر مقرّ الممات وباب السعادة الدائمة. وسأرى إن كانت السلطة ستبدّل أفكاره وأحواله، وألمس حقيقة ما يخفيه تحت ظواهره الهادئة.

(يفرجان)

المشهد الرابع

في الدير

تدخل ايزابيل وفرنيسكا

ايزابيل : وأنتِ أينها الراهبة، أليس لك امتيازات أخرى ؟
فرنيسكا : أوليست هذه على قدر المقام ؟
ايزابيل : أجل، في الحقيقة، أنا لا أتمنى أكثر منها، بل بالعكس أود أن يسود النظام بصورة أنجع وأعمّ على جميع راهبات ستيكليز.

لوسيو : (ينادي من خلف المسرح) يا جماعة، السلام على أهل هذا المكان.

ايزابيل : من ينادي ؟
فرنيسكا : هذا صوت رجل، يا عزيزتي ايزابيل. أديري مفتاح الباب واسأليه ماذا يريد. فهذا مسموح لك، لا لي، لأنك لا تزالين حرة. وحين تعلنين نذورك، لن يسمح لك بأن تكلمي أي رجل إلّا بحضور الرئيسة. حتى إن تكلمت، عليك أن لا تريه وجهك، وإذا رأى وجهك عليك أن لا تكلميه. هو لا يزال ينادي. فأرجو منك أن تردّي عليه.

(تخرج فرنيسكا)

ايزابيل : (تفتح الباب) أحييك يا سيدي، وأتمنى لك كل خير. من تكون أيها المنادي ؟

لوسيو : (يدخل) السلام عليك أينها العذراء، إن كنت كذلك، كما تعلن ورود خديك. هل لك أن تؤدّي لي خدمة وتقوديني إلى ايزابيل المبتدئة في هذا الدير، فأنا آت من قبل أخيها التبعس كلوديو ؟
ايزابيل : لماذا تقول إن أخاها تبعس ؟ أعذرني على هذا السؤال، فأنا شقيقته ايزابيل.

لوسيو : أيتها الحسناء اللطيفة، أخوك يهديك أحرّ سلامه، ويبلغك بكلمتين أنه مسجون.

إيزابيل : يا لشقاائي ! لماذا سُجن ؟

لوسيو : لأجل ما، لو كنت أنا أحاكمه، وجّهت إليه الشكر بدل العقاب، لأنه صيّر صديقه أماً.

إيزابيل : لا تقصّر عليّ مثل هذه الحكاية المزعجة، يا سيدي.
لوسيو : هذه هي الحقيقة، وإن تكن نقيصتي المألوفة أن أتصرّف كالرزور، وأن أتمادى في المزاح مع الفتيات، لأن الرزانة بعيدة جداً عن طبعي. أنا لا أريد أن أتسلّى بهذه اللعبة الخطيرة مع كل العذارى. لكنني أعتبرك مخلوقة سماوية مباركة، ذات نفس خالدة بالترفع والإباء، ولا يسوغ التحدّث اليك إلّا بصدق وجدّ وأمانة كأهلك قديسة.

إيزابيل : أراك تجذّف عليّ القيم باستهزائك هكذا بي.
لوسيو : لا تقولي هذا أبداً. بالاختصار هذا ما جئت أعلمك به : شقيقك وعشيقته قد تمانقا. ولما كان كل ما يتغذى يمتلئ والأرض الجيدة تنمي النباتات وتحولها من بذور إلى أزهار ثم إلى ثمار يانعة للقطوف، هكذا أحشاء الفتاة الخصبة لا تلبث أن تنمّ عن حسن الحراثة واكتمال النضوج.
إيزابيل : ومن هي الفتاة التي سايرته ؟ هل هي نسييتي جوليت ؟

لوسيو : نعم. وهل هي نسييتك ؟
إيزابيل : أجل، بالتبني. أنت تعرف أن التلميذة تتخذ أحياناً اسماً جديداً، بتصرّف صبياني وسلوك غير جدّي.

لوسيو : أجل هي هكذا.

إيزابيل : عليه إذا أن يتزوجها.

لوسيو : هنا المشكلة. لقد ذهب الدوق في رحلة بطريقة غريبة، وأبقى وجهاء عديدين، وأنا منهم، في انتظار ما يترقبون من أعمال. لكننا عرفنا ممن يطلعون على أهمّ أسرار الدولة، أن تصرّحاته بعيدة كل البعد عن نواياه الحقيقية. وفي مكانه اليوم، يحكم السيد أنجلو ويمارس السلطة كاملة، وهو رجل ممزوج دمه بثلج ذائب، لا يشعر بأي إحساس عذب أو عاطفة رقيقة، بل

يخفق ويدفن غريزته الطبيعية، في سبيل تطهير نفسه بالتأمل والصوم. ولكي يكبح جماح الأخلاق والحريات تعود منذ زمن طويل أن يداعب القوانين القاسية، كالفأر في حضرة الأسد، وأن يتشبث بنصوص كالتي تدين أخاك وتحرمه نعمة الحياة. لذا أمر بتوقيف كلوديو ليطبق عليه القانون بكل صرامة ويجعله عبرة لمن يُعتبر، ولا أمل بإنقاذه إلا إذا التمس ذلك من أنجلو بتوسل واستعطاف. هذا هو سبب مجيئي إليك، فلا تتأخري في الوساطة لانقاذ أخيك المسكين.

إيزابيل : وهل يقصد حقاً أن يسليه حياته.

لوسيو : لقد أصدر حكمه عليه بالاعدام، كما علمت، وما على ضابط الشرطة إلا تنفيذه.

إيزابيل : آسف للوسيلة الوضيعة التي عليّ أن ألجأ إليها لكي أنقذه من الموت.

لوسيو : جرتي استخدام السلطة التي تتمتعين بها.

إيزابيل : سلطتي، أنا أشك...

لوسيو : شكوكنا بنفسنا تجعلنا كالمخونة نخسر الانتصار الذي نستطيع أن نحزّه، ونخشى هكذا أن نقوم بأية محاولة. إذهي وأقنعي السيد أنجلو بأن الفتيات عندما يصمّن على نيل شيء لا يسع الرجال إلا أن يكونوا كرماء في تلبية طلباتهن وإرضاء رغباتهن.

إيزابيل : سأرى ما يمكنني فعله.

لوسيو : المسألة تقتضي العجلة.

إيزابيل : سأهتم بالأمر حالاً، بعد أن أعلم الرئيسة بالمشكلة. أشكرك بتواضع على هذه الخدمة. فسلم لي على أخي. وهذا المساء أمل أن أخبره بنجاح مسعاي.

لوسيو : أستاذك بالانصراف.

إيزابيل : وداعاً أيها الصديق الوفي.

(يخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في قاعة محكمة الجنايات

يدخل أنجلو واسكالوس ثم القاضي الجنائي وضابط الشرطة،
ورجال القضاء والموظفون، فيما أنجلو واسكالوس يتحدثان

أنجلو : من واجبي أن لا أدع القانون يصير خيالاً جامداً، ننصبه لترويع
العصافير الجارحة، فإذا به يظل بدون مفعول ويمسي لها محطاً بدلاً من
أن يكون ارهاباً.

اسكالوس : أنا من رأيك. فلنشحد إذاً خناجرنا، لكن لنستأصل شأفة الشرِّ
برفق، لا لنطعن غدرأ ونميت. آسف أن يكون، لهذا الوجه الذي أريد تخليصه،
والد في غاية النبل. فألتمس العون من سعادتك، وأنا واثق من تمسكك
بأهداب الفضيلة فإذا كنت في فورة عواطفك وجدت الزمان يناسب المكان،
والمكان يوافق رغبتك، وإذا كان اتجاه إحساسك قد أدرك غاية أفكارك،
ألا تكون مرةً في حياتك قد ارتكبت الخطأ الذي تعاقب لأجله، واستهدفت
العقاب بسببه.

أنجلو : التعلّص للتجربة يا اسكالوس، لا يعني السقوط فيها حتماً. أنا لا أنكر أن بين المحلّفين الذين يتحكّمون بحياة المجرمين يوجد لص أو اثنان، ذنبهم أكبر من ذنب المتّهم. ولربّما اعتمدت المحكمة على ما توصّلت اليه من أدلّة، لاصدار قرارها، فما ذنب القانون، إذا حاكم اللصوص لصوصاً ؟ ببساطة، إذا وجدنا جوهرة على الأرض التقطناها، وإذا لم نشاهدها دسناها بدون أن ندري بوجودها. هكذا لا يسعك أن تغفو عن المجرم لمجرّد كونك أنت ذاتك ارتكبت عين جرمه. إنّما قل لي بصراحة، إن ارتكبت هذا الجرم، أنا الذي أحاكمه، هل يتحمّ على حكمي ذاته أن يكون سابقة لادائتي وإعدامي، بدون أن يكون للانحياز دخل في هذه القضية ؟ يا سيدي، لا بدّ لهذا المجرم من أن يموت.

اسكالوس : تصرّف حسب ما تمليه عليك حكمتك.

أنجلو : (يرفع صوته) أين ضابط الشرطة؟

ضابط الشرطة : انا هنا انتظر اوامر سعادتك.

أنجلو : اعمل على تنفيذ الحكم بكلوديو غداً في الساعة التاسعة صباحاً. جيئوه بمن يهوّ عليه ويهيئه، لأنّه وصل إلى آخر طريقه في الحياة.

(يخرج ضابط الشرطة)

اسكالوس : هيا بنا. سامحه الله وسامحنا جميعاً. البعض يرتفع بالخطيئة، والبعض الآخر يسقط بالفضيلة. البعض يخلص من مجموعة جرائم بدون أن يكون مسؤولاً عن واحدة منها، والبعض الآخر يُحكم عليه بسبب ذنب طفيف واحد فقط.

يدخل كود والمعلم رغوة وبومي وبعض رجال الشرطة

كود : (للشرطيين) هيا خذوه. فإن ظل الناس في هذه الجمهورية، حتى الصالحون منهم، يعيشون فساداً في البيوت العامة، أكون أول من يتجاهل القوانين... خذوه.

أنجلو : (لكود) ما اسمك يا سيدي، وما حاجتك ؟
كود : أنا، يا صاحب السعادة، حارس الدوق وأسّمي كود. واستناداً الى

العدالة يا سيدي، آتي إلى سيادتك بمحسنين تقيين.

(يشير إلى المعلم رغبة وبومي)

أنجلو : محسنين ؟ محسنين من أي نوع ؟ ألا يكونان من المفسدين ؟
كود : لا أعلم يا سيدي، من هما. لكنني على يقين بأنهما نذلان لا غشّ
فيهما، ويعيدان عن أي عمل خيّر يصدر عن رجل صالح.
اسكالوس : هذه مقدّمة ممتازة تأتي من شرطي قدير.
أنجلو : هيا قل لي ما هي أوصافهما ؟ أنت تدعى كود ؟ لماذا لا تتكلم
يا كود ؟

بومي : هو لا يستطيع يا سيدي، لأنه شخص مشبوه.

أنجلو : (لبومي) من أنت إذًا، يا هذا ؟

كود : هو، يا سيدي، أجير حانة، نصف قوّاد. هو فتي مفتول السواعد
في خدمة امرأة متهتكة من أحد البيوت العامة، وقد سقطت في إحدى الضواحي
كما يُقال، وهي الآن تتعاطى مهنة الدعارة في أكره بيت على ما أظن.
اسكالوس : كيف عرفت ذلك ؟

كود : هي زوجتي، يا مولاي. وأنا أكرهها أمام الله وأمام سيادتك...

اسكالوس : ماذا تقول ؟ أهي زوجتك ؟

كود : نعم، يا مولاي. هي، والحمد لله، من أشرف النساء.

اسكالوس : أ كذلك أنت تكرهها ؟

كود : أجل، يا مولاي. أكرهها أنا وزوجتي أيضاً. ولو لم يكن ذاك البيت
وكرأ للدعارة لكان لا بأس به. على كل حال هو بيت فساد.

اسكالوس : كيف عرفت ذلك، أيها الشرطي ؟

كود : بواسطة السيدة المرهقة، يا مولاي. وقد بصقت في وجهه الوقح
لأنه عاندها.

بومي : هذا غير صحيح، يا سيدي.

كود : (يشير إلى أنجلو، ويشير اسكالوس إلى بومي) أثبت قولك أمام

هذين الشاهدين أيها الشريف المتطاول، أثبت قولك.

اسكالوس : (لأنجلو) هل سمعت كيف غير كلامه ؟

بومبي : كانت زوجته حبلى حين دخلت، يا سيدي، وكانت تشتهي الخوخ المطبوخ، ولم يكن لدينا منه في تلك الأيام البعيدة سوى حبتين مصفوفين في صحن حلوى، كل واحدة منهما ثمنها ستة فلوس. لا بدّ لسيداتك من أن تكون أبصرت مثل هذه الحصون، فهي ليست من النوع الصيني، لكنها مع ذلك جميلة.

اسكالوس : هيا أكمل، فالصحن لا أهمية له، يا صديقي.

بومبي : كلا، بالفعل، يا سيدي، نظير أي وعاء آخر. أنت على صواب. لكن في الحقيقة كما قلت لك، هذه السيدة كود كانت حبلى وبطنها كثير الانتفاخ، وكانت كما قلت تشتهي الخوخ جداً. وكما قلت أيضاً لم يكن في الصحن سوى حبتين. وكان المعلم رغبة الحاضر هاهنا قد أكل القطع الأخرى، كما قلت، وقد دفع ثمنها كما قلت بصدق. بالفعل كما تعرف، أيها المعلم رغبة لم أستطع أن أردّ لك الفلوس الستة.

المعلم رغبة : كلا، فعلاً.

بومبي : حسناً. كنت إذاً على وشك أن أكسر بزرة الخوختين المذكورتين.

المعلم رغبة : نعم، فعلاً.

بومبي : حسناً، كنت أقول لك إذا تذكرت، ان فلاناً أو فلاناً لن يشفى أبداً من هذه العلة إلّا إذا أتبع نظام حمية معينة في الأكل، كما قلت لك.

المعلم رغبة : كل هذا صحيح.

بومبي : إذاً، كما قلت لك.

اسكالوس : أنت غبي مملّ. أسألك أن تعلمني بما جرى لامرأة كود موضوع هذه الشكوى ؟ أخبرني ماذا جرى لها ؟

بومبي : لا يمكنك يا صاحب السعادة أن تدرك ذلك.

اسكالوس : يا سيدي، أنا لا أنوي إدراكه.

بومبي : مع ذلك يا مولاي ستدركه إذا شئت يا صاحب السعادة. فاستحلفك أن تنظر بعين الاعتبار إلى المعلم رغبة الحاضر ها هنا لأنه رجل يربح ثمانين ليرة في السنة، مات أبوه في يوم عيد، أوليس كذلك أيها المعلم رغبة ؟

المعلم رغبة : أجل في مساء العيد.

بومبي : حسناً حسناً. أعتقد بأن هذه حقائق هامة. هو، يا سيدي، كان جالساً، كما قلت، على كرسي غير عالٍ، يا مولاي. وكان ذلك في قاعة « المنقود » حيث بالفعل (يلتفت إلى المعلم رغوة) كنت تحب أن تجلس أيها المعلم رغوة، أليس كذلك ؟

المعلم رغوة : نعم أحبها، لأنها غرفة مفتوحة وصالحة للتسلية.

بومبي : حسناً حسناً، هذه حقائق هامة.

أنجلو : (لأسكالوس) وهي طويلة كأنها ليلة من ليالي الشتاء، بل من أطول الليالي. أستاذك بالانصراف، وسأعلمك بالسبب فيما بعد، آملاً أن تجده صالحاً لتضربهم جميعاً.

اسكالوس : كنت أترقب ذلك. السلام على صاحب السيادة (يخرج أنجلو) والآن يا سيدي أكمل. ماذا جرى لامرأة كود ؟ أكرّر عليك السؤال مرة أخرى. بومبي : مرة أخرى ؟ يا سيدي، لم يفعل لها أحد شيئاً إلا مرة واحدة. كود : (لأسكالوس) أستحلفك، يا سيدي. اسأله، ماذا فعل هذا الرجل لزوجتي ؟

بومبي : أستحلفك، يا صاحب السيادة، أن تسألني ذلك.

اسكالوس : إذاً، ماذا فعل هذا السيد لزوجته ؟

بومبي : (يشير الى المعلم رغوة) أستحلفك يا مولاي أن تتأمل في محيا هذا الوجه. يا عزيزي المعلم رغوة، أنظر الى صاحب السعادة. هذا لخيرك.

هل تلاحظ وجهه يا مولاي ؟

اسكالوس : نعم، يا سيدي، ألاحظه جيداً.

بومبي : أستحلفك بأن تلاحظه جيداً جيداً.

اسكالوس : طبعاً هذا ما أفعله.

بومبي : ألا ترى شيئاً سيئاً في محياه، يا سيدي ؟

اسكالوس : كلا، كلا.

بومبي : أنا أفترض، ويدي على الكتاب الكريم، ان وجهه أبشع ما فيه. فكيف أمكن المعلم رغوة أن يُلحق شراً بزوجة الشرطي.

كود : أولاً، البيت محترم. ثم، هذا الفتى محترم، وأخيراً عشيقته امرأة محترمة.

بومبي : بذمتي، يا مولاي، أوكد لك ان زوجته أشرف منا جميعاً.
كود : أنت تكذب أيها الحقيّر، أنت تكذب. سيأتي يوم لن تكون فيه محترمة أبداً بين الرجال والنساء والأولاد.

بومبي : لقد كانت محترمة، يا سيدي، قبل أن يتزوجها.
اسكالوس : (ينظر إلى كود، ثم الى بومبي) ما هو المعقول أكثر من سواه هنا، أكلام القاضي أم المذنب ؟ (لكود) ما قولك أنت ؟
كود : (لبومبي) يا شقي، يا حقير، يا مجرم. أنا محترم قبل أن أتزوجها. وكم كنا تبادل الاحترام معاً ! أرجو أن تنظر اليّ يا صاحب السعادة كشرطي أمين في خدمة الدوق. أثبت ذلك أيها المحتال، أو أرفع عليك دعوى استرداد شرف.

اسكالوس : إذا صفعك على خدّك، يمكنك أن ترفع عليه دعوى تحقير.
كود : أشكرك يا صاحب السعادة. أمّا أنت أيها الوقح، ألا ترى ماذا سيحل بك ؟ أكمل يا حقير، أكمل.

اسكالوس : (للمعلم رغوة) أين ولدت يا صديقي ؟
المعلم رغوة : هنا في فينّا، يا مولاي.

اسكالوس : هل يبلغ دخلك ثمانين ليرة في السنة ؟
المعلم رغوة : أجل يا سيدي.

اسكالوس : هذا يكفي. (لبومبي) ما هي صنعتك يا سيدي ؟
بومبي : أجير حانة، وأنا ابن أرملة بائسة.

اسكالوس : وما هو اسم عشيقتك ؟
بومبي : السيدة المرهقة.

اسكالوس : هل كان لها أكثر من زوج واحد ؟
بومبي : تسعة، يا سيدي، والاخير دعاها المرهقة.

اسكالوس : تسعة أزواج ؟ اقرب أيها المعلم رغوة. أنا لا أنصحك بأن تتعاد على أصحاب الحانات، لأنهم سيسلخون جلدك. وأنت تذهب بهم

إلى المشتقة. هروول الآن ولا تدعني أسمع بذكرك بعد اليوم.
المعلم رغوّة : أشكرك يا صاحب السعادة. من جهتي أنا، لن أدخل بعد
الآن إلى أية حانة كي لا يسلم أحد جلدي.

اسكالوس : حسناً. هذا يكفي، أيها المعلم رغوّة. الوداع (يخرج المعلم
رغوّة لبومبي) تعال إلى هنا يا صاحب الحانة، اقترّب. ما اسمك ؟

بومبي : اسمي بومبي.

اسكالوس : وأيضاً.

بومبي : ذو المؤخرة.

اسكالوس : أجل، مؤخرتك أكبر ما فيك، وبالمعنى الحيواني، أنت بومبي
الكبير، أنت بومبي القوّاد، وإن ادّعت انك صاحب حانة، أليس كذلك ؟
هيا قل لي الحقيقة، لأن هذا أوفق بالنسبة اليك.

بومبي : بالله عليك، يا سيدي، أنا رجل مسكين، أريد أن أعيش.

اسكالوس : كيف تريد أن تعيش يا بومبي. بأن تكون قوّاداً ؟ كيف ترى
هذه المهنة يا بومبي ؟ هل هي عمل شريف ؟

بومبي : نعم، يا سيدي، إذا سمح بها القانون.

اسكالوس : القانون لا يسهه أن يسمح بها يا بومبي، ولن يسمح بها أبداً
في فينا.

بومبي : هل سعادتك مصمّم على تشويه شبان المدينة بخصيهم ؟

اسكالوس : لا، يا بومبي.

بومبي : في هذه الحالة، يا سيدي، وحسب رأيي المتواضع، لا بدّ من أن
يصلوا إلى غايتهم. فإذا أردت يا صاحب السعادة أن تتخذ التدابير اللازمة
بحق المومسات الفاجرات الجسورات، فلا مجال لأن تخشى القوّادين.
اسكالوس : أوكدّ لك انني اتخذت التدابير اللازمة ومن جملة ما تنطوي
عليه قطع الرأس والشنق إذا اقتضى الأمر.

بومبي : إذا قطعت الرؤوس أو شنقت فقط مدة عشر سنين، فإن معالجة
هذا المشكل ستحتاج إلى دفع عمولة للحصول على رؤوس جديدة. أمّا
إذا غابت هذه التدابير عشر سنين عن فينا، استأجرت أنا أجمل منزل في

المدينة لسكني بمعدل ستة فلوس عن كل قدم من الأرض، وإذا عشت كفاية لترى ذلك تذكر ما أتنبأ به الآن أنا بومبي.

اسكالوس : شكراً، يا بومبي الخير. فمقابل نبوءتك إسمع النصيحة التي أسديها إليك : لا ترني وجهك، ولا تظل هنا مهما كان السبب وجيهاً، ولا تسكن حتى حيث أنت مقيم في الوقت الحاضر. وإلاً لاحقتك، يا بومبي، إلى كوخك، وكنت بالنسبة إليك كقيصر الرهيب، ولتتكلم بصراحة يا بومبي، لجلدتك جلداً. سأغضّ النظر عن دناءتك هذه المرة، فالوداع. بومبي : أشكر سيادتك على نصيحتك الغالية. ولكن إلى أي مدى سأطيعها، هذا تحدّد الأجساد والخطوط والرغبات.

« لا يمكن أن تجلدني، ان على سائق العربة أن يجلد حصانه بالسوط لأن السوط لن يطرد، من القلب المحب، ميلاً متأصلاً وبمهته مربوط. »
(يخرج)

اسكالوس : تعال الى هنا أيها الشرطي كود، اقرب أيها المغفل. كم مضى عليك من الوقت وأنت تمارس مهنتك كرجل أمن ؟
كود : سبعة أعوام ونصف، يا سيدي.

اسكالوس : لقد حكمت عليك من جرّاء راحتك في هذه الوظيفة، بأنك تَمّت واجباتك فترة من الزمن، تقول أنت انها تناهز سبعة أعوام متوالية.
كود : ونصف، يا سيدي.

اسكالوس : يا للأسف، كم أتعبك هذا العمل ! فمن غير المعقول أن يفرض عليك هذا الواجب هكذا طويلاً، وأن لا يوجد رجال غيرك أهل للقيام به.
كود : والله يا سيدي قليلون هم الذين لديهم الكفاءة في هذا المجال. ومن يقع عليهم الاختيار سيرهم أن يراجعوني لأقوم مقامهم. وأنا مستعد لأن أفعل ذلك لقاء بعض المال، وأن أتكفل بكل شيء.

اسكالوس : اسمع. عليك أن تقدّم لي أسماء الستة أو السبعة القادرين على ذلك، في جوارك.
كود : أقدمها لسعادتك ؟

اسكالوس : أجل، لي أنا. الوداع. (يخرج كود، للقاضي) كم هي الساعة الآن ؟

القاضي : الحادية عشرة، يا سيدي.

اسكالوس : أدعوك الى العشاء عندي.

القاضي : أشكرك بتواضع.

اسكالوس : موت كلوديو. يحزنني. لكن لا حيلة لي بمنعه.

القاضي : السيد أنجلو صارم جداً.

اسكالوس : هذا ضروري. لأن الرفق غاب عن الوجود، وإن بدا الأمر عكس ذلك في أغلب الأحيان. فالعفو دائماً، كما يُقال، يؤلّد التكرار. مع ذلك، مسكين كلوديو لا سبيل لاتقاذه. هيّا بنا، يا سيدي.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في قصر أنجلو

يدخل ضابط الشرطة وأحد الخدم

الخدام : لقد ذهب ليستمع الى قضية، وسيعود في الحال، فأخبره بمجيئك.
ضابط الشرطة : أرجو منك أن لا تنسى (يخرج الخادم) أريد أن أعرف قراره، فلربما لأن. يا للأسف، هو لم يعترف إلا بغلطة مشؤومة واحدة. فكل الطبقات وجميع الأعمار سرت اليها العدوى من هذه الرذيلة، ولا بدّ إذا لاستئصالها خوفاً من أن يموت.

(يدخل أنجلو)

أنجلو : ماذا تريد، يا ضابط الشرطة ؟

ضابط الشرطة : هل هي مشيتك أن يُعدم كلوديو غداً ؟

أنجلو : ألم أؤكد لك ذلك ؟ أوليس في حوزتك الأمر اللازم ؟ فلماذا

هذا السؤال مجدداً ؟

ضابط الشرطة : أخشى أن أستعجل الأمور. لقد رأيت القضاء مراراً يندم على ما ينفذ من قراراته.

أنجلو : هيا، أنا آخذ كل المسؤولية على عاتقي. فقم بواجبك، أو إستقل من هذه الوظيفة، وأنا مستعد للاستغناء عنك واستبدالك.

ضابط الشرطة : ألتمس عفوك يا صاحب السيادة. ماذا تريد أن أفعل بالمنتحبة جوليت ؟ وقد أشرفت على آخر أيامها لتلد.

أنجلو : خذها الى مكان أنسب من هنا، وبدون إمهال.

(يعود الخادم)

الخادم : جاءت شقيقة المحكوم عليه تطلب مقابلتك.

أنجلو : هل له أخت ؟

ضابط الشرطة : أجل يا مولاي الكريم. وهي صبيّة متمسكة بأهداب التقوى، تنوي دخول الدير قريباً، إن لم تكن قد دخلته.

أنجلو : (للخادم) دعها تدخل الى الدير (يخرج الخادم. لضابط الشرطة) إسهّر أنت على أخذ المتهتكة من هنا. أعطوها كل ما يلزمها، لكن بدون إكثار. وسأصدر الأوامر بهذا المعنى.

(يدخل لوسيو ومعه ايزابيل)

ضابط الشرطة : (يحيّي بابتسام) حفظك الله يا صاحب السيادة.

أنجلو : ابقى برهة. (لايزابيل) أهلاً ومرحباً بك. ماذا تريدان ؟

ايزابيل : جئت أتوسّل اليك يا صاحب السعادة، وأرجو منك أن تستمع إليّ.

أنجلو : وما هي قضيتك ؟

ايزابيل : أنا آبي أن أتدخل في مسألة أكره وقوعها في قبضة العدالة، وما كنت أتوسّط لأجلها لو لم أكن مضطّرة، ولو لم تتنازع في رأسي رغبتني في انتصار الحق واحتقاري فوز الرذيلة.

أنجلو : قل لي، ما هي ظلامتك ؟

ايزابيل : لي أخ محكوم عليه بالاعدام. فجئت أستحلفك بأن تنفذ الحكم بالجرم لا بأخي.

ضابط الشرطة : (على حدة) كان الله في عونك لتحركي عواطفه الجامدة.

أنجلو : وكيف تزيديني أن أحكم على الجرم لا على مرتكبه ؟ إن كل جرم مرفول حتى إن لم يُرتكب، ومنصبي لا يبقى له معنى إذا لم يجمع الجرم الذي يعاقب عليه القانون، وترك مرتكبه أحراراً يسرحون ويمرحون. ايزايل : يا للقوانين العادلة والمنصفة ! لقد منّ الله عليّ بأخ... حفظك الله يا صاحب السعادة... (تستعد للانسحاب).

لوسيو : (لايزايل بصوت خافت) لا تنسحي هكذا عودي إلى حملتك. توسلي إليه، اركعي أمامه وتعلقي بأذبال ثوبه. أنت باردة جداً. لا بدّ لك من الحماسة، عليك أن لا توسلي باسترخاء. أقول لك، عودي إلى مطلبك بإلحاح.

ايزايل : هل يجب عليه أن يموت ؟

أنجلو : لا بدّ من معاقبته، يا ابنتي.

ايزايل : أعتقد بأنك قادر على مسامحته بدون أن تُغضب بعفوك هذا، لا أهل السماء ولا أهل الأرض.

أنجلو : أنا لا أريد العفو.

ايزايل : أنت تستطيع الصفح إن أردت.

أنجلو : اعلمي ان لا طاقة لي على ما لا أريده.

ايزايل : لكن، ألا تريد أن تفعل ذلك بدون أن تضرّ بأحد من الناس، لا سيّما إذا كان قلبك يختلج بأقل شفقة عليه مما أشعر أنا به ؟

أنجلو : صدر الحكم عليه وفات الأوان.

لوسيو : (لايزايل بصوت خافت) أنت باردة جداً. تحمسي وألحي.

ايزايل : لماذا فات الأوان ؟ لا، لا. أنا إذا قلت كلمة أستطيع أن أسحبها. صدقتي. لا شيء كالرفق يزيد هيبة تصرفات الكبار، لا تاج الملك ولا خنجر نائب الدوق ولا عصا الماريشال ولا ثوب القاضي. لو كان المحكوم في محلّك وكنت أنت في مكانه لكنت ضعفت مثله وزلت قدمك، ولظل هو متصبلاً متشبّثاً نظيرك.

أنجلو : أرجو منك أن تنسحي.

ايزايل : لو شأنت السماء أن تمنحني جبروتك وأن تكون أنت المتوسّل

عوضاً عني، هل تريد أن تجري الأمور هكذا ؟ لا، لكنك رأيت كيف يتعنت القاضي وكيف يتذلل المسجون.

لوسيو : (على حدة) هكذا تتوصلين إلى هرّ عواطفه. لأنك نقرت الوتر الحساس.

أنجلو : أخوك حكم عليه القانون، وأنت تضيّعين وقتك في ثرثرة عقيمة. ايزابيل : يا للأسف. في الماضي كانت جميع النفوس المريضة محكوم عليها، فوجد الطبيب الدواء لمعالجة الداء الذي تشكو منه. لكن ماذا يحلّ بك اليوم إذا حكم عليك مصدر كل عدالة لتصلبك هذا ؟ أرجو أن تفكر بذلك فتشعر حينذاك بعامل الشفقة يهرّ نياط فؤادك كأنك رجل جديد حسّاس. أنجلو : ما عليك إلا الاذعان، يا ابنتي الجميلة. فالقانون لا أنا، الحاكم على أخيك. ولو كان نسيبي أو أخي أو ابني لما تغيّر شيء بالنسبة إليه. لا بدّ له من أن يموت غداً ليكفر عن ذنبه.

ايزابيل : غداً ؟ هكذا بسرعة ؟ أستحلفك أن تنقذه، لأنه غير متأهب للموت. نحن حتى لأجل غذائنا لا نقتل العصفور إلا في موسم الصيد. فهل تستنّي لنا أن نخدم الخير بخشونة تصرّفنا ؟ يا مولاي الكريم القادر، أرجو منك أن تتأمّل في الأمر وتتساءل عمّن سواه نفدّ فيه حكم الاعدام لأجل هذه الزلّة التي يرتكبها الكثيرون ؟

لوسيو : (على حدة) هذا كلام مقنع، ثابري على هذه الوتيرة. أنجلو : مهما غفا القانون فإنه لا يموت. وكل هؤلاء المجرمين ما كانوا ارتكبوا ذنوبهم لو نال كل منهم نصيبه من العقوبة التي ينصّ عليها القانون. من الآن وصاعداً ستسهر العدالة وتقاصص جميع المخالفين. إذ بسبب التهاون والتسامح تفاقمّت الجرائم، وفي المستقبل لن يتسنّى للناس أن يعيشوا بأمان إذا لم يوضع حدّ للشر.

ايزابيل : مع ذلك ألتمس منك أن ترأف بحال أخي. أنجلو : ان تطيقتي القانون هو في حدّ ذاته عمل رحمة، لأنني أشفق على من لا أعرفهم. أمّا التساهل فيمهد السبيل لتفشّي الفساد والاجرام. ومن يكفر عن ذنبه لا يسعه أن يعاود الكرة ويرتكب إثماً جديداً. وأنت يجب أن

تكوني أول المقتنعين بما أقول. فأخوك يجب أن يموت غداً، وعليك أن تذعني للواقع.

إيزابيل : هكذا تعتبر نفسك أول من يطبق الحكم، وهو أول من يزهق روحه. جميل جداً أن يتحلى الإنسان بقوة جبارة إنما كل الظلم في التذرع باستخدام هذه القوة كجبار عنيد.

لوسيو : (على حدة) هذا قول سيدي.

إيزابيل : لو كان عظماء هذا العالم قادرين نظير يهوذا لما ارتاح يهوذاً. لأن أضعف رجال الدين يملأون سماءه بالرعود ولا شيء سوى الرعود. فيا سماء الرحمة متى ترسلين بروقك الساطعة لتحرق السنديانة المعقدة، المتمردة بدل الشهيد المسكين. فالويل للإنسان العنيد المسلح بسلطته الهزيلة والعارف أقل من سواه بضعف كيانه، ويتصرف كقرود غاضب يملأ الأرض والسماء بمهازله السمجة، ويكي الملائكة الأطهار، ويكتسب احتقارنا ويشير ضحك أهل الأرض الهالكين.

لوسيو : (على حدة) كوني صامدة ولا تليني. فأنا أرى أن لا بدّ له من تراجعه.

ضابط الشرطة : أتمنى أن تلهمها السماء ما تؤثر به على فؤاده.

إيزابيل : أنا لا أعرف كيف أقيم أعمال أخ كشقيقي. فالكبار يمكنهم أن يسخروا من الأبرار، وتعتبر جسارتهم دليلاً على ذكائهم. إنما من يمالئ شخصاً دونه مقدرة يدنس حقوق غيره من البشر.

لوسيو : (على حدة) أنتِ على صواب أيتها الفتاة الذكية فتابري على إلحاحك.

إيزابيل : ان ما يعتبره الضابط كلمة غضب مني، هو على لسان الجندي مثلاً إهانة فظيعة.

لوسيو : (على حدة) كيف عرفت كل هذا ؟ أكرّر عليك، تابري على إصرارك.

أنجلو : لماذا تلاحقيني بهذه الحكم ؟

إيزابيل : لأن السلطة، مع انها غير معصومة عن الغلط نظيرنا، تحمل في

ذاتها نوعاً من الدواء الذي يشفي من داء العظمة وصغائرها. حاسب نفسك واقرع صدرك واسأل قلبك إن كان لا يعترف بما يشبه جريرة أخي. وإذا أحسّ بضعف مماثل، فامنع عن رشق أخي من خلال شفتيك بحرمانه الحياة بحكم الاعدام الذي تصرّ سيادتك على تنفيذه.

أنجلو : (على حدة) هي تتكلم بمنطق سليم يؤثر على تفكيري المتردد (لايزايل بصوت مرتفع) الوداع (يبادر الى الانسحاب)
ايزايل : يا مولاي الكريم، أسألك أن تعود.

أنجلو : دعني أفكر، وعودي غداً.
ايزايل : اسمع ما أريد أن أستميلك به، يا مولاي الكريم. إلتفت اليّ.
أنجلو : كيف تستميليني ؟

ايزايل : يمنحك هبات تتقاسمها أنت والسماء.
لوسيو : (على حدة) لولا هذا القول، لأفسدت كل ما قلته الى الآن.
ايزايل : بإهدائك، لا قطع عملة ذهبية، أو أحجاراً كريمة يُقدّر ثمنها حسب الأهواء، بل صلوات حارة تصعد إلى السماء وتتغلغل إلى الأعماق قبل الشمس المشرقة، صلوات نفوس طاهرة تتلوها عند الفجر عذاري نذرن صيام الأفكار التي لا تشغلها أية متعة زمنية.
أنجلو : حسناً تعالي غداً لمقابلتي.

لوسيو : (لايزايل بصوت خافت) هيا نذهب، هيا بنا.
ايزايل : حفظك الله، يا صاحب السعادة.
أنجلو : (على حدة) آمين. لأنني على شفير هاوية التجربة التي تمنع عني حتى الصلاة النيرة.

ايزايل : في أية ساعة تريد أن آتي اليك غداً، يا صاحب السعادة ؟
أنجلو : في أي وقت شئت، قبل الظهر.
ايزايل : حرسك الله، يا صاحب السيادة (تخرج بصحبة لوسيو وضابط الشرطة).

أنجلو : أجل، ما أكرمك وأكرم فضيلتك. ما هذا ؟ ما هذا ؟ هل الذنب ذنبه أو ذنبي ؟ من الجاني ؟ أهى المغيرة، أم أنا ضحية الاعراء ؟ طبعاً ليست

هي، لأنها لا تنوي أن تغريني، بل أنا المعرض للشمس المشرقة على البنفسجة التي تفوح منها رائحة الزهرة، وعلى تنانة الجيفة التي تزكم برائحتها الأنوف. أيتسنى للعفة أن تروي حواسنا أكثر من أنوثة المرأة ؟ عندما يكون لدينا كذا مساحات من الحداثي الغناء، هل نرغب في هدم معبد الطبيعة لنقيم مكانه مياذنا ؟ ثبًا لك إذاً. ماذا عليك أن تفعل يا أنجلو ؟ هل تشتتها في الاثم لأجل ذات العوامل التي تجعل منها صبيّة فاضلة ؟ ليعشّ أخوها. فاللصوص مسموح لهم بالسرقة عندما لا يتورّع القضاة أنفسهم عن السلب والنهب. ماذا جرى لي ؟ هل تدلّيت بحبها إذاً، واشتهيت أن أطرب بصوتها، وأن أشبع نظري من مفاتها ؟ هل أنا في حلم ؟ ثبًا للضجر الغاشم الذي يهاجم القديس ويحاصره فيتشبّث هذا بالقديسة كطعم لذيد. التجربة أخطر المغريات التي تهيج إحساساتنا لنضعف ونسقط صرعى الهوى مضحين بالفضيلة. لم تتوصّل الدعارة بإغراءاتها المتعدّدة ولا بجاذبها الطبيعي إلى تحريك عواطفى مرة واحدة، لكن هذه العذراء الفاضلة الخاشعة سيطرت على كل كياني، وحتى الآن رغم كل ما بلغني عن جنون رجال يعيشون لم يصدر عني حيالها سوى الابتسام والتعجّب.

(يخرج)

المشهد الثالث

في السجن

يدخل الدوق بلباس راهب، ويتبعه ضابط الشرطة

الدوق : أحييك أيها الضابط. أعتقد ان هذه هي رقتك.
ضابط الشرطة : أجل أنا ضابط الشرطة. ماذا تريد أيها الأخ الفاضل.
الدوق : أنا رهينة محبتي للناس، وقد بذرت حياتي لخدمتهم. لذا جئت

أزور النفوس المنكوبة في هذا السجن. فأرجو أن تسمح لي بمقابلة نزلته ومساعدتهم على تحمّل بلواهم، وأعرضهم على التوبة وأرعاهم بمقتضى رسالتي السماوية.

ضابط الشرطة : طبعاً أريد أن أسهل لك مهمتك على قدر الإمكان.

(تدخل جوليت)

ها هي إحدى ضيفات هذا السجن، الأنسة التي سقطت في اللهب وهي تحوم كالفراشة حول النار، وقد سببت لها زلتها انتفاخاً في البطن غير مستور. هي حامل، وشريكها المحكوم عليه شاب يبدو انه مستعد لتكرار ما أقدم عليه أكثر من تأهبه للموت تكفيراً عن زلته.

الدوق : ومتى عليه أن يموت ؟

ضابط الشرطة : غداً صباحاً على ما أعتقد (لجوليت) لقد هيأت كل شيء. فانتظري قليلاً، ليؤتى به إليك.

الدوق : هل أنت نادمة يا ابنتي، على الخطيئة التي تحملين ثمرتها ؟

جوليت : أجل، وأنا أواجه عارها بخضوع تام.

الدوق : سأعلمك كيف تحاسبين ضعفك، لتعرفي إن كانت ندامتك متينة أو هزيلة.

جوليت : سأتعلم راضية.

الدوق : أتحيين الرجل الذي سبب لك شقاءك ؟

جوليت : نعم كما أحب المرأة التي سببت له تعاسته ونفرتة منها.

الدوق : هكذا يظهر انكما ارتكبتما هذا العمل المشين باتفاق متبادل.

جوليت : طبعاً يا سيدي.

الدوق : اذاً خطيئتك أفضح من خطيئته.

جوليت : أنا أعترف بذلك آسفة، يا أبت.

الدوق : حسناً يا بنيتي. لكن إحدري من أن يكون سبب ندامتك خجلك

من العار الذي جرته عليك خطيئتك. يجب أن تكون ندامتنا نابعة من أعماقنا

لا طمعاً بأية مصلحة. إذ في هذه الحالة لا تكون توبتنا حباً بالسماء بل

خوفاً من ...

جوليت : أنا نادمة على خطيئتي لأنها شرّ، وأثقل عارها متذلة.
الدوق : ثابري على هذه النية. لأن رفيقك على ما علمت لا مناص له
من الموت غداً. وسأذهب إليه لأرّوده بنصّاحي. فليكن الله في عونك.

(يباركها ويخرج)

جوليت : سيموت غداً ! تبّاً للقوانين الجائرة التي تبقيني على قيد الحياة
وقد أضحيّ تمتعني بها نزاعاً فظيماً في أعماق كياني.
ضابط الشرطة : كم أرثي لحالها !

(يخرجون)

المشهد الرابع

في قصر أنجلو

يدخل أنجلو

أنجلو : عندما أريد أن أصلي وأفكر، تنيه خواطري وابتهالاتي بين غرض
 وآخر. ولا يصل الى السماء من كلماتي إلّا الجوفاء. بينما مخيلتي التي
لا تسمع ما يلهج به لساني، أراها مستقرّة على ايزابيل. وعلى شفّتي وأنا
أتمتم اسمها أحسنّ في قلبي بوطأة الشرّ المتأصل في أعماقي وبرغباتي المتزايدة.
أمّا القانون الذي حصرت فيه كل دراساتي، فأجده ككتاب مفتوح بات
في نظري لكثرة تكرار تلاوته، باهت الكلمات معقّد المعاني. ورسائتي التي
كانت ينبوع فخري ومجدي لا أريد أن يسمعي أحد حين أعترف في قرارة
نفسي بأنها تهلّلت وأضحت كريشة في مهب الرياح. يا لكرامتي المهدورة،
يا لمظهري الخدّاع ! كم مرة بفضل تستري وتبرّقي قد أثرت خوف المجانين
وكبّلت وعي العقلاء بسلاسل صلاحِي الكاذب تبّاً لهذا الجسد الذي يظل
دائماً مرّغاً في التراب. ولو كتبت كلمة ملاك على قرن الشيطان، لن

يغترّ بها انسان نزيه ويحبسها ريشة طاووس تزيّن قبعة ابليس اللعين.
(يدخل أحد الخدم)

مَنْ الآتي الى هنا ؟
الخدام : رابهة صيِّة تُدعى ايزابيل، تطلب مقابلتك.
أنجلو : أدخلها إليّ (يخرج الخادم) يا إلهي! لماذا يخفق قلبي هكذا، ويسرع
دمي في عروقي وأرتخي في مكاني كأنني مخلّع، فتتوقف سائر أجهزة بدني
عن الحركة ؟ هكذا يتحكّم الجمهور برجل مُغمى عليه، ويبادر إلى إغائته
ويؤمّن له الهواء المنعش الذي يعيد اليه الحياة. وهكذا رعايا الملك المحبوب
يغادرون مشاغلهم بدافع المودة الكئيبة ويتقاطرون عليه حتى يكاد ما يذلونه
في سبيله من إخلاص مصطنع يجعله منبوذاً كالأجرب.

تدخل ايزابيل

يا لها من فتاة رائعة !
ايزابيل : جئت لأتطلّع على ما قرّ عليه رأيك يا مولاي.
أنجلو : وددت أن تعرفه بدون أن تسأليني. لأن أخاك لا يمكنه أن يعيش.
ايزابيل : هكذا إذاً حكمك لم يتبدّل. حفظك الله على كل حال، يا صاحب
السيادة (تتأهّب للانسحاب).
أنجلو : على كل حال، يستطيع أن يظل حياً بعض الوقت بقدر ما يتسنّى
لي ولك. مع ذلك، لا بدّ من أن يموت.
ايزابيل : بموجب حكمك طبعاً.
أنجلو : أجل.

ايزابيل : متى ؟ أستحلفك أن تقول لي، كي أتيح له في هذه الأثناء مهما
بلغت المهلة من طول أو قصر، أن يتدبّر أمر نفسه ويصونها من الضياع.
أنجلو : تيّاً لرذائله المنحطة ! يجمل بي أن أعفو عمّن سلب حياة إنسان
غدرًا، ولا أن أغضّ الطرف عن الفرق في مثل هذه الملذّات المعيبة التي
تشوّه الصورة الالهية وتقلبها الى أشكال شيطانية محرّمة. كم يسهل على
المرء أن يهدم بطريقة غير شرعية وجوداً شرعياً، أكثر من أن يصهر المعادن
في بوتقة محرّمة لصنع أصناف غير قانونية.

إيزابيل : هكذا كُتب في السماء وعلى الأرض.
أنجلو : أهذا رأيك ؟ إذا دعيني أعانقك بسرعة. ماذا تفضّلين ؟ أن تزهق
الشرائع العادلة روح أخيك، أو أن تقتديه أنت بتسليمي جسمك في متعة
غير طاهرة نظير امرأة لوث العار شرفها ؟
إيزابيل : صدقني، يا مولاي، أنا أفضّل أن أضحي بجسدي للمحافظة على
نفسي.

أنجلو : أنا لا أتكلّم عن روحك. فالخطايا المرتكبة عنوة غير مقصودة وليس
لها أي حساب.

إيزابيل : ماذا تقول ؟

أنجلو : لا، أنا لا أضمن لك ذلك. لأنني قادر على إنكار ما قلته الآن.
أجيبي على هذا السؤال : أنا اليوم أنفذ القانون المكتوب، وأصدر حكماً
بالاعدام على أخيك. أوليس الأهلون ارتكاب خطيئة بغية إنقاذ حياة هذا الأخ ؟
إيزابيل : اقبل أنت العفو عنه، وأنا أغامر بنفسي. فيأتي عملي رحمة لا خطيئة.
أنجلو : إذا رضيت فعلاً بأن تغامر بنفسك، فالرحمة تغفر الخطيئة.
إيزابيل : إن ارتكبت الخطيئة لأدعه يعيش أتحمّل أنا عقابها، وإن ارتكبت
أنت الخطيئة باستجابتك طلبي، سأصلي كل صباح ومساء لكي يُضاف ذنبك
إلى خطيئتي، ولا تحاسب عليه مطلقاً.

أنجلو : لا، لا. اصغي إليّ. فكرك لا يتبع فكري، لأنك جاهلة، أو أنك
تظاهرين بالغباء، وهذا ليس بحلّ صالح.

إيزابيل : دعني أظهر جاهلة سيئة التصرف، فأحصل على نعمة الاقرار بعدم
كفايتي.

أنجلو : هكذا تحاول الحكمة أن تبدو أكثر عدلاً باتهام ذاتها. كما إن
القناع الأسود يبعث على تصوّر الجمال عشر مرات أروع من الجمال
المكشوف. لكن، اصغي إليّ لكي تفهميني جيداً أكرّر عليك بجلء أوضح :
لا بدّ لشقيقتك من أن يموت.

إيزابيل : هذا فهمته تماماً.

أنجلو : وذنبه يستحق بكل تأكيد هذا الحكم الذي فرضه عليه القانون.

ايزابيل : وهذا فهمته أيضاً جيداً.

أنجلو : أظن ان انقاذ حياته يمكن بوسيلة واحدة فقط لا غير... وأنا أقترح هذا الحل دون سواه. أنا أتكلم عن احتمال.. افترضني انك أنت اخته، يشتهيك أحد أصحاب المناصب العالية، وان هذا الأخير له ذالة على القاضي، وبواسطة نفوذه يستطيع أن يفك قيود القانون الذي يرسله الى الاعداء، وان لا وسيلة على الأرض لخلاصه إلا بتسليم كنوز جسدك الى هذا الرجل، وإلا تحتم عليك أن تدعي أخاك يُعدم، فماذا تفعلين ؟

ايزابيل : أفعل لانقاذ أخي ما أفعله لتخليص نفسي. واذا تعرضت لخطر الموت سأقبل بأوجاع السوط الذي يمزق ضلوعي وأعتبرها بلسماً، وأتعرى لمواراتي في ظلمة القبر، كأني أتعرى للتمدّد على فراش دافئ من الأشواق، وأرفض المتاجرة بجسدي في سوق الدعارة والفسق.

أنجلو : لا بدّ اذاً من أن يموت أخوك.

ايزابيل : هكذا، يكون مصيري الخاسر الأصغر. فالأولى بأخي أن يموت مرة خلال لحظة، ولا أن تشتريه أخته بهلاكها الأبدي بعد أن تموت على الأرض ألف ألف مرة.

أنجلو : ألا تكونين هكذا قاسية كالحكم الذي تعترضين عليه بشدة ؟

ايزابيل : ان الجزية المخزية والعفو بسماحة نبيلة، لا يتساويان بتاتاً، والرحمة الشرعية بعيدة كل البعد عن الفداء المشين.

أنجلو : كنت منذ برهة تعتبرين القانون ظالماً مستبداً لا يرحم، وكنت تنظرين إلى جنابة أخيك كأنها هفوة طفيفة لا كجرم فظيع.

ايزابيل : سامحني، يا مولاي. يتفق لنا غالباً، للحصول على ما نريد، أن لا نقول ما نفكر به. وأنا أغضّ الطرف قليلاً عما أكرهه لصالح ما أحبه كثيراً.

أنجلو : لكن لا تنسي اننا من لحم ودم.

ايزابيل : ليمنت أخي إذاً، اذا كان يتحمّل وحده مسؤولية الشرّ في الدنيا، وإذا كان هو وحده وريث الضعف البشري بين كل الرجال.

أنجلو : النساء كذلك ضعيفات عاجزات عن المقاومة.

ايزابيل : أجل، كالمرأة التي ترينا صورتنا، وتنكسر بسهولة لأنها من زجاج.

حمي الله النساء من الرجال الذين يفسدون طبيعتهن لاستغلالهن. لا يهم ان نعتنا بأننا عشر مرات ضعيفات، لأننا نحيفات نظير بشرتنا ونصدق بسهولة كل ما نسمعه من مبالغات خاطئة لا سيما في الثناء على أنوثتنا.

أنجلو : لا أنكر ذلك. وبما ان جنسك مفطور على هذا، حسب شهادتك، وبما اني حسب افتراضي، لست أقوى منك بنية لأقاوم الأخطاء، فدعيني أتكلم بمنتهى الصراحة، وأنا متمسك بكلامك حرفياً : كوني كما أنت أي بنت حواء، وإن كنت أكثر أو أقل من ذلك فلست اذاً امرأة. وإذا كنت كما يدل عليه مظهرك الخارجي، فاثبتيه بارتدائك اللبوس المعد لك سلفاً. **إيزابيل :** أنا لا أفهم إلا لغة واحدة، يا مولاي الكريم. وأستحلفك بأن تعود حيالي الى لهجتك الأولى الرضية.

أنجلو : لا تنسي اني أحبك.

إيزابيل : لقد أحب أخي جوليت، وأنت تؤكد لي انه سيموت من جراء ذلك.

أنجلو : لن يموت أخوك، يا إيزابيل، إذا منحتني حبك.

إيزابيل : أنا أعرف ان فضيلتك تتيح لك التظاهر بالذيلة لكي تجربني كغيري.

أنجلو : صدقيني، أقسم لك بشرفي، ان أقوالي تعبر عما أفكر به فعلاً.

إيزابيل : لكي يقدم المرء على مثل هذا التصريح، لا بد من أن يكون له

قليل من الشرف وكثير من سوء النية والخساسة والمحابة. سأفضحك يا

أنجلو، فاحذر لنفسك. وقع لي حالاً قرار العفو عن أخي، أو ارفع صوتي

وأعلن للناس أي نوع من الرجال أنت.

أنجلو : ومن يصدقك يا إيزابيل ؟ أنا اسمي نظيف، وورانة عيشي وشهادتي

تدحض ادعاءك، ومررتي الرفيعة في الدولة ترجع أكيداً بطلان اتهامك وافتراك

عليّ، إلى حد أن تختنق أقوالك بما يفوح منها من رائحة النيمية والكذب.

لقد بدأت الآن أرخي العنان لحواسي الجامحة، فسائري أشواقني الحارة،

واطرحي عنك حياك المستعار واحمرار وجهك الذي ينذب ظاهراً ما ألتسمه

منك. يمكنك أن تشتري حياة أخيك بتسليم جسدك الناعم إلى أهواء مشاعري،

وإلا لما حلت به عقوبة الموت فقط، بل أطالت صلابة عنادك عذابه الأليم

ونزاعه البطيء. أجيبيني غداً أو تدمين بسبب الرغبة الشديدة التي تتملكني

وتدفعني الى الظهور في نظرك كطاغية لا يرحم. أما أنت فقولي ما تشائين لأن خطيئتي تعادل حقيقتك.

(يخرج)

ايذايل : لمن أشكو أمري ؟ وإذا رويت قصتي هذه، من يصدّقني ؟ تباً لهذه الشفاه الرهيبة التي تتلفظ بالحكم على الانسان بالهلاك أو الافراج عنه حسب هوسها والتي يُخضع صاحبها القانون العادل لأهوائه الفاسدة، ويربط دوره المحقّ أو غير المحقّ بشهواته المنحطّة كأنها حجّة لا تقبل النقاش والجدل. أنا ذاهبة لمقابلة أخي الذي رغم انه سقط بدافع حواسّه، فإن نفسه لا تزال شريفة. لو كان له عشرة رؤوس ليسندها على عشرة جذوع أشجار دامية، فإنه لن يتردّد عن بذلها كلها والتضحية بها كي لا يدع شقيقته تستسلم إلى شخص يفيض جرمه بالفسق والفساد. إذا عليّ أن أظلّ عفيفة. وأنت يا أخي لا يسعك إلا أن تموت. لأن عفّتي أغلى من حياتك. سأخبره بما يعرضه عليّ أنجلو وأعدّ أفكاره لتقبّل الموت راضياً لأجل راحة نفسه.

(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

في السجن

(يدخل الدوق لابساً ثوب رابع، وكلوديو وضابط الشرطة)

الدوق : هكذا كنت تأمل عفو السيد انجلو.
كلوديو : لا صديق للبؤساء سوى الرجاء. أنا آمل بأن احيا مع اني أستعد للموت.

الدوق : إقبل مفارقة الحياة، وهكذا ترى الموت والحياة أحلى وأشهى على السواء. حكم عقلك في أهداف الوجود، فإذا طاش سنهمك فقدت جوهرة غالية لا يزدري بها الا المجانين وحدهم. انت نفس تتلاعب بك كل المؤثرات المناخية التي تزيد حزنك حيثما أقمت. انت لست سوى لعبة في أيدي شبح الموت تجتهد ان تتحاشاه بالهرب منه، بينما أنت في الواقع تسرع اليه. أنت لست نبيلاً لأن جميع المتع التي ابتدعتها اساسها الانحراف. كذلك لست شهماً لأنك تخشى لدغة الثعبان الهزيل الذي يزحف اليك. النوم أفضل وسيلة لراحتك وأنت تجبه وتمناه، وتخاف الموت كثيراً متناسياً ان النوم موت مؤقت. انت لست سعيداً لأنك تسعى الى الحصول على ما لا تملكه وتستخف بما أنت حاصل عليه. أنت لست مستقراً لأن طبيعتك تتبع تجوال القمر التائه. ولو كنت غنياً لظللت مع ذلك فقيراً، نظير الحمار الذي يحمل

على ظهره سبائك الذهب، وأنت لا تحمل ثروتك الا مدى مرحلة واحدة فقط. أنت لا أصدقاء لك لأن أحشائك التي تدعوك أباً والخليفة التي تنبت من صلبك تلعن الأوبة والاسقام التي لا تقضي عليك سريعاً. أنت لا تملك الشباب ولا الشيخوخة، انما نظير غفوة القيلولة بعد الظهر تمثل الرؤيا بين يديك، لأنك رغم كل بهجة شبابك تهرول مسرعاً نحو هرم الشيخوخة وتستعطي شفقة المقعد المشلول. وعندما تصبح غنياً عجوزاً تفقد العطف والمودة والقوة والجمال فلا تتمتع بثرائك. فعلى ماذا تنطوي ما تدعوه العامة حياة سعيدة ؟ أو من هذه الحياة التي تتفق عن آلاف من الميتات. ومع ذلك نخشى الموت الذي يناقشنا الحساب في آخر المطاف.

كلوديو : أشكرك بتواضع لأنني ألاحظ، اذ أطلب أن أعيش، اني على وشك أن أموت، واذ أسعى الى الموت، أتمتع عندئذٍ بأمل الحياة. فاللّهي بالمنية اذا. **ايزابيل :** (من الخارج) يا أصحاب، أرجو أن تتمتعوا بالسلام مع نعمة الطمأنينة رفيقته الحبيبة.

ضابط الشرطة : من الآتي الى هنا ؟ ادخل. فكل التمنيات تستحق حسن الاستقبال.

تدخل ايزابيل

الدوق : (لكلوديو) يا سيدي، سآتي لأشاهدك بعد برهة قصيرة.

كلوديو : أشكرك يا مولاي الوقور.

ايزابيل : لديّ كم كلمة أقولها لكلوديو.

ضابط الشرطة : أهلاً ومرحباً بك. (لكلوديو) أنظر يا سيدي، أنظر إلى شقيقتك.

الدوق : اسمح لي بكلمة يا ضابط الشرطة.

ضابط الشرطة : كما تشاء.

الدوق : (لضابط الشرطة بصوت خافت) دعني أسمعها بدون أن تراني.

(يخرج الدوق والضابط معاً)

كلوديو : والآن، يا أختاه، بأية تعزية تأتيني ؟

ايزابيل : بتعزية ممتازة تفوق كل متعة. السيد أنجلو له قضية في السماء

وقد اختارك مندوباً عنه للصعود إليها من قبله كي تمثله هناك الى الأبد.
لذا عليك أن تتم استعداداتك بسرعة، لأنك ذاهب غداً.

كلوديو : أليس من دواء لهذه العلة ؟

إيزابيل : كلا. لأن هذا الدواء اذا أنقذ الرأس حطّم القلب.

كلوديو : هذا يعني ان هناك دواء.

إيزابيل : أجل يا أخي. أنت تستطيع أن تحيا. لأن في صدر قاضيك حلم شيطاني، اذا التمسست منه الرحمة يدعك تعيش، إنما يكبلك بالسلاسل حتى الممات.

كلوديو : وما هي هذه الوسيلة ؟

إيزابيل : هذه الوسيلة، اذا قبلتها، تنتزع عنك حلّة الشرف وتتركك عارياً موصوماً بالخجل طوال عمرك.

كلوديو : لم أفهم، اشرح لي قولك.

إيزابيل : أنا أستحي منك يا كلوديو، وأرتجف من أن تحملك فكرة حب الحياة المحمومة على تفضيل سنة أو سبعة أعوام من العيش في المذلة بدلاً من التكفير عن ذنبك. هل لديك الشجاعة لمواجهة الموت برباطة جأش. ان ألم المنية كامن في الخوف من شرب كأسها، والخنفس الذي ندوسه يتحمل عذاباً يشبه ما يعانيه الجبار عند مفارقتها هذه الدنيا.

كلوديو : لماذا تُسمعيني هذا الحديث الفارغ. أعتقدين بأنني أستمدّ قراري من رقة الزهور وبلاغتها ؟ اذا كان لا بدّ من موتي فأنا مستعد لاستقباله كما تستقبل الخطيئة حبيبها وتضمّه الى صدرها.

إيزابيل : هل حقاً أسمع أخي يتكلم بهذه اللهجة ؟ هل حقاً ينبعث هذا الصوت من فم شقيقي ؟ نعم، لا بدّ من موتك لأنك أنبل من أن تمسك بحياة فاسدة حقيرة. هذا الرجل الطاهر الذيل ظاهراً، صاحب الوجه المتجهّم والكلام الصارم يجمّد فيّ حماس الشباب ويلجم طموحي، كما يسيطر الصقر على العصفور، هذا الرجل المتسرّبل بالصلاح ليس سوى شيطان رجيم. اذا جرّدته بما يتسرّ به من رجاسة تنكشف الهوة الجهنمية التي يتردّى في أعماقها باطناً.

كلوديو : أهو أنجلو المحترم ؟

ايزابيل : أجل، هو لابس ثوب الخداع الذي يخفي به قباحة وقاره المزيف. هل تصدّق يا كلوديو أنه عرض عليّ أن أستسلم إليه لقاء انقاده حياتك من برائن الموت.

كلوديو : يا الهي، هل هذا ممكن ؟

ايزابيل : نعم، بهذا الثمن الخسيس المشين يسمح لك أن تحيا، وعليّ أن أنفذ هذه الليلة ما ذكرته لك الآن، وإلا كان نصيبك غداً أن تشرب كأس المنون.

كلوديو : لن تسايري رغبته الدنيئة أبداً.

ايزابيل : إذا كانت المسألة متعلقة بحياتي، فأنا مستعدة للتضحية بها في سبيل خلاصك من قبضة إبليس.

كلوديو : أشكرك، يا عزيزتي ايزابيل.

ايزابيل : إذًا، استعد لتموت غداً يا كلوديو.

كلوديو : أرى ان لشهواته أنياباً تضطرّه إلى نهش القوانين حين يجب عليه أن يصونها ويفرض احترامها. هذه حقاً ليست زلة طفيفة بل أفظع الذنوب كلها.

ايزابيل : وما هو هذا الجرم الفظيع ؟

كلوديو : هو نحر الفضيلة وطعن ضميره حتى اني أستغرب كيف يغامر هذا العاقل الرزين بجراً العذاب الدائم على نفسه.

ايزابيل : ماذا تقول، يا أخي ؟

كلوديو : الموت معضلة رهيبة.

ايزابيل : والحياة الذليلة هي أفظع وأمرّ منه بما لا يُقاس.

كلوديو : لكني لا أفهم كيف أموت بدون أن أعلم إلى أين أذهب. ان رقادي في حفرة باردة وتعرّضي للتنانة والتفسّخ يمهد اضمحلال هذا الجسم الحساس الذي يفيض حرارة وحركة ويحوّله تراباً عفناً، بينما الروح المحروم من النور والدّفء يفرق في ظلمات الغموض، ويندثر في طيّات العدم ويتناثر في مهب الرياح العاتية بنصف ويتبعثر في ابعاد الكون المترامي الأطراف ضمن

فضاء شاسع ليس له قرار، بعد أن يرسف في أغلال البؤس والهوان وقد حكمت عليه بالهلاك زمجرات أفكار شريرة مشوّهة غير شرعية. آه، ثم آه ! هذا هائل رهيب لا يسعني أن أستوعبه وأتحمله. فالحياة على هذه الأرض قاسية، وشقاء العمر والمرض والحرمان والسجن، وإن كانت أحطّ ما يمكن أن يُفرض على البشر، هو جنة بالنسبة إلى هلعنا من شبح الموت. ايزرايل : أنا آسفة، وليس باليد من حيلة.

كلوديو : يا أختي العزيزة، ابقيني على قيد الحياة. فالخطيئة التي ترتكبينها لإنقاذ أوكيك من الموت تسمح بها الطبيعة بل تعتبرها فضيلة.

ايزرايل : يا لك من فظّ جبان، يا لك من خسيس عديم الشرف. أتريد أن تحتفظ بحياتك على حساب خطيئتي وهلاكتي ؟ أوليس نوع من الزنى أن يعيش المرء على حساب تلطّيح جبين شقيقته بالعار والهوان. ما هذا التفكير الشاذّ ؟ سامحتني، يا الهي. هل كانت أُمّي تخدع أُمّي ؟ أنا لا أتصوّر أن سفالة أوقع من انحطاط كهذا يمكنها أن تنبثق من دمه. أنا أرفض ما تطلبه مني. عليك أن تهلك وتموت. عندما أنحدر إلى مستوى ما سبّب لك هذا المصير، سأدع الأمور تأخذ مجراها، وسأتلو ألف صلاة على قبرك، لكنني لن أنبس بنت شفة لأنقذ حياتك بتضحية كرامتي.

كلوديو : أرجو منك أن تصغي إليّ، يا ايزرايل.

ايزرايل : سحقاً لك. لأن الرذيلة عندك ليست عارضاً طارئاً بل ممارسة مألوّفة. وأرى أنك لن تتورّع عن تسخير شفقتي لأغراضك الخبيثة. فالأفضل لك إذاً أن تموت.

(تتأقّب للخروج)

كلوديو : أتوسّل إليك أن تصغي إليّ، يا ايزرايل.

(يدخل الدوق ويتبعه ضابط الشرطة)

الدوق : لديّ كلمة، أيتها الصبية، كلمة واحدة أقولها لك.

ايزرايل : ماذا تريد ؟

الدوق : إن كان لديك وقت فراغ، أودّ أن أتحدّث إليك الآن قليلاً. والمسألة التي سأفاتحك بها هي حتماً لصالحك.

ايذايل : ليس لديّ وقت فراغ زائد. فالدقائق التي أخصّك بها سأخذها من مسائل أخرى. لكنني أريد أن أستمع إليك هنيهة.

الدوق : (لكلوديو بصوت خافت) : يا بنيّ، لقد سمعت ما دار بينك وبين أختك من نقاش. فإن أنجلو لم يخطر بباله أبداً أن يغويها، بل شاء أن يمتحن فضيلتها ليوقن من حكمه في درس الطبيعة البشرية. هو يعتصم بمشاعر الشرف الأصيل وهي من جهتها رفضت مطلبه، فقدّر اقتناعها ونظر إليها بعين الاعتبار. أنا أعرف أنجلو وأثق بإدراكك هذه الحقيقة الساطعة. فاستعدّ أنت للموت، ولا تخدع ذاتك بأمل خلاب. غداً عليك أن تموت، فاركم لأمنحك البركة.

كلوديو : دع أختي تسامحني، فأنا مللت من الحياة إلى درجة إنني بتّ أتمنى الخلاص منها.

الدوق : ثابر على هذا التفكير. الوداع (يخرج كلوديو) أيها الضابط، كلمة من فضلك.

ضابط الشرطة : ماذا تريد مني، يا محترم.

الدوق : أن تنسحب حالما تصل هذه العذراء. دعني أنفرد بها. فإن طبيعة رسالتي الدينية كما يدل ثوبي، لا يدع مجالاً لأن ينوبها بصحبتني أي أذى. ضابط الشرطة : لحسن الحظ.

(يخرج)

الدوق : ان اليد التي منحتك هذا الجمال زوّدتك بالفضيلة التي تنسجم وهذه الروعة جاعلةً سحر الجمال عابراً. إنما جمال النفس الذي يحلّي شخصيتك يزيّن أيضاً جسدك باستمرار لقد شأنت الظروف أن أطلع على ما قابلتك به أنجلو من مضايقات، ولو لم يقدم الضعف الانساني عدة أمثلة في الماضي على ما يشبه هذا الانحطاط، لأدهشني حتماً وضع أنجلو الشاذّ. فكيف تستطيعين أن تتصرفي بشكل يرضي هذا المسؤول وينقذ حياة أخيك ؟ ايذايل : سأعلمك في الحال. أفضل لأخي موتاً قانونياً على أن ألد ابناً غير شرعي. لكن يؤسفني أن أقول ان دوقنا الكريم مخدوع في تقديره أنجلو كل هذا التقدير ومنحه الثقة الغالية. فإن عاد، وتمكّنت من محادثته،

فأبداً أن يذهب كلامي أدراج الرياح، أو أن أنتزع القناع عن وجه هذا المستبد اللئيم.

الدوق : لن يكون سعيك باطلاً. إنما حيث هي الأمور حالياً أرى أنجلو بعيداً عن أن تناله اتهاماتك، لأنه يستطيع أن يدعي انه كان يجربك. لذا يجعل بك أن تصغي لرأيي. أنا أرغب في عمل الخير، فخطر ببالي هذا الحل. أعتقد بأنك مستعدة لصنع معروف مشكور تستحقه كل امرأة مظلومة، ويساعدك على إنقاذ حياة أخيك من غضبة القانون، وبقي شخصك من كل عار ويرضي الدوق الغائب إذا علم عند رجوعه بتفاصيل قضيتك.

إيزابيل : اشرح لي المسألة. فأنا مستعدة لعمل كل ما بوسعي بشكل لا يسيء إلى طهارة نفسي.

الدوق : الفضيلة جريئة والشرف لا يهاب المنيا. ألم تسمعي أحداً يتكلم عن مريان أخت الربان فريدريك الذي ابتلعه أمواج البحر.

إيزابيل : لقد بلغتني أخبار هذه السيدة التي ترفع الرأس.

الدوق : كان أنجلو مزماً أن يتزوجها، بعد أن خطبها وعين يوم الزفاف. في تلك الأثناء غرق فريدريك، وباتنة أخته التي كانت في حوزته غاصت في اللجة مع السفينة. فلك أن تتصوري كم شقيت هذه الأنسة على أثر الحادث الأليم، إذ فقدت أخاً نبلاً لامعاً كانت تحبه كثيراً وكان يحيطها بكل عطف وحنان، ومعه خسرت بائنتها التي تؤلف كل ثروتها، وانهار الزواج الذي أوشكت أن تعقده، لأن خطيبها اللئيم الغادر تخلى عنها.

إيزابيل : هل من المعقول أن يتخلى عنها أنجلو هكذا ؟

الدوق : أجل، تركها تستسلم إلى دموعها بدون أن يوجه إليها أية كلمة، عزاء، وحنث بوعده بحجة أنه اكتشف خفايا غير مشرفة في سلوكها. بالاختصار هجرها فاستولى عليها الحزن والأسى الذي لا تزال تمّ تحت وقره بسبب ما كانت تكنه له من الحب بصفته خطيبها، وظل قلبه كالصخر الأصم لا يلين أمام نحيبها ولا يشفق على مصيرها البائس.

إيزابيل : ما أكرم الموت الذي يخلص مثل هذه الفتاة المسكينة من مصابها، وما أقسى الحياة التي تسمح لمثل هذا الرجل الجائر أن يعيش خالياً من

الهموم. لكن أية عبرة وأية فائدة يسعها أن تستخلص من هذه المأساة ؟
الدوق : هذا السلوك، معالجته ممكنة. وهذا الدواء ينقذ أخاك، ويقيك شرّ
العار.

إيزابيل : أرني كيف يتم ذلك يا أبت.
الدوق : ان الفتاة التي حدثتك عنها قد احتفظت في أعماق قلبها بمودتها
الأولى. مع ان هذه الخطّة العسيرة المؤلمة، حسب المنطق السليم، تستوجب
نضوب حبها وتقلّص اخلاصها، لم تزده كالصخرة القائمة سداً أمام السيل،
إلا عنفاً وشراسة أطارت صوابه. اذهبي وقابلي أنجلو، واستجبي توسّلاته
بإذعان ممّوه، واقبلي بتلبية رغبته حتى النهاية. وكضمانة لكي تتيليه مبتغاه،
إفرضي عليه هذه الشروط : أن لا يطول انفراده بك، وأن يكون الموعد
سراً بعيداً عن كل ضجّة، وأن يحدّد المكان المناسب من كل الوجوه.
فعندما تكتمل هذه العناصر تتبعها بقيّة التفاصيل. أنا أنصح هذه الفتاة المظلومة
بأن تحصل على الموعد وتذهب عوضاً عنك. فإذا اقتضح سرّ هذه المقابلة
فيما بعد، اضطرّ أنجلو إلى التعويض عليها، وبهذه الطريقة يخلص شقيقك
ويُصان شرفك وتكون مريان راضية ويتترع القناع أخيراً عن وجه هذا الرجل
المفسد المضللّ. سأعلم الصبية بذلك وسأهيئها لهذه المحاولة. وإذا عرفت
كيف تصلين بالقضية الى النهاية المرجوة ينجم عنها غفران مزدوج لهذه
الدناءة والحقارة. فما رأيك بذلك ؟
إيزابيل : الفكرة تعجبني كثيراً. ولا أشك بأنها ستفضي الى الغاية المنشودة
بنجاح.

الدوق : معظم تنفيذ العملية بين يديك. اسرعي الى أنجلو. فإذا التمس
موافاتك الى سريره هذه الليلة، يمكنك أن تعديه بتلبية طلبه. أنا ذاهب إلى
مدينة « سان لوك » حيث يقوم قصر منفرد تقطنه مريان. فوافيني إلى هناك
بعد أن تعجلي في الانتهاء من لعبة أنجلو بسرعة.
إيزابيل : أشكرك على هذا التدبير المنقذ. الوداع يا أبتّ الجليل.
(يخرج كل واحد من ناحية)

المشهد الثاني

أمام السجن

الدوق المتخفي ثوب راهب يلتقي بكود وبومي وبعض أفراد الشرطة

كود : لا سبيل إلى منعك من شراء الرجال والنساء وبيعهم كالبهائم. لأن كل الناس يشربون النبيذ الأحمر أو الأبيض.
الدوق : يا إلهي! ما هذا الخليط؟

بومي : لم يعد الاهتمام بالناس يسلي منذ أن لحقت الخسارة بأحد المراهبين الاثنين نظراً لكون المراهبي الثاني المؤذي قد سمح له القانون بأن يلبس ثوباً مبطناً بفراء الثعلب والخروف، لتأمين دفأ أكثر. وهذا يعني ان للاختلاس، وهو أطول باعاً من البراءة، حقاً مضموناً باتخاذ الشعارات.

كود : تقدم يا سيدي. بارك الله همتك يا أبت.
الدوق : وبارك الله همتك أيضاً يا أخي. أية إهانة وجهها إليك هذا الرجل الشرير ؟

كود : يا سيدي، يكفي أنه داس القانون. ويُخَيَّل اليّ أنه سرق أيضاً، لأننا لقيناه برفقة لصّ، ووجدنا معه مفتاحاً غريباً غير مألوف أرسلناه الى ضابط الشرطة.

الدوق : تبّاً لك من غبي مغفل ذنيء. أرى أن الشرّ الذي تنوي عمله هو مصدر رزقك. هل تفكر كيف يتسنى لمحصل هذه الرذيلة الذميمة أن يملأ البطن ويكسو البدن ؟ ستقول لي : من الملامسات البهيمية البغيضة، أكل وأشرب وألبس وأعيش. أو تظن أن الانسان يحيا عندما يؤمن هذه الضرورات البذيئة ؟ هيا أصلح نفسك، أقول لك أصلح نفسك.

بومي : في الواقع يا سيدي، هي تحطّ القدر قليلاً. لكني سأثبت لك...
الدوق : إذا كان الشيطان يمدك بالبراهين للقبول بالخطيئة فهو أكبر دليل على أنك ستكون من زبانيته. أيها الشرطي خذه الى السجن. فالتأديب والتحقيق

لا بدّ من أن يقوموا على قدم وساق قبل أن يتمّ أي إصلاح.
كود : عليه أن يمثل أمام نائب الدوق الذي وجّه إليه انذاراً. ونائب الدوق هذا لا يتساهل ازاء نذل نظيره. فإذا كان قوّاداً يحمي العاهرات ويمثل أمامه، يحسن به أن يقوم بعمله غير الشريف على بعد أميال من هنا.
الدوق : أتمنى أن تكون كما يوّد البعض، خالين من النقائص، على الأقل بدون رياء.

(يدخل لوسيو)

كود : سيعلّق جبل المشنقة في عنقه كما يطوّق هذا الحبل خصرك يا سيدي.
بومبي : (يتعرّف على لوسيو) ها أنا أبصر بأُم عيني مَنْ يساعطني على محتتي، وألتمس منه العون. فهذا الوجه من أصدقائي.
لوسيو : هيا يا بومبي الكريم، أخبرني ماذا جرى لك ؟ هل حالفك الحظ لتتهادى هكذا بخيلاء ؟ أولم يبقَ من دِيان للحرباء بكماليون التي أصبحت منذ هنيهة امرأة يحصل الرجل عليها بمجرد وضع يده في جيبيه وسحبها بتشنّج ليرنّ فلوسه. ما هو ردّك يا هذا ؟ ما رأيك بهذه اللهجة المتحدّية وبهذه الخيانة، وبهذا الكيل الطافح ؟ هل اختنق صوتك عند هبوب العاصفة مؤخّراً ؟ ما قولك أيها المحتال ؟ ألا يزال العالم اليوم كما كان في الماضي مراوغاً ؟ ما هذا التفكير الذي يجعل المرء حاقداً مناوئاً ؟ أطلعني على الاتجاه السائد في هذه الآونة.

الدوق : هو، هو، كما كان على الدوام، بل ينتقل اليوم من سيّء الى أسوأ.
لوسيو : كيف حال عشيقتك يا عزيزي. ألا تزال مفتوحة الشهية ؟
بومبي : صدّقني، يا سيدي، لقد التهمت فخذاً بكامله. لكنها ما عتمت أن لجأت الى الحمية.

لوسيو : هذا صحيح، لا مناص منها، ولا بدّ من اللجوء إلى مكرها. هي عاهرة متأنّقة وقوادة متبرّجة معطّرة، لذا ترى النتيجة باهرة، لا ريب فيها.
ستدخل السجن إذاً يا بومبي ؟
بومبي : أجل يا سيدي.

لوسيو : لا بأس عليك. الوداع، يا بومبي. اذهب وقل لها إنني أرسلك اليها،

ربما لأجل وفاء ديونك. هل تعرف هي في الحقيقة، لماذا ؟
كود : لأجل تشجيع مساعها وتسهيل الدعارة مهنتها الرابعة.
لوسيو : في هذه الحالة، اسجنوه. فإذا كان السجن أجرة القواد، فهو يستحقها بدون مناقشة. لا شك في أنه قواد عتيق في مهنته أي منذ ولادته. الوداع يا بومبي الماكر. تهانّي بسجنتك الذي ستلازمه زمناً طويلاً.
بومبي : آمل أن تكفلني يا صاحب السيادة وتساعدني على مغادرته قريباً.
لوسيو : لا، حقاً يا بومبي. ليس من المألوف أن يطول حجزك هنا إذا تصرفت طبعاً بروية. لأنك حادّ الطبع. فالوداع يا بومبي المسكين. (للدوق)
الله معك أيها الأخ.
الدوق : ومعك أيضاً.

لوسيو : ألا تزال بريجيت تداري نفسها، يا بومبي ؟
كود : (لبومبي) سرّ في سيلك، يا سيدي، سرّ.
بومبي : (للوسيو) أنت لا تريد إذاً أن تكفلني، يا سيدي ؟
لوسيو : والآن يا بومبي، ألا تزال على موقفك ؟ (للدوق) ما هي أخبارك عن هذا العالم يا أخي ؟ ماذا في الدنيا من جديد ؟
كود : (لبومبي) سرّ يا سيدي، قلت لك سرّ في سيلك.
لوسيو : إذهب يا بومبي البطيء (يخرج بومبي وكود وجال الشرطة) ما هي أنباء الدوق أيها الأخ ؟

الدوق : لست أدري. ألدّيك أنت من أخبار عنه لتعلمني بها ؟
لوسيو : يقول البعض أنه ذهب إلى قيصر روسيا والبعض الآخر إلى روما. لكن إلى أين تظنّه أنت قد مضى ؟
الدوق : لست أدري. فأينما كان أتمنى له النجاح والانشراح.
لوسيو : أيّ هوس، وأية غاية في النفس حملته على الهرب من منصبه ودولته وعلى تركها لمختصّب شرير ليس الحكم مهنته ولم يُخلق له. لقد تسلّط السيد أنجلو كما يحلو له في غيابه وتعلّى جميع حدود صلاحياته.
الدوق : أولاً يحكم بعدل ودراية ؟
لوسيو : لا، ما دام لا يسوّوه أبداً أن يظهر كل التساهل في قضايا الدعارة.

فهو كثير التشدد في غير هذا الموضوع بنوع خاص، يا أخي.

الدوق : هذه آفة عامة ولا بدّ من معالجتها بصرامة وحزم.

لوسيو : نعم، هي رذيلة لها عدد وافر من الأنصار والمجتدين، ويستحيل استئصالها تماماً، أيها الأخ، بدون تحريم الشرب والأكل. وكأنّ أنجلو ليس ابن رجل وامرأة، جاء هذا العالم خلافاً للطرق العادية. هل تصدّق كلاماً كهذا ؟

الدوق : كيف إذا جاء إلى هذه الدنيا ؟

لوسيو : يقول البعض ان عروس بحر قد أتت به مثل السمك، والبعض الآخر أنه انبثق من حوت ناشف اللحم. لكن الأكيد هو أنه جاف الطبع محدود النظر، وأنا أعرفه حق المعرفة. ثم هو رجل غير نافع، لا سبيل إلى نكران عقمه.

الدوق : أنت مضحك، يا سيدي، وكأنك تتحدّث عن اقتناع.

لوسيو : هو شرس، ولأجل قضاء حاجة طبيعية حكم على إنسان بالاعدام. فهل كان الدوق الغائب الآن، يتصرف هكذا ؟ عوضاً عن معاقبة رجل تسبّب في مولد مئة لقيط، كان دفع أجرة رضاعة ألف لا مئة. وهو خبير في هذه الأمور ويعرف ما تقتضيه من مسؤولية، وكان عنوان التساهل والسماح. الدوق : لم أسمع في حياتي ان الدوق الغائب كان هكذا مشبوهاً في موضوع النساء إذ كان ذوقه بعيداً عن أن يحفظ لهنّ أي استلطاف.

لوسيو : أنت مخطئ يا سيدي.

الدوق : لم يكن أبداً على هذا الحال.

لوسيو : من تعني ؟ الدوق ؟ حتى متسوّلة في الخمسين من عمرها لم تنجّ من شرّه. وكان من عادته أن يضع لها ليرة ذهبية في كشكولها المفتوح حسب العادة. صدّقني. كان للدوق ميل جارف... وكان يسكر غالباً أرجو أن تصدّقني لأنّي عالم بجميع أحواله.

الدوق : أنت تهينه هكذا.

لوسيو : كنت صديقه الحميم، وكان رجلاً خبيثاً وأنا أعرف سبب اختفائه.

الدوق : أرجو منك أن تعلمني بما عسى أن يكون السبب.

لوسيو : لا، العفو. هذا سرّ عليّ أن أصونه في صدري. إنما أسألك أن
تجيني بصراحة : هل ان معظم رعايا الدوق حقاً يعتبرونه رجلاً حكيماً ؟
الدوق : حكيماً. طبعاً كان كذلك، بدون شك.

لوسيو : بل هو رجل سطحي، جاهل، غبي، بعيد كل البعد عن التبصّر
والرزانة.

الدوق : رأيك هذا ناجم عن حسد وحماسة وكراهية. لأن أسلوب حياته
وطريقة حكمه لا بدّ من أن تضفي على شخصه صيتاً أفضل مما تنعته
أنت به. يجب أن نحكم عليه من خلال أعماله، ونقرّ بأنه عالم فاضل ورجل
دولة أصيل وجندي شجاع. أمّا كلامك عنه فهو أكبر دليل على جهلك،
وإن كنت عارفاً حقاً بجوهر الأمور، فسوء النية يعني بصرك وبصيرتك.

لوسيو : أنا أعرف الدوق وأحبه، يا سيدي.

الدوق : الصداقة تتحدّث بمعرفة مخصصة، والمعرفة التزيهة الأمانة كلها صداقة
ووفاء.

لوسيو : يا سيدي، أنا أعرف تماماً ما أعرف.

الدوق : أكاد لا أصدّق قولك هذا، لأنك لا تدرك ما تقول. ولكن عند
عودة الدوق قريباً، كما نطلب ذلك في صلواتنا، كنّ على يقين بأنك ستكون
مسؤولاً أمامه عن كل ادّعاءاتك. فإذا كنت تنطق بالصواب فستؤكد كلامك
بشجاعة، لأنني سأجبرك على ترديد أقوالك. فهل لي أن أعرف اسمك ؟
لوسيو : أنا ادعى لوسيو. والدوق يعرفني جيداً.

الدوق : سيعرفك أحسن يا سيدي، إذا أمدّ الله عمري لأعرض أمرك عليه قريباً.
لوسيو : أنا لا أخشاه مطلقاً.

الدوق : أنت تأمل بأن لا يعود الدوق، أو أنك لا تحذره كخصم قوي.
في الواقع، أنا لا أستطيع أن ألحق بك أي أذى، لأنك ستحلف بأنك لم
تنسِ بينت شفة.

لوسيو : فلاشئ إذا أقسمت على ما تدّعي. أنت واهم في ظنك بي أيها
الراهب. لكن دعنا من هذا الحديث. هل لك أن تؤكد لي ان كلوديو سيُعلم
غداً أم لا ؟

الدوق : لماذا يُعذب يا سيدي ؟

لوسيو : لماذا ؟ لأنه ملأ قنينة بواسطة قمع. أودّ أن يكون الدوق قد عاد. لأن هذا الحاكم العاجز، سيمحق سكان المنطقة لشدة ما يفرضه عليهم من العقّة المترمّة. هو لا يريد أن تملأ العصافير أعشاشها فراحاً بحجة ان ضجّة الطيور مزعجة. على الأقلّ سلاحق الدوق علانية ما يتمّ عادة في الظلمة من قبائح، وحتماً يسلّط عليها الأنوار. حقاً أودّ أن يكون الدوق قد عاد. لهفي على كلوديوي، فقد حكم عليه لأنه أراد أن ينال نصيبه من المتعة. وداعاً أيها الراهب. أرجو منك أن تصلّي لأجلي. أكرّر عليك أن الدوق كان يأكل لحم الخروف يوم الجمعة. وقد مضت أيامه الآن. مع ذلك أصرّح لك انه لن يتورّع عن الاتصال بأية امرأة مستهترّة، إن فاحت منها رائحة الثوم أو الخمّة والعفن. قلّ إنني رويت لك كل ذلك. الوداع.

(يخرج)

يدخل اسكالوس وضابط الشرطة والسيدة
المرهقة وبعض رجال الشرطة.

اسكالوس : هيا خذوها إلى السجن.

السيدة المرهقة : يا مولاي الكريم، إليك أتوسّل أن تكون طيّب القلب نحوي، يبدو عليك انك رحوم يا صاحب السعادة، يا مولاي الكريم.
اسكالوس : بعد التحذير مرتين أو ثلاث مرات أجذك قد عدت الى ارتكاب الذنب عينه. وهذا يكفي لجعل الشفقة تكفر وتصبح طاغية بحق أمثالك.
ضابط الشرطة : هي قوادة تمارس مهنتها منذ إحدى عشرة سنة.

السيدة المرهقة : يا مولاي، هذه نيميّة يلصقها بي شخص اسمه لوسيو. فالسيدة الولادة، كانت حُبلى منه منذ عهد الدوق لأنه وعداها بالزواج وأخلف بعهده. وأنا آويتها في بيتي على الرحب والسعة. فانظر كيف تقع عليّ التهم وتُلقب بي أشنع النعوت.

اسكالوس : جيئوني بهذا الولد الطائش المحتال. وخذوا هذه المرأة إلى السجن. هيا اخرجي بدون أن تلفظي كلمة واحدة. (يخرج رجال الشرطة ومعهم السيدة المرهقة) يا ضابط الشرطة، زميلي أنجلو لا يلين، وسيموت

كلوديو غداً. اجلبوا له مَنْ يَعدّه للموت ويقدم له كل النصائح التقوية. فلو اقتدى زميلي بشفتي على كلوديو، لما كان هكذا حال هذا الأخير. ضابط الشرطة : (يشير الى الدوق) هاهوذا الراهب الذي زاره وواساه وهَيَّاهُ لاقبال الموت.

اسكالوس : (للدوق) مساؤك سعيد، يا أبت.

الدوق : مَنْ الله عليك بالرعاية والبركة.

اسكالوس : من أين أنت ؟

الدوق : أنا لست من هذه الديار، مع ان نصيبي يدعوني إلى انسكن هنا بعض الوقت. فأنا عضو في رهبنة كبيرة وقد قدمت حديثاً من روما بمهمة خاصة كلفني بها قداسته.

اسكالوس : في هذه الأيام ذهبت الفضيلة ضحية العنف وأمسّت أسيرة الانحطاط فصار المستجد من الأخلاق شغلي الشاغل، لأن هناك خطراً يهيمن على المرء من جراء عادات بعيدة عن سمو الأهداف الانسانية تجعله غير مستقر في أي عمل وأي حال. أمّا المروءة فأضحت نادرة وبات من الصعب على المجتمع أن يعيش بأمان واطمئنان. كما ان هناك عوامل تدفع المرء إلى الضياع وإلى الابتعاد عن الالفه والتضامن. والعلم في أيامنا الحاضرة انصبّ على معالجة هذه المسائل الحيوية المتداعية، وقد بات عاجزاً عن معالجتها بفعالية لمنع تفاقمها. أخبرني كيف كانت طبيعة الدوق ؟

اسكالوس : كان رجلاً يحاول، بنوع خاص وقبل كل شيء، أن يترفع فوق أمور الدنيا.

الدوق : وما كانت أهدافه ؟

اسكالوس : أن يرى الناس سعداء. وكان هذا يسره أكثر مما كانت تطر به الملاهي المتكررة لارضاؤه. كان نبيلاً متزن المزاج. لكن، لندعه وشأنه، متمنٍ له الهناء، واسمح لي بأن أسألك كيف وجدت أحوال كلوديو ؟ قيل لي انك سمحت له بزيارة.

الدوق : لقد اعتبر حكم القاضي غير جائر، فرضخ بكل تواضع للعدالة، مع انه بإيحاء نزقه، إنساق وراء أوهام عديدة جعلته يأمل بأن يعيش. فتمكنت

من إقناعه بالعكس، بفضل إلحاحي عليه للتكفير عن آثامه، فرضي بتقبل الموت عقاباً على ما جنت يده.

اسكالوس : أنت أتممت رسالتك حيال الخالق وقمت بواجب وظيفتك نحو المسجون. فتشقت بالوجيه المسكين حتى آخر امكاناتك المعتدلة. لكني وجدت القاضي قاسياً جداً، يا صديقي، فاضطرت إلى الشاء عليه قائلاً انه عنوان العدالة والنزاهة.

الدوق : إذا كانت حياته تنطبق على مقتضيات وظيفته، يجدر به أن يكون صارماً. لكنه متى أدرك ضعفه، حكم على نفسه بالهلاك.

اسكالوس : أنا ذاهب لأزور المسجون... فالوداع.

الدوق : رافقتك السلامة (يخرج اسكالوس وضابط الشرطة) من أراد أن يضرب بسيف العدل عليه أن يكون مثالياً بقدر ما هو منصف، وعليه أن يجد في ضميره روح العصمة والفضيلة كي يتمكن من اداء رسالته على أكمل وجه. وعليه أيضاً أن ينظر إلى استحقاق الآخرين ليتبين الحق من خلال ضعفه هو. وليعاقب جدياً بإنزاله عقوبات صارمة بمرتكبي الذنوب التي يعف عنها. أرجو أن يلحق عار مثلث بأنجلو هذا الذي يغربل معايي ومعايب الناس، ويدع نقائصه تصول وتجول على هواها. كيف يسع هذا الرجل الشرير أن يخفي قبائحه خلف مظاهر الملاك الطاهر. فكما يتوصل الرياء الغائص في لجة الاجرام إلى خداع العالم يتسنى له أن يوقع في حباله الشبيهة بخيوط العنكبوت أسمى المبادئ والمقاصد الخيرة. ولكي نحارب الرذيلة، لا بد لنا من أن نلجأ الى الحيلة. سينام أنجلو هذه الليلة عند خطيبته القديمة. لكنه بسبب ما يغلي في صدره من مراجل الغيظ، راح يفضل هذا التفكير، وأخذ طيشه يحالف الخبائة المعشعشة في صدره، ولومه يطغى على ارتباطاته القديمة.

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

عند مريان

مريان جالسة، و غلام ينشد الى جانبها

الغلام : أطبق هذه الشفاه وعِذْها
وابحث عن نفسك تجدها.
هذه أشعة الفجر تطلّ عليك
وأنوار الشمس تملأ عينيك.
لكن ردّ لي قبلاتي
رد لي أحلى سنواتي.
ان أجنحة الهوى مكسورة
ألا أنعش نفسي المقهورة.
مريان : كفّ عن غنائك يا هذا، وانسحب سريعاً. فقد أقبل من يعزّيني
ويكفّف دموعي ويخفّف آلامي.

(يدخل الدوق بلباس راهب)

أنا ألتمس غفرانك يا مولاي. كنت أتمنى أن لا تجدني منشغلة بالموسيقى
والغناء. دعني أعتذر لك وأعترف بأن مرّحي يجتاحه الحزن كلما حاولت كآبتي
أن تبتهج.

الدوق : حب الموسيقى من أروع التسلّيات، وإن تكن الأنغام أحياناً عاملاً
فقّالاً على تغيير الخير إلى شرّ، وتحريض الخير على الشرّ أحياناً أخرى.
أرجو منك أن تخبرني هل أتى اليوم أحد يسأل عني ؟ هذا هو الموعد
الذي حدّدته تقريباً.

مريان : لم يسأل أحد عنك اليوم، وقد مكثت هنا طوال النهار.

(تدخل ايزابيل)

الدوق : أنا أصدّقك، أيتها الفتاة الوفية. ها هوذا الوقت قد حان. أستحلفك
بكل عزيز أن تتسحب لحظة، إذ ربما أستدعيك بعد برهة لأمر يهمك كثيراً.
مريان : أنا شاكرة أفضالك على اللوام.

(تخرج)

الدوق : (لايزابيل) ها قد اجتمعنا في الوقت المناسب، فأهلاً بك. ما
وراءك من الأخبار عن نائب الدوق هذا ؟

ايزابيل : (في يدها مفتاحان) حديقته مسوّرة بالقرميد، وجانبها الغربي يطلّ
على كرم عنب، فيه عريشة من قضبان حديدية يفتح بابها هذا المفتاح.
أمّا المفتاح الثاني فيخصّ باباً صغيراً يفصل بين الكرم والحديقة. فالى هنا
وعدته بأنّ أوافيه عند منتصف الليل الحالّك السواد.

الدوق : وهل ستتهديين بسهولة إلى الطريق ؟

ايزابيل : لقد تفرّغت الدرب بدقّة بعد أن دلّني مرتين، متمتماً بلهجة عابثة
وحرّة واضحة المعاني والرامي، على الطريق الذي عليّ أن أسلكه لأصل إليه.
الدوق : أوّليس من اشارات خاصّة جرى عليها الاتفاق بينكما لتتقيّد بها
مريان ؟

ايزابيل : كلا، لا يوجد، إلّا الاتفاق على إتمام المقابلة في عتمة الليل،
وعلى اختصار اجتماعنا، حسب إلحاحي، بأقصر مدى، لأنّي نُبّهته إلى ان
خادمة سترافقني في مجيئي إليه وستتظرني لتعود بي، وقد أقنعتها بأنّي آتي
لمقابلته بحجّة إنقاذ أخي.

الدوق : هذا تدير محكم. أنا لم أعلم مريان بشيء من ذلك. (ينادي)
يا أصحاب، هل تسمعونني، هيا عودوا إليّ.

(تدخل مريان)

الدوق : (يقدم ايزابيل لمريان) أرجو أن تربط الصداقة بينكما، لأن هذه الفتاة تأتي لفائدتك.

ايزابيل : مودتها من أحلى أمنياتي.

الدوق : (لمريان) هل أنت مقتنعة بأنني لا أريد إلا صالحك ؟

مريان : أجل، أيها الأخ الوقور. أنا واثقة وخبرتي في الحياة تؤكد لي ذلك.

الدوق : أمسكي إذا بيد هذه الرفيقة فهي مزمنة أن تهمس في أذنك كلاماً يعجبك ويفرحك. سأنتظرك على مقربة من هذا المكان إنما اسرعي في موافاتي، لأن الليل يوشك أن يولي.

مريان : (لايزابيل) هل لك أن تقومي بدور ما ؟

(تخرج مريان ومعه ايزابيل)

الدوق : يا إلهي، ان ملايين العيون ترمقني وهناك تقارير عديدة تملأ مجلدات تتضمن تعليقات خاطئة متناقضة تدور على أحداث جسيمة وألوف الأهواء تدعي أنك مصدر أحلامها الباطلة وتحور أفكارك كما يحلو لها.

(تعود مريان ومعه ايزابيل)

أهلاً ومرحباً بكما. ماذا قررتما ؟

ايزابيل : لقد تعهدت بإنجاز المهمة، يا أبت، إذا كنت تشجعها على القيام بها.

الدوق : أنا لا أحرصها فقط، بل ألتمسها منها التماساً.

ايزابيل : عليك أن تقللي معه كلامك. إنما عندما تغادرينه أسمع به هذه العبارة بركة وصوت خافت حنون : « والآن تذكر أخي ».

مريان : لا تخافي ولا تقلقي، فكل شيء يسير على ما يرام.

الدوق : وأنت أيضاً يا ابنتي اللطيفة، لا تخشي أي شر. هو زوجك بموجب عقد قانوني. فإذا مسك، فلن ترتكبي أية خطيئة أو ذنب، لأن حقوقك عليه

تبرّر تماديه معك. هيا نذهب ونحصّد غلّة جهودنا، إنما علينا أولاً أن نلقي بذورها.

(يخرجون)

المشهد الثاني

في داخل السجن

بختّم الليل، يدخل ضابط الشرطة وبومي

ضابط الشرطة : تعال الى هنا، أيها الغبي. هل أنت قادر على قطع رأس رجل ؟

بومي : نعم يا سيدي. إذا كان الرجل عازباً. أمّا إذا كان متزوجاً فهو رأس امرأته، وأنا غير قادر على قطع رأس امرأة.
ضابط الشرطة : هيا، يا سيدي، كفّ عن نكاتك، واعطني جواباً سديداً.
غداً صباحاً لا بدّ لكلوديو وبرنردان من أن يموتا. لدينا في السجن هنا منذ عام، جلاّد يحتاج للقيام بوظيفته إلى مساعد. فإذا كنت مستعداً لأن تمدّ له يد العون، فعملك هذا يسهّل لك التخلص من قيودك، وإلاّ أكملت مدة سجنك حتى آخر يوم، ولن يفرج عنك إلّا بعد أن تنال نصيبك من الجلد بالسوط، لأنك في الواقع قوّاد مكر خطر.

بومي : أنا تعاطيت هذا العمل، يا سيدي، بصورة غير شرعية منذ زمن بعيد. ولن يضيرني أبداً أن أوافق على استخدامي كجلاّد شرعي. ويسرّني أن يزوّدني زميلي بالتعليمات اللازمة.

ضابط الشرطة : (ينادي) تعال يا ابورسون. أين ابورسون ؟ هل أنت هنا ؟
(يدخل ابورسون)

ابورسون : أتناديني، يا سيدي ؟

ضابط الشرطة : أجل يا مغفل. هذا الشقي سيساعدك في تنفيذ أحكام الاعدام
غداً. فإذا وجدته مناسباً اتفقت معه على الأجر السنوي، وأسكنته هنا معك.
وإلا استخدمته هذه المرة ثم صرفته. وهو لن يناقشك في فظاعة عملك
لأنه كان قواداً.

ابورسون : قواداً، يا سيدي ؟ سحفاً له سينجس فتى.
بومبي : يا سيدي، لديّ سؤال وجيه أطرحه على شخصك الكريم، لأنك
رغم كل ما يبدو عليك من سحنة مقلقة أرى ان لك شخصية مميزة. هل
تسمي مهتك فناً ؟

ابورسون : نعم يا سيدي، هي فن.
بومبي : لقد سمعت، يا سيدي، ان الرسم فن. لكن عاهراتك يتمتعن الى
مهتي أنا. وبما انهن يمارسن الرسم، فهذا أقوى دليل على ان مهتي فن
لكن أين الفن في تعاطي إعدام الناس ؟ لأشوق أنا، إذا كان كلامي غير معقول.
ابورسون : أجل يا سيدي، هو فن.

بومبي : وما هو برهاتك على ذلك ؟
ابورسون : ثوب الراهب المطرود يلائم دائماً براءة السارق.
بومبي : فعلاً، مهما كان الثوب ضيقاً على السارق، يكفي أن يكون إنساناً
شريفاً كي يجده واسعاً عليه. ومهما كان الثوب كبيراً على السارق فهذا
الآخر يجده صغيراً على جسمه. وهكذا يليق ثوب الراهب المطرود بالسارق
الماهر.

(يدخل ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة : هل تمّ الاتفاق بينكما ؟
بومبي : أريد من كل قلبي أن أكون في خدمتك. لأنني أجد مهنة الجلاد
أجدر من مهنة القواد. فهي تتطلب الحزم في أغلب الأحيان.
ضابط الشرطة : أيها الغبي، أعدّ جزع الشجرة والفأس، وكن جاهزاً في
الساعة الرابعة من فجر الغد.

ابورسون : تعال، يا محتال، لأعلمك مهتي، هيا اتبعني.
بومبي : يسرّني أن أتعلّمها، يا سيدي، لأنني أمل أن تشغلني معك لحسابك

الخاص، فالعمل سيتم على أكمل وجه، وأنا مدين لأفضالك بهذا التغيير.
ضابط الشرطة : جيئوني إلى هنا بيرنردان وكلوديو (يخرج بومبي
وابورسون) فالواحد يحظى بشفتي والآخر لا أجد له باباً للرحمة عندي
حتى إن كان أخي لأنه في الحقيقة مجرم.

(يدخل كلوديو)

ضابط الشرطة : (يريه ورقة) خذ يا كلوديو، هذا أمر بإعدامك. الساعة
تشير الآن إلى منتصف الليل، وغداً صباحاً في الساعة الثامنة تنتقل من هذه
الدنيا إلى العالم الآخر. أين بيرنردان ؟

كلوديو : يغطّ في النوم العميق وينعم براحة المسافرين بعد قطعه مسافة طويلة
شاقة، ولا يريد أن يستيقظ.

ضابط الشرطة : أية خدمة يمكننا أن نسديها إليه ؟ إذذهب واستعدّ. (يسمع
طرق على الباب) اسكت. ما هذا الضجيج ؟ (لكلوديو) أعطاك الله القوة
(يخرج كلوديو. تسمع طرقات جديدة) انتظر قليلاً. أظن ان ذلك أمر
بالعفو عن كلوديو أو بتأجيل تنفيذ حكم إعدامه. أهلاً ومرحباً بك، يا أبت.
(يدخل الدوق بياض راحب)

الدوق : الله معك، أيها الضابط. هل جاء أحد إلى هنا منذ قليل ؟

ضابط الشرطة : كلا. منذ أن أعطيت اشارة منع التجوّل.

الدوق : ألم تأتني ايزابيل ؟

ضابط الشرطة : لا.

الدوق : ستأتي مع صديقتها حتماً بعد قليل من الوقت.

ضابط الشرطة : ما وراءك من أخبار سارة بخصوص كلوديو ؟

الدوق : أملي بأن لا تتأخر أخباره.

ضابط الشرطة : نائب الدوق هذا صارم جداً.

الدوق : لا، لا. ان حياته تطابق عدائته المشكورة. وبامتناعه عن المواقف،
يصون نفسه ويحاول أن يجعل الاعتدال يشمل الآخرين. لو كان يشكو
مما يجذّ في اصلاحه لأمسى طاغية. لكن الأمور كما هي الآن تثبت صلاحه

وعدله (يطرق الباب) ها هما (يخرج ضابط الشرطة) هذا ضابط انساني.
إذ من النادر أن يكون الجلّاد الفولاذي الأعصاب صديق الناس. (تسمع
طرقات جديدة) ما هذه الضجة ؟ ما هذا الحماس ؟ لا بدّ من أن يكون
الطارق مهوساً حتى يرتجّ لضرباته خشب هذا الباب.

(يدخل ضابط الشرطة وهو يكلم شخصاً واقفاً بالباب)

ضابط الشرطة : لا بدّ من بقاءه هنا إلى أن يقف السيد أنجلو فيدخله.
ها قد استدعاه.

الدوق : أليس لديك أوامر عكسيّة تخصّ كلوديو ؟ هل يتحتّم عليه أن يموت
غداً ؟

ضابط الشرطة : لا أمر عكسيّ، يا سيدي.

الدوق : مهما دنا الفجر، أيها الضابط، ستصلك الأنباء قبل الصباح.
ضابط الشرطة : ربما تعرف أنت شيئاً. مع ذلك أعتقد أن ليس من أمر
عكسيّ. إذ لم يسبق لي أن تلقّيت مثله قبلاً. على كل حال من منصّة
قاعة المحكمة، أعلن السيد أنجلو خلاف ما ترجوه.

(يدخل رسول)

هذا الرجل يريد مقابلي.

الدوق : لا بدّ من أن يكون هذا هو العفو عن كلوديو.

الرسول : (يسلم الضابط ورقة) مولاي يرسل لك هذه التعليمات، ويوصيك
بواسطتي أن لا تحيد أبداً عنها سواء من قبيل الوقت أو من قبيل الغاية، أو
من قبيل أية تفاصيل أخرى.

ضابط الشرطة : أنا طوع أوامر.

(يخرج الرسول، يحمل الضابط نظره في الورقة التي استلمها)

الدوق : (على حدة) هذا حتماً هو العفو عن كلوديو، وقد كلّف جرماً
جديداً قائماً على الصفح الممنوح. فالشرّ يتقدّم بخطوات حثيثة، عندما يصدر
عن سلطة عليا. وحين ينجم الرفق عن الرذيلة فإنه يمعن في التغاضي عن
المجرم والتعاطف مع الإثم. فماذا تلقّيت من أنباء، يا سيدي الضابط ؟
ضابط الشرطة : (وقد أتمّ قراءة الورقة) كما قلت لك منذ هنيهة. ها

هو السيد أنجلو يخشى أن أتساهل في وظيفتي، ويحرّضني على استعجال التنفيذ بطريقة غير مألوفة. ومما يزيد عجبني، ان هذا التصرف لم يصدر عنه مطلقاً في ما مضى.

الدوق : أرجو منك أن تقرأ لي، وكلّي آذان صاغية.

ضابط الشرطة : (يقرأ) « مهما وصلك من تعليمات عكسيّة، عليك أن تنفّذ حكم الاعدام بكلوديو عند الساعة الرابعة فجراً، ويرنردان بعد الظهر. وتزيدني سروراً إذا أرسلت لي رأس كلوديو باكراً عند الساعة الخامسة. إذا لا بدّ من تنفيذ هذه الأوامر حتماً، لأن استعجالها يهمني، أكرّر عليك، يهمني أكثر مما تصوّره. فلا تنهّون في القيام بوظيفتك، وإلا كان رأسك ثمناً لتماهلك ». فما قولك بهذا التشديد، يا سيدي ؟

الدوق : من هو يرنردان هذا الذي سينفّذ الحكم فيه بعد الظهر ؟

ضابط الشرطة : رجل عجريّ المولد، نشأ ورّبي في فينّا، وهو سجين هنا منذ تسع سنوات.

الدوق : لماذا لم يتمّ، أثناء غياب الدوق، اطلاق سراح هذا الشخص أو تنفيذ الحكم فيه ؟ أنا لا أفهم هذه الطريقة في تصريف الأمور.

ضابط الشرطة : لقد توصّل أصحاب السجين الى الحصول له على التأجيل باستمرار. حقاً، في المدة الأخيرة تحت حكم السيد أنجلو، لاحظت التساهل بصورة لا تقبل الشك.

الدوق : وهل تتحدّق بأن أمره انكشف الآن ؟

ضابط الشرطة : بكل وضوح. وهو ذاته لا ينكر ذلك.

الدوق : هل أعلن المجرم توبته في السجن ؟ وإلى أي مدى هو نادم ؟

ضابط الشرطة : هو رجل جسور لا يهاب الموت، يكثر من النوم وهو سكران. فلم يعد يأبه لشيء من شدّة خموله ولم يعد يهتمّ ماضيه ولا حاضره ولا مستقبله. حتى انه لم يعد يشعر بأن له ضميراً لشدّة ما استولى عليه من يأس قاتل.

الدوق : هو بحاجة الى النصح.

ضابط الشرطة : لا يريد أن يصغي إلى أي إرشاد، ما دام قد اعتاد حياة

السجن في هذه الأثناء. حتى لو تسبى له الهرب من هنا، لن يغتنم الفرصة السانحة ولن يفكر في الفرار، لأنه غارق في السكر طوال اليوم لا سيما في مدة الأسابيع الأخيرة. لقد أيقظناه مراراً بحجة أننا نقوده إلى تنفيذ الحكم فيه وأريناه مذكرة تنفيذ شكلية، لكنه لم يأبه لها، كأن الأمر لا يعنيه. **الدوق** : سنعود إلى التحدث عنه بعد هنيهة. أيها الضابط، مكتوب على جبينك أنك أمين وحازم. فإن أسأت أنا التفسير فلا بدّ لخبرتي وبصيرتي من أن تكونا قد خدعتاني. لكنني لن أتردد في التراجع عن خطأ تقديري، لأن كلوديو الذي بُلغَ التشدد في تنفيذ حكم إعدامه، لم يخالف القانون أكثر من أنجلو الذي أصدر هذا الحكم عليه. ولكي تدرك ما جرى بصورة لا تقبل الشك، لا أطلب منك سوى مهلة أربعة أيام. وأنا أسألك أن تمنحني أيضاً مئة فورية خطيرة.

ضابط الشرطة : تفضّل وقل لي ما هي.

الدوق : تأجيل التنفيذ.

ضابط الشرطة : يؤسفني أن لا أستطيع ذلك. بما ان لديّ ساعة محدّدة وأمرأ معيناً مشدداً يضعني تحت طائلة أقسى العقوبات، إن لم أرسل رأس كلوديو إلى أنجلو. فأية مخالفة، تضعني في موقف كلوديو بالذات. **الدوق** : بحق قدسية رسالتي السماوية، أضمن لك سلامتك من كل عقوبة تتعرض لها، إذا اتبعت تعليماتي بتنفيذ حكم الاعدام بيرنردان صباحاً لا بعد الظهر وبإرسال رأسه إلى أنجلو، بدلاً من كلوديو.

ضابط الشرطة : أنجلو رأى الاثنين، وسيلاحظ تبدّل وجه القاتل حتماً. **الدوق** : الموت يغيّر الملامح كثيراً. ولكي تزيد ايهام أنجلو، أحلق الرأس واعقد شعر اللحية مدّعياً أن المحكوم أراد إظهار توبته فطلب حلق شعر رأسه قبل أن يموت. أنت تعرف ان هذا يحدث غالباً. وأنا واثق بأن التشكرات والانعامات ستنهال عليك كالمنطر. كن على ثقة بأنني أضمن لك حماية حياتك من كل خطر وأذى.

ضابط الشرطة : العفو، يا أبت الوقور. هذا يخالف ما أقسمت المحافظة عليه.

الدوق : أنت أقسمت أن تكون أميناً للدوق أو لثابته ؟

ضابط الشرطة : له ولثأبه على السواء.

الدوق : كن على يقين بأن الدوق لن يعاقبك على تصرفك، إذا فعلت ما أطلبه منك.

ضابط الشرطة : ما هي ترجيحات حمايتي في هذه القضية ؟

الدوق : ليس من ترجيحات، بل لدي ضمانات. وبما أنك خائف هكذا، ربما لا ثوبي ولا جرأتي ولا حججي تطمئنك كفاية. فسأذهب معك إلى أبعد منها لأبذل عنك مخاوفك (يسحب ورقة ممهورة بخاتم ويعرضها على الضابط) أنظر يا سيدي. هذا خاتم الدوق، وأنت تعرفه وتعرف خطّه بدون شك.

ضابط الشرطة : (يتفحص الورقة) إنني أتعرف عليهما جيداً.

الدوق : محتوى هذه الورقة ينبئ بعودة الدوق قريباً. ستقرأ نصّها على مهل وسترى انه سيعود بعد يومين. هذا ما لا يعلم به أنجلو بعد، لأنه اليوم سيستلم رسالة غريبة الفحوى ربما تعني ان الدوق مات، أو دخل أحد الأديرة، وربما لا صحّة لكل هذه التأويلات. أنظر، ها هي نجمة الرعاة تدعوك الى الاطمئنان. فلا تتعجب من إمكان حصول هذه الأمور الغريبة لأن جميع المشاكل تهون عندما نعرف خفاياها. أطلب مجيء الجلاّد، ولا تردّد في أن تفرض عليه قطع رأس برنردان الذي أنا ذاهب لأعدّه حالاً على أفضل وجه. أراك لا تزال مشدوهاً. إنما هذا سيجعلك تحزم أمرك نهائياً. (يريه الورقة) هيا، يكاد النهار أن يطلع وشيكاً.

(يخرجان)

المشهد الثالث

في قاعة أخرى من السجن

يدخل بومي

بومي : هناك لي معارف عديدون، كما لو كنت في محل تجاري، أو كأني في منزل السيدة المرهقة لكثرة ما شاهدت من هذه الممارسات المألوفة. أولاً هناك السيد الطائش الذي جاء لتسليم ورقة صفراء وزنجبيل عتيق يقتّر ثمنه بمئة وسبعة وتسعين ليرة، بعد أن سحب منه خمس أواق وباعها نقداً. يا إلهي ! هذا الزنجبيل لم يكن مطلوباً في الأساس، لأن النساء جميعهن كن غائبات. ثم هناك السارق الذي جاء في طلب السيد ذي « الشعرات الثلاث » وقد أوصاه على أربعة أثواب من الحرير بلون الدراق من الممنوع دفع قيمتها. ثم هناك الأبله الشاب والسيد الماكر والسيد الخيال والسيد الخفيف، رجل امتشاق الحسام وانتضاء الخنجر، والشاب الأصلع الذي قتل البدين « حلاوة ». وهناك المعلم الغشّاش والمقاتل الباسل السيد النعال والرحالة، وهذا الساقى العجيب الذي طعن يسكينه السيد الماجن المتهتك. يُخَيَّل إليّ ان هناك أيضاً أربعين آخرين جميعهم من رعايا الدولة الذين يمكنون هناك على بركة الله.

(يدخل ابورسون)

ابورسون : أيها الغبي، أجب لي برنردان حالاً الى هنا.
بومي : (ينادي) يا معلم برنردان، استيقظ لكي نشنقك، يا معلم برنردان.
ابورسون : هيا، يا برنردان.
برنردان : (من الداخل) : قضى عليكم الطاعون. من يحدث كل هذه الضجة ؟ من أنتم ؟
بومي : نحن أصدقاؤك، يا سيدي. أنا الجلاد. تفضّل استيقظ لتنفّذ فيك حكم الاعدام.

برنردان : (من الداخل) إذهب الى الجحيم يا دجال، إذهب الى الجحيم.
أريد أن أنام.

ابورسون : (لبومي) قل له أن ينهض عاجلاً.
بومي : هيا، يا معلم برنردان، أفق لتنفيذ فيك حكم الاعدام، وبعدئذ تنام.
ابورسون : ادخل واجلبه.

بومي : هو آت، يا سيدي، هو آت. إني أسمع وقع أقدامه على القش.
(يدخل برنردان)

ابورسون : (لبومي) هل الفأس على جذع الشجرة، يا منافق ؟
بومي : والرأس جاهز، يا سيدي.

برنردان : ما ورايك من أخبار، يا أبورسون ؟
ابورسون : تفضل يا سيدي، أنا أدعوك الى الركوع للصلاة، لأن الأوامر
قد وصلت، كما ترى.

برنردان : يا غبي، لقد شربت طوال الليل، وأنا على أتم الاستعداد.
بومي : من حسن حظك يا سيدي. فمن يشرب طوال الليل يضيع منذ
الصباح الباكر، ويفرق في نوم عميق طوال النهار.

(يدخل الدوق بلباب راهب)

ابورسون : (يشير لبرنردان الى الدوق) ها هوذا يا سيدي أبوك الروحي
قد أتى. هل ظننت اننا نمازحك ؟

الدوق : (لبرنردان) يا سيدي، لقد تأثرت من شدة عطفي، لدى إبلاغي
النبا بأنك سترحل عاجلاً عن هذه الدنيا، فجئت أزودك بالنصائح، وأهون
عليك، وأصلي معك.

برنردان : أنا ؟ تياً للرهبان أمثالك. لقد شربت كثيراً طوال الليل، ولدي
الوقت الكافي لأفكر بالرحيل. هل يحتاج الأمر إلى قطع رأسي وهدر دمي
بضربة قوية كأنه حطبة، لأنني غير مستعد لأن أموت اليوم ؟ ما رأيك أنت
في الموضوع ؟

الدوق : يا سيدي، لا بد من ذلك. أستحلفك أن تقبل بالأمر وتتوي على
الرحيل.

برنردان : أقسم لك بأن لا أحد في الدنيا يستطيع إجباري على أن أموت اليوم.
الدوق : لكن، اسمع ...

برنردان : لا أريد أن أسمع كلمة واحدة. فإن كان لديك ما تقوله لي.
تعال إلى زنزاتي لأنني لا أودّ الخروج منها في هذا النهار.

(يخرج)

الدوق : مسكين، هو غير قادر على أن يعيش ولا على أن يموت. ثبًا لقلبه
المتحجر العنيد. رافقوه يا أصحاب، وأوصلوه إلى مكان الإعدام.

(يخرج أبورسون ويومبي)

(يدخل ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة : كيف تجد هذا السجين، يا سيدي.

الدوق : غير مستعد على الإطلاق، وغير راضٍ بأن يموت. فإذا فارق الحياة
على هذه الصورة نكون قد أضفنا إلى عذابه أقصى العذاب.

ضابط الشرطة : في السجن، يا أبتِ، مات هذا الصباح بحمي خبيثة، شخص
يُدعى راكوزان، وهو قرصان خطير، بعمر كلوديو، وله لحية وشعر طويل.
فما رأيك في أن نترك هذا المسكين جانباً، حتى يتأهب كما يلزم، وأن
نرسل الى نائب الدوق رأس راكوزان الذي يشبه كثيراً سحنة كلود.

الدوق : هذا حادث طارئ دبرته العناية الالهية. عجل في الأمر، فقد دنت
الساعة التي حدّدها أنجلو للتنفيذ. إعمل على ترتيب الأمر حالاً حسب
التعليمات، ريثما أقنع هذا الغبي باقتبال الموت.

ضابط الشرطة : سأنفذ هذا في الحال، يا أبتِ الجليل. لكن برنردان محكوم
عليه بالاعدام بعد ظهر اليوم. فماذا أفعل بكلوديو لكي أضمن نفسي من
العقاب الذي أترّض اليه إذا اكتشف انه لا يزال حياً ؟

الدوق : إليك ما يجب عمله : أرسل برنردان وكلوديو الى سراديب السجن
الخفية. وقبل أن تدور الشمس دورتها اليومية وتشرق مرتين على أهل الأرض
سترى حياتك في مأمن بعيداً عن كل شرّ.

ضابط الشرطة : إنني أضع ذاتي راضياً مطمئناً في حمايتك.

الدوق : هيا عجل إذاً في إرسال الرأس الى أنجلو (يخرج ضابط الشرطة)

والآن سأكتب اليه رسالة يسلمه اياها الضابط، وسيؤكد له مضمونها إنني على وشك الرجوع، وإنني لاعتبارات خطيرة مضطرّ للدخول في موكب كبير، وأسأله أن يأتي لاستقبالي عند العين المباركة، على بعد ميل من المدينة، ومن هناك يتحرك الموكب الرسمي حسب المراسم القانونية بصحبة أنجلو. (يدخل ضابط الشرطة حاملاً رأس راكوزان)

ضابط الشرطة : ها هوذا الرأس، سأخذه اليه بنفسه.
الدوق : حسناً تفعل. وعد بلون إبطاء. لأبلغك ما لا يجوز قوله إلا همساً في أذنك.
ضابط الشرطة : سأبذل قصارى جهدي.

(يخرج)

إيزابيل : (من الداخل) السلام على الجميع.
الدوق : هذا صوت إيزابيل. وهي آتية لتعرف ما إذا كان العفو عن أخيها قد وصل إلى هنا. لكنني سأكتب عنها حقيقة سعادتها لكي أحول بأسها إلى فرح عظيم حين يكون أملها أضعف ما يكون.
(تدخل إيزابيل)

إيزابيل : هل صدر العفو ؟
الدوق : نهارك سعيد، أيتها الصبيّة اللطيفة.
إيزابيل : نهاري حقاً سيكون سعيداً ما دام رجل صالح مثلك يتمناه. أرجو أن يكون نائب الدوق قد أرسل العفو عن أخي.
الدوق : لقد أفرج عنه من هذا العالم يا إيزابيل، وتدرج رأسه وأرسل إلى أنجلو.
إيزابيل : لا، لا. هذا لم يتم.
الدوق : أجل، أؤكد لك أنه قد تمّ. كوني عاقلة وحكيمة أيتها الصبيّة وتذري بصير الجميل.
إيزابيل : سأذهب اليه وأقتلع له عينه.
الدوق : لن يستقبلك أبداً.

ايزايل : مسكين كلوديو. ومسكينة أنا شقيقته ايزايل. سحقاً لهذا العالم
الظالم وسحقاً لأنجلو السفاك.

(تبكي)

الدوق : كل هذا الكلام لن يمسه ولن يفيدك. فكفني عنه واتكلي على
الله. اسمعي ما أقول لك : أريد أن أعرف مفضلاً كل الحقيقة. فالدوق
يعود غداً. هيا امسحي دموعك. أخبرني أحد رهبان الدير، وأبلغ ذلك أسكالوس
وأنجلو اللذين يتأهبان لاستقباله غداً عند أبواب المدينة، كي يردا له سلطته
علناً. فإذا استطعت إتباع تعليماتي ستكونين سعيدة جداً بالنتيجة وتقتصمين
من هذا الشقي، وتتاين نعم الدوق وشكره، والانتقام لقلبك المجروح، ثم
ثناء الجميع.

ايزايل : أنا متكلة عليك وسأتبع نصائحك حرفياً.

الدوق : (يعطيها مغلفاً) سلمني هذا المغلف للأخ بطرس، فالرسالة تنبئ
بعودة الدوق. قللي له إنني أنتظر حضوره إلى بيت مريان هذا المساء، وسأشرح
له قضيتك وقضية صديقتك أمام الدوق كي يتهم أنجلو وجهاً لوجه. أما
أنا الراهب المسكين فمرتبط بموعد هام جداً ولن أكون حاضراً إذ هي أنتِ
وأوصلي هذه الرسالة إلى صاحبها. كفكفي دموعك التي تحرق أجفانك،
وليكن قلبك قوياً مطمئناً، ولا تتكلي على أوامري اذا كنتِ لا تثقين بتوجيهاتي.
من الآتي ؟

(يدخل لوسيو)

لوسيو : نهارك سعيد أيها الراهب. أين ضابط الشرطة ؟

الدوق : خرج منذ برهة يا سيدي.

لوسيو : يا ايزايل الحلوة، قلبي مثلهف لرؤيتك، وأنا أعجب لعينيك
الحمراوين، تصبري. إنني أكتفي بشرب الماء وأكل النخالة ظهراً ومساءً،
ولأحفظ رأسي لا أجسر على ملء بطني، لأن دسم الطعام يهيج معدتي.
يقال ان الدوق يصل غداً. صدقيني يا ايزايل، كنت أحب شقيقك، ولو

كان الدوق الشيخ العجيب صاحب الزوايا المظلمة هنا لكان أخوك لا يزال على قيد الحياة.

(تخرج ابراهيم)

الدوق : أعتقد، يا سيدي، ان الدوق ليس مسروراً من تقايرك. ولحسن حظك انه لا يتأثر بها كثيراً.

لوسيو : أنت لا تعرف الدوق أيها الراهب الغريب، كما أعرفه أنا. هو يحب المجون أكثر مما تتصور.

الدوق : ستدفع ثمن كلامك المتهور هذا غالياً في يوم قريب. الوداع. لوسيو : لا، لا، انتظر. سأجتاز الطريق بصحبتك وسأروي لك قصصاً مسلية عن الدوق.

الدوق : لقد حكيت لي ما فيه الكفاية يا سيدي. سواء كنت صادقاً أو كاذباً فقصه واحدة تكفيني.

لوسيو : لقد مثلتُ أمامه مرةً حين نفختُ بطن أنسة.

الدوق : هل حقاً فعلت ذلك ؟

لوسيو : إي وربي. لكنني أنكرت الأمر وأقسمت اليمين زوراً. وإلا لكان أرغمني على الاقتران بتلك الغيبة المتهتكة.

الدوق : أتدري، يا سيدي، بأن رفيقتك بلهاء أكثر مما هي مستهترة. وداعاً. لوسيو : لعمرى، سأكمل طريقي معك الى نهاية الشارع. فإذا كانت القصص الماجنة تزعجك سأقلع عنها، أيها الأخ الجزيل الوقار. فأنا من فضيلة الزفت وألصق بكل ما يحيط بي.

(يخرجان)

المشهد الرابع

عند أنجلو

يدخل أنجلو واسكالوس

اسكالوس : كل واحدة من الرسائل التي كتبها تناقض الأخرى.
أنجلو : بشكل متنافر غريب غير متماسك. فتبدو أعماله كأنها صادرة عن مجنون. لنطلب من الله أن لا يكون عقله قد تغير. لماذا يطلب منا استقباله عند أبواب المدينة، حيث يريد أن نعيد إليه سلطانه.

اسكالوس : أنا لم أتوصل إلى أي تفسير.

أنجلو : ولماذا علينا أن نعلن قبل وصوله بساعة من الزمان، إن كان أحد من الأهالي يريد أن يرفع شكوى فليقدمها في الشارع.

اسكالوس : السبب واضح وهو التخلص من جميع الشكاوى ومن التجنّيات التي سبقت وصوله كي لا نظلّ نحن بعد تلك اللحظة مسؤولين عنها.
أنجلو : أرجو منك أن تقوم بهذا الاعلام. وغداً صباحاً أزورك في بيتك، فعجل وبلغ جميع ذوي المناصب العالية أن يادروا إلى استقباله.

اسكالوس : نعم يا سيدي، الدواع.

أنجلو : ليلتك سعيدة (يخرج اسكالوس) هذا العمل يضايقني ويقلقني، ويشلّ يدي، حتى صرت لا أستطيع القيام بأية حركة. هناك عذراء لم تعد بكراً، والجاني عليها شخصية بارزة، خالف القوانين بارتكاب جرمه الفظيع. ولو حال قليل من الحياء دون اعلانه عن هذه الجنائية العذرية لكان الواقع ألبسني أنا هذه التهمة الدنيئة. لكن التعقّل اضطرّه الى السكوت. لأن سلطتي تدعمها كرامة يقدّرها الجميع، قبل أن تحرمني منها فضيحة كهذه تلتطخ شرفي بالعار وتخلط بيني وبين المسؤول الحقيقي عنها، وكان كلوديو ظل على قيد الحياة لو ان شبابه الصاخب لا يدفعه خطر الكراهية ولم يبحث

عن الانتقام لشرفه الذي باعه بأبخس الأسعار كأنه سلعة بذقنة. اسأل الله أن يظل حياً. فمن المؤسف، عندما عرّضت كرامتي للاهانة، لم يعد هناك أمر يسير سيراً حسناً، بينما أنا أتردد في الاقدام على الاصلاح.
(يخرج)

المشهد الخامس

في ضواحي فينا

يدخل الدوق بلباسه الأميري الرسمي ومعه الأخ بطرس

الدوق : (يسلم الراهب أوراقاً) سلّمني هذه الرسائل في الوقت المناسب. فضابط الشرطة مطلع على مشروعي وخطتي. ومتى أثّرت القضية، نفّذ حالاً ما زوّدتك به من تعليماتي، وتابع سعيك لتحقيق هدفي الأسمى، ولو حدّت قليلاً عن بعض التفاصيل حسب مقتضى الظروف. إذهب إلى فلافيوس وأخبره أين أنا. أعلم أيضاً فلتينوس ورولان وكراسوس، وقل لهم أن يجيئوا بالأبواق إلى أبواب المدينة. لكن أرسل لي أولاً بطلب فلافيوس.
الأخ بطرس : سأنفّذ أوامرك بأسرع ما يمكن.

(يدخل فاروس)

الدوق : أشكرك يا فاروس. فقد بذلت جهداً تُحمد عليه. ستمشي معاً، وسيمشي برفقتنا أصحابنا الآخرون، ويأتون للسلام عليك بعد هنية يا عزيزي فاروس.

(يخرجان)

المشهد السادس

في ضواحي فيثا

تدخل ايزابيل ومريان

ايزابيل : أنا أكره أن أتكلم عن جميع هذه الموارد، وأودّ أن أصدّقك الحقيقة. لكنك أنت مستولج بتوجيه الاتهام إليه. على كل حال، هو نصحني بأن أتصرّف بهذه الطريقة كي نخفي غايتنا بصورة أفضل.
مريان : دعيه يرشد خطواتك.

ايزابيل : من جهة ثانية يحذّرني، إذا غامرت، بأنه سيتكلم بحقيّ إلى خصمي، ولا أجد ذلك غريباً منه لأن طعم ردة فعله مرّ كالعقم.
مريان : أود أن يكون الأخ بطرس...
ايزابيل : اصمتي، ها هو قادم.

(يدخل الأخ بطرس)

الأخ بطرس : تعالي، لأنني وجدت لك مكاناً ملائماً تحت نظر الدوق بدون أن يراك هو. فقد دقّ النفير مرتين، وأكبر النبلاء وأبرز المواطنين قد شغلوا أمكنتهم. وبعد لحظة سيدخل الدوق. فيها بنا نذهب نحن أيضاً.

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

في ساحة واسعة أمام مدخل فينا

مرهان مبرقة وإيزابيل والأخ بطرس يقفون على بعد مسافة. يدخل من النواحي المتقابلة الدوق وفاريوس والوجهاء وأنجلو واسكالوس ولوسيو وضابط الشرطة والرسميون والمواطنون.

الدوق : (لأنجلو) يسعدني أن أراك، يا نسيبي العزيز (لأسكالوس) أنا مسرور جداً ببقائك، يا صديقي المخلص.

أنجلو واسكالوس : ابتهجنا كثيراً بعودتك، يا صاحب السعادة.

الدوق : ألف شكر لكما من أعماق قلبي. لقد افتقدت شخصكما وسمعت الكثير عن عدلك يا أنجلو، فطابت نفسي بأخبارك السارة وعزمت على التنويه بها أمام شعبنا الذي يقدر صفاتك ومساعدك كمقدمة لما أنوي أن أمنحك إياه من مكافآت.

أنجلو : هكذا تضاعف واجباتي نحوك، يا مولاي.

الدوق : ان مكانتك تزداد رفعة في نظري، وإن أخفيتها. في أعماق صدري أكون قد غمطتك ما تستحقه من إكرام، بينما أنت أهل لأن أشيد لك صرحاً لا تناله عوادي الزمان ولا ينهار ويضيع في طيات النسيان. هات يدك أصفحها

أمام أعين رعاياي حتى يعلم الجميع ان هذا الاعتبار العلني هو تعبير صادق عن تقديري مزايك الحميدة. تعال أنت أيضاً يا اسكالوس، وسمّ إلى جانبي من الجهة الأخرى، فإني أجد فيكما سنيين أمينين أتوكأ عليكما.

(يدخل الأخ بطرس ويتبعه ايزابيل)

الأخ بطرس : جاء دورك. ارفعي صوتك واركعي أمامي.
ايزابيل : ألتمس منك العدل، أيها الدوق المنصف. ألقي نظرة عليّ أنا الفتاة المظلومة والعذراء المغدورة. أيها الأمير العادل أتوسّل إليك أن لا تغض الطرف ولا تشيح بوجهك عني قبل أن تسمع شكواي المحقّة وتنصفني. ألتمس منك العدل، فالعدل، ثم العدل.

الدوق : اعرضي لي ظلامتك. لماذا أنتِ مغدورة، ومَن ظلمك ؟ تكلمي باختصار. ها هوذا السيد أنجلو الذي سينظر في مشكلتك، فاحكي له ما تشكين منه.

ايزابيل : أيها الدوق العادل. أنت تطلب مني أن ألتمس الخلاص من ابليس مصدر بلواي. أريد أن تسمعني أنت بنفسك أولاً، لأن ما سأرويّه سيجرّ عليّ، اما العقاب الصارم، إن لم تصدقني، أو انتزاع التعويض عمّا نابني من بؤس وشقاء. فأرجو منك أن تصغي إليّ وتنصفني فوراً.
أنجلو : أخشى أن يكون مطلبها غير محقّ يا مولاي. فقد التمست مني العفو عن شقيقتها الذي أنزلت به حكم العدالة.

ايزابيل : حكم العدالة أم ظلم الطغيان.
أنجلو : وستسرد قصّة مرّة اللهجة غريبة الموضوع.
ايزابيل : قصة غريبة، لكن حقيقية. أوليس غريباً أن يكون أنجلو مشبوهاً وقاتلاً وفاسقاً من أحقر الزناة والمجرمين الخدّاعين، ساليي عفة العذارى.
أوليس هذا غريباً بل في غاية الغرابة ؟
الدوق : هذا أمر عجيب لا يُصدّق.

ايزابيل : هو صحيح، كحضور أنجلو في هذا المكان أمامنا جميعاً، صحيح، بقدر ما هي كل هذه الانحرافات حقيقية. أجل هي صحيحة وإن كانت لا تُصدّق. لأنها الحقيقة الأكيدة التي لا تتغير ولا تبدّل.

الدوق : خنوها. مسكينة هذه الفتاة، فإن هزال عقلها يدعها تهذي هكذا. **إيزابيل :** أيها الأمير، أستحلفك بكل عزيز، إن كنت تؤمن بأن في الوجود ما يُسمّى عدالة، أن لا ترفض سماعي على اعتبار أنني مهووسة. لا تحكم بأن ما أقوله مستحيل حدوثه، بينما هو واقع مرير خطير يهزّ أعماق الضمير، وقد جرى على يد أنجلو. هكذا أمكن نائب الدوق، بما يزدان به من مظاهر وشهادات وألقاب وأوسمة، أن يكون محتالاً دنيئاً. صدّقني أيها الأمير الكريم، إن لم يكن ما أقوله حقيقياً، فلا حقيقة على وجه البسيطة، ولا سبيل إلى وصف أو إثبات ما يجري في الوجود.

الدوق : بشرفي، إن كنت مجنونة، كما أظن، فجنونك يدل على منطق سليم، وعلى تتابع وتماسك في الخواطر، لا يمكن أن يصدران عن مجنون. **إيزابيل :** أيها الدوق الحكيم، أسألك أن تبعد عنك هذه الفكرة الخاطئة، وأن لا تصمّ أذنيك عن سماع شكواي بحجة اني مهووسة. ألتمس من حكمتك أن تستخلص العبرة من الواقع الأليم، كما يبدّد النور حجب الظلام، وكما يهزم الصدق فلول الكذب وينكشف النفاق المتسترّ بظواهر الأمانة والوفاء.

الدوق : لا أنكر ان عدداً كبيراً من الناس، وإن كانوا شبه مجانيين، ليسوا بعيدين عن الحق. فماذا تريدان أن تقولني ؟

إيزابيل : أنا شقيقة المدعو كلوديو الذي حكم عليه أنجلو بالاعدام بسبب عمل فاسق يضعضع العقل، وقد استنجد بي أخي، وأنا في أحد الأديرة بواسطة المدعو لوسيو لأنقذ حياته.

لوسيو : (يقطعها) نعم أنا، يا صاحب السعادة، ذهبت لمقابلتها بناء على طلب كلوديو وسألتها على لسانه أن تحاول انتشاله من الموت، بتأثيرها اللطيف على السيد أنجلو والحصول منه على العفو عن أخيها المسكين. **إيزابيل :** أجل هو بناته، يا مولاي.

الدوق : (للوسيو) لم يطلب منك أحد أن تتكلم. **لوسيو :** كلا، يا مولاي الكريم. ولم يطلب أحد مني أن أسكت أيضاً. **الدوق :** أنا أسألك الآن ذلك. وأرجو أن لا تجيب عند اللزوم إلّا

عن نفسك، وأتضمن لك حينذاك أن لا تنوء تحت وقر المسؤولية.
لوسيو : أؤكد لك ذلك يا صاحب السيادة.
الدوق : اجتهد أن تصون نفسك. اسمعني جيداً ولا تنس ما أوصيك به.
إيزابيل : (تشير الى لوسيو) هذا الرجل روى جزءاً من قصتي.
لوسيو : وبصورة ملائمة.
الدوق : بصورة ملائمة، هذا ممكن جداً. لكنك تسيء عندما تتكلم قبل
أن يأتي دورك (لإيزابيل) تابعي قولك :
إيزابيل : (مشيرة الى أنجلو) ذهبت إلى مقابلة هذا الخميس نائب الدوق.
الدوق : هذا حديث يدلّ نوعاً ما على الجنون.
إيزابيل : سامحني على هذه التعوت التي أراها في محلّها.
الدوق : لماذا هي في محلّها؟ على كل حال، أكملّي.
إيزابيل : بالاختصار... لا داعي لأن أروي لك كيف رفض طلبي، وبماذا
أجبتّه. لأن كل هذا يقتضي شرحاً طويلاً. أصل سريعاً الى النهاية الفظيعة
التي لمجرد ذكرها يمزق قلبي ألماً وخجلاً. لم يشأ أن يطلق سراح أخي
إلاّ إذا سلّمته نفسي وضحيّت لارضاؤه بكرامتي وسأيرت شهواته الجامحة
وعاشرته معاشره غير لائقة. وبعد أخذ وردّ، تغلّبت عليّ شفقتي على أخي
فأخرست ضميري وشرفي وطاوعته. إنّما في اليوم التالي بعد ارتواء أهواؤه،
بدلاً عن العفو، أرسل الأمر بقطع رأس أخي المسكين للتنفيذ.
الدوق : (باستهزاء) قصتك معقولة.
إيزابيل : انها حقيقية أكثر مما هي معقولة.
الدوق : أقسم بشرفي، أيّها المهووسة المسكينّة، إمّا أن تكوني لا تدركين
ما تقولين، أو أن تكوني مدفوعة إلى تحقيري من قبل متأمر حاقد عليّ.
أولاً هذه الاتهامات ممكنة، إنّما لا يُعقل أن يرتكب أي أحقق مثل هذه
الذنوب بحق ذاته. فإذا زلّت به القدم هكذا حقاً، لفأس جرم أخيك بنفسه
وما حُكم عليه بالاعدام. هل حرّضك أحد على تمثيل هذه الرواية أمامي ؟
اعترفي بالحقيقة واذكري لي اسم من دفعك إلى رفع هذه الشكوى إليّ
هنا علناً في مثل هذه المناسبة الرسمية.

إيزابيل : هل هذا كل ما لديك لانصافي ؟ هنيئاً لك أيها الموظف الكبير.
امنحني الأمان وفي أقرب فرصة أكشف لك عن جريمتك البشعة المغلفة
بالرياء. حفظك الله من كل شر. سأبتعد عن هذا المكان إنما سأظل ضحية
كثيري من الأبرياء الذين لم يرحمهم حظهم العاثر.

الدوق : أنا أعرف أنك تنوين الانسحاب. أيها الشرطي خذ هذه المرأة إلى
السجن. معاذ الله أن أدع النسيمة تنتصر وتنهش شخصاً مقيماً عزيزاً عليّ.
لا بد من أن يكون في الأمر محنة ومكيدة. من كان مطلعاً على ما حدث لك ؟
إيزابيل : شخص أود أن يكون حاضراً ها هنا، هو الأخ لودوفيك.

الدوق : أنه راهب جليل بدون شك. من يعرف الأخ لودوفيك ؟
لوسيو : أنا أعرفه يا مولاي. أنه راهب دساس، لا أحبه. ولو كان علمانياً
لكنت هشمت عظامه بسبب الكلام البذيء الذي قاله بحق سيادتك في
أثناء غيابك.

الدوق : كلام بذيء بحقي ؟ مع أنه راهب رصين المظاهر. إنما تحريضه
هذه المرأة الحاضرة هنا على نائب الدوق، لا يمكنني أن أرضى به أبداً.
ابحثوا عن هذا الراهب وأحضروه إليّ.

لوسيو : مساء أمس بالذات، يا مولاي، رأيتهما معاً في السجن، هي وهذا
الراهب القليل الحياء، المغامر المستهتر.

الأخ بطرس : (يتقدم) حفظك الله يا مولاي الوقور. لقد كنتُ هنا وسمعتُ
ما يחדش الأذن. فهذه المرأة تتهم زوراً نائبك البريء من كل علاقة تلصقها
به هذه المجرمة التي تدّعي أنها ستنجب طفلاً من صلبه.

الدوق : أمر مستبعد. هل تعرف الأخ لودوفيك الذي تحدثت هي عنه ؟
الأخ بطرس : أعرف أنه راهب تقي وليس بائساً شقيماً ذا علاقات غرامية
ومشاكل دينية كما يصفه هذا الرجل (يشير إلى لوسيو). هو إنسان أجزم
بأنه لم يتكلم عن سعادتك بأي سوء كما يؤكد ذلك هو بالذات.

لوسيو : صدقتي، يا مولاي، انه تكلم عنك بشكل مريب مخجل.
الأخ بطرس : لنفرض أنه تكلم هكذا، سيأتي يوم يبرّر فيه نفسه. لكن
في الوقت الحاضر يا مولاي، هو مُصاب بحمّى غريبة. وهو الذي علم

بأن شكوى ستُقدّم بحق السيد أنجلو، فطلب مني أن آتي إلى هنا وأن أشهد باسمه هذه الشهادة المخزية التي يعرف هو جيداً إن كانت صادقة أو كاذبة، شهادة هو مستعد لاثباتها بقسم اليمين قانونياً حالما يطلب منه ذلك رسمياً، أولاً لتبرئة هذا السيد الكريم المتهم هكذا شخصياً وعلناً، وستستمع إلى التكذيب المباشر الصريح الذي سيفحم هذه المدّعية ويجعلها تندم على ما افترت به عليه جزافاً.

الدوق : أيها الأخ الوقور، أنا كلّّي آذان صاغية.

يجلب بعض الحراس ايزابيل. فتقدّم مريان وعلى وجهها برقع. ألا يجعلك كل هذا تبتسم يا مولاي أنجلو ؟ تبّاً لوقاحة هؤلاء المهووسين الأشياء. هاتوا بعض المقاعد. تعال، يا نسيبي أنجلو. أريد في هذه القضية حسب عادتي، أن أكون حيادياً. فكأن أنت القاضي في دعواك الشخصية (يشير الراهب إلى مريان) هل هذه هي الشاهدة، أيها الأخ. دعها تكشف لنا عن وجهها، وبعدئذ تتكلم.

مريان : العفو، يا مولاي. أنا لا أريد أن يرى أحد وجهي إلا إذا سمح لي زوجي بذلك.

الدوق : ماذا تقولين ؟ هل أنت متزوجة ؟

مريان : كلا، يا مولاي.

الدوق : هل أنت أنسة ؟

مريان : كلا، يا مولاي.

الدوق : إذا أنت أرملة ؟

مريان : لست أرملة، يا سيدي.

الدوق : مَنْ أنتِ إذاً، إن لم تكوني آنسة ولا زوجة ولا أرملة ؟

لوسيو : ربما هي مومس، يا مولاي. لأن عدداً كبيراً من بنات الهوى لسن أوانس ولا زوجات ولا أرامل.

الدوق : أسكتوا هذا الفتى المغرور. أود أن يكون له دعوى لكي يثرثر عن مشاكله.

لوسيو : أمرك مُطاع، يا مولاي.

مريان : أنا أعلن، يا سيدي، بأنني غير متزوجة. وأصرّح أيضاً بأنني لست آنسة. فقد عرفت زوجي. إنما زوجي لا يعلم بأنه يعرفني كزوجته.
لوسيو : كان السكر يعميه حين تزوّجك، وليس من تفسير آخر لما تدّعيه.
الدوق : كم أتمنّى أن تكون مثله لتتحننا بصمتك.
لوسيو : كما تشاء، يا مولاي.

الدوق : (يشير إلى مريان) أوليست هذه شاهدة لصالح السيد أنجلو ؟
مريان : أنا آتية فعلاً لأجل ذلك، يا مولاي. ان منّ تتهم أنجلو بالفسق تتهم زوجي بهذا الجرم. وأنا يا مولاي مستعدة لأن أشهد بأنه كان بين ذراعيّ، ولم يخل عليّ بتصريحاته الغرامية.
أنجلو : هي إذاً تتهم رجلاً غيّر.
مريان : لا ليس أحداً غيرك، على ما أعلم.
الدوق : أتقولين أنه زوجك.

مريان : بكل تأكيد، يا مولاي. زوجي هذا، هو أنجلو الذي يعتقد تماماً أنه لم يملكني والذي يوقن، على ما أرى، بأنه امتلك ايزابيل.
أنجلو : هذا خلط غريب. اكشفي إذاً عن محيّاك.
مريان : لأن زوجي سمح لي، ارفع الحجاب عن وجهي. (تكشف عن وجهها) هذا هو وجهي أيها الخبيث أنجلو. لقد أكّدت سابقاً أنك جدير بالثقة، وهذه هي اليد التي ارتبطت بيدك بموجب عقد مقدّس. وهذا هو الشخص الذي تعهّد بأن يمهر وثيقة زواج ايزابيل، والذي قام بدوري في عقر دارك.

الدوق : (لأنجلو) هل تعرف هذه المرأة ؟

لوسيو : بالجسم طبعاً، كما قالت هي.

الدوق : أمر غريب جداً.

لوسيو : هذا يكفي، يا مولاي.

أنجلو : يجب أن أقرّ، يا مولاي، بأنني أعرف هذه المرأة. فمنذ خمس سنوات ورد على بساط البحث بيني وبينها مشروع زواج لم يتحقّق لأسباب منها فقدان بائنة تتعدّى استرجاعها نطاق ارادتنا، ثم ان سمعتها كان يشوبها

قليل من خفة السلوك. ومنذ ذلك الحين أي منذ خمسة أعوام لم أكلّمها ولم أشاهدها ولم أسمع أخبارها. أقسم على ذلك بشرفي.
مريان : (ترتمي عند أقدام الدوق) أيها الأمير النبيل لا شك في أن الأنوار تأتينا من العلاء، والكلام ينبع من القلب. كما ان العقل يكشف عن الحقيقة، والحقيقة تنبثق من الفضيلة. فأنا خطيبة هذا الرجل، وبه يربطني وثاق الزواج المقدس. أجل يا مولاي الكريم، في مساء الأربعاء الماضي عرفني في بيته كزوجة. وإذا بحث بالحقيقة فلا تملّص من هذه الورطة الغامضة سليمة، وإلا فلا تبت هنا إلى الأبد جامدة كتمثال من الملح.

(تنهض)

أنجلو : لقد ابتسمت حتى الآن. ولكن، امنحني يا مولاي الكريم، ملء السلطة لأفرض العدل بعد أن كاد يفقد هيئته، وأنا أرى ان هؤلاء المهورسين أداة متأمر لئيم يدفعهم بدهاء إلى النيل مني. اسمح لي، يا مولاي، بأن ألقى الضوء على هذه الدسيسة.

الدوق : من كل قلبي أمتحك هذه السلطة، وأطلب منك أن تنزل بالجاني كل ما يستحقه من عقاب صارم. هناك راهب سخيف وامرأة جاحدة شاركا في هذه المؤامرة الحقيرة. أنظن ان قسمك اليمين عندما تستنجد بجميع القديسين يشكّل شهادة على عدم الاستحقاق وخيانة الأمانة الممهورة بخاتم التجربة. وأنت أيها السيد اسكالوس، إجلس بقرب نسيبي، وساعده بمشورتك على الكشف عن الدسائس الماكرة. هناك راهب آخر قد دفعهم وشجّعهم. فاذهبوا وابحثوا عنه وجيئوني به.

الأخ بطرس : كم أتمنى أن يكون هنا، يا مولاي، لأنه هو الذي في الحقيقة دفع هؤلاء النسوة إلى التشكّي هكذا. وضابط الشرطة يعرف مقرّ الراهب المذكور وهو قادر على إحضاره.

الدوق : (لضابط الشرطة) هيا استعجل وائتني به (يخرج الضابط) وأنت يا نسيبي النبيل، البعيد عن كل نقد وشبهة، أنت الذي يهتك أمر متابعة هذه القضية، ردّ هذا التهجم عليك بالعقاب المتوجّب. سأتركك بعض الوقت. لكن لا تتحرّك قبل أن تكمل تحقيقك في الاتهامات الواردة.

اسكالوس : سأقوم بذلك يا مولاي بكل دقة (يخرج الدوق) يا سيد لوسيو،
ألم تقل أنك تعرف الأخ لودوفيك وأنه رجل غير شريف.

لوسيو : يُقال إن الثوب لا يصنع الراهب لكن صاحبنا هذا رداؤه أشرف
منه. ثم إنه نسب كل قباحته إلى الدوق.

اسكالوس : أرجو منك أن تظل هنا حتى يأتي هذا الراهب فتدلي بشهادتك
عليه، وستجد أنه حقاً إنسان غريب الأطوار.

لوسيو : أؤكد لك إنه غير موجود في بيتنا.

اسكالوس : (لأحد الحراس) أرجع ايزابيل إلى هنا (لأنجلو) لأنني أريد
أن أكلمها. اسمح لي يا مولاي أن أطرح عليها بعض الأسئلة وسترى كيف
سأحصرها عن كتب.

لوسيو : (يشير إلى أنجلو) لا عن كتب، ولا عن بعد، إذا صدقنا ما تنقله
الينا من كلام.

اسكالوس : (للوسيو) ماذا تقول ؟

لوسيو : بذمتي، يا سيدي، أنا أخشى، إن أنت حصرتها عن كتب بنوع
خاص، أن تستسلم قبل الأوان، إن لم تستحي أمام الجمهور.

تدخل ايزابيل يحرسها بعض رجال الشرطة

ثم يدخل الدوق بثياب راهب مع ضابط الشرطة

اسكالوس : سأبشر التحقيق معها بنعومة.

لوسيو : هذه هي الوسيلة الفعالة، لأن النساء يصبحن خفيفات حول منتصف
الليل.

اسكالوس : (لايزابيل، وهو يشير إلى مريان) تقدّمي يا آنستي، هذه السيدة
تدحض كل أقوالك.

لوسيو : ها هوذا الغبي الذي حدثت لك عنه يا مولاي. وهو قادم مع ضابط
الشرطة.

اسكالوس : وقد وصل في الوقت المناسب. لا تخاطبه قبل أن أناذك.

لوسيو : سكوت.

اسكالوس : (للدوق) اقرب يا سيدي. هل أنت دفعت هؤلاء النساء إلى

حياكة هذه الدسيمة حول شخص السيد أنجلو ؟ لقد اعترفَ بذلك.
الدوق : هذا خطأ.

اسكالوس : كيف تعلمن ذلك ؟ هل تعرف أين أنت ؟
الدوق : احترام هيئة محكمتكم العليا واجب، كما يجوز إكرام الشيطان أحياناً وهو جالس على عرشه الملتهب. أين الدوق ؟ فهو الذي كان يريد الاستماع اليّ.

اسكالوس : أنا أمثل الدوق وأودّ أن أصغي اليك. فاجتهد أن تتكلم بصدق وأمانة.

الدوق : بشجاعة على الأقل. يا لك من مخلوق حقير. هل تأتي إلى هنا لتدافع عن الخروف أم الذئب ؟ الوداع. لا تنسَ التعويض. لقد ذهب الدوق وضاعت حقوقك. لم ينصف الدوق في إحالة طلبك المحقّق، وفي ربط دعواك بقرار هذا المناقق الدجّال الذي جئت تشكوه إلينا.
لوسيو : هذا هو المحتال الذي كلّمتك عنه.

اسكالوس : مَنْ هو هذا الراهب غير المحترم، ناكِر الجميل ؟ ألا يكفيك أن تكون قد أفسحت لهؤلاء النساء سبل الفسق والدعارة حتى تنهم هذا الرجل الفاضل ؟ هل تتجاسر أيضاً على أن تهمس في أذنه رأيك السخيف مع اسم هذا اللص الدجّال، ثم أن تهاجم الدوق نفسه وأن تتهمه بالظلم والاستبداد ؟ جيئوني به. ارفعوا هذا الرجل إلى المنصة كي أحطّم عظامه أنا مطلع على تفاصيل هذه المؤامرة. كيف تدّعي ان الدوق غير عادل.

الدوق : لا تحتدّ هكذا، يا صاح، فالدوق لا يقوى على مسّ شعرة من رأسي ولا يجسر على تعذيب أحد من ذويه. أنا لست من رعاياه ولا من مقاطعته. وعلاقتي بهذه المنطقة أتاحت لي العيش في فينا كمرقب يقظ. ولقد رأيت الفساد متفشياً ومعشعشاً حتى في أعلى المراتب. هناك قوانين لكل الذنوب إنما الجرائم التي يشملها التفاوضي هي أكثر عدداً من أقسى القوانين التي تحمي في أرقى المجالس أسخف الأفكار، وهي لا تستحق سوى السخرية والازدراء.

اسكالوس : أرى أنه سلط لسانه النّمام حتى على الحكم والحكام ؟ خذوه إلى السجن.

أنجلو : أي مأخذ لك عليه أيها السيد لوسيو ؟ هل هو الرجل الذي أشرت إليه ؟

لوسيو : أجل يا مولاي هو بالذات. تعال إلى هنا، أيها الرجل الأصلع. هل عرفتني ؟

الدوق : نعم عرفتك من نبرة صوتك، وقد شاهدتك في السجن أثناء غياب الدوق.

لوسيو : حقاً، ولا بدّ من أن تتذكّر ما قلته عن الدوق.

الدوق : بدون شك، يا سيدي.

لوسيو : حسناً، وهل تصرّ على قولك ان الدوق ماجن ومهووس وجبان، كما ادّعت ؟

الدوق : حتماً، أنت تستبدل الأدوار أمامي، إذ تنسب أقوالك اليّ، لأنك أنت الذي أغدقت عليه كل هذه النعوت وحقرته أكثر ما أمكنك أيضاً. لوسيو : تيّاً لك من منافق محتال. أولم أشدّ لك أذنك لأنك ألصقت به هذه الصفات ؟

الدوق : أنا أحتجّ، لأنني أحب الدوق كنفسي.

أنجلو : هل تنوي اعتبار القضية منتهية كما فعل الآن هذا الشقي بعد كل ما تلفّظ به من الاهانات البذيئة ؟

اسكالوس : لا داعي للمناقشة حول شخصي هكذا. اطرحوه في السجن. أين ضابط الشرطة ؟ خذه من أمامي وشدّد عليه الحراسة. لا أريد أن أسمع ذكره بعد الآن. خذوا أيضاً هذا الغني مع شركائه في الجرم.

(يضع الضابط يده على الدوق)

الدوق : إليك عني، يا سيّد، إليك عني.

أنجلو : ما هذا ؟ هل تقاوم ؟ كبّلوه حالاً بالحديد. ساعدهم يا لوسيو. لوسيو : هيا، يا سيد، هيا. كيف تصرف هكذا أيها الأصلع المحتال، أيها الشقي الكذاب. لا بدّ من تقييدك بالسلاسل وزجّك في غياهب السجن.

أرني وجهك المشؤوم أيها المفترى المناقض. وليقبض عليك الطاعون. أرى ان لك أنياب ذئب جائع، يا وجه النحس، ولا بد من التخلص من نجاستك. سترى ما سيؤول اليه مصيرك أيها الشقي.

(يتزعج عنه قبة الراهب فيظهر الدوق على حقيقته).

الدوق : أنت أول دجال تصرفت كأنك دوق. أولاً يا ضابط الشرطة أمن لي سلامة هؤلاء الأشخاص النبلاء الثلاثة.

(يشير الى الأخ بطرس وإلى ايزابيل ومريان. للوسيو الذي يحاول الفرار).

لا تهرب يا هذا، إذ بينك وبين الراهب نقاش طويل وحساب عسير. أوقفوه حالاً.

لوسيو : هذا قد يؤدي بي إلى ما هو أفظع من المشنقة.

الدوق : (لاسكالوس) : أنا أسامحك عما قلته، فاجلس. (يشير الى أنجلو) سأستعير محله (لأنجلو) عن أذنك أيها السيد (يجلس مكان أنجلو) هل لديك بعد الآن كلام أو حيلة أو وشاية لم تلجأ إليها ؟ في هذه الحالة، أبرزها قبل أن تسمع ما سأعرضه، ويقوت الأوان.

أنجلو : آه يا مولاي القادر، سأضيف جرماً جديداً إلى جرائمى، اذا ظلمت أدعي البراءة، حين ألاحظ ان سعادتك مثل عين الهية قد راقبت بدقة وسهر كل أفعالي وأقوالي. لذلك لا تؤخر حكمك علي يا مولاي. أتوسل اليك أن تعجل في اصداره لأنني أعترف بذنوبي. فالحكم علي فوراً والموت العاجل هو كل ما أتمسه منك كنعمة تريحني من عذاب ضميري.

الدوق : اقتربي يا مريان (لأنجلو) هل كنت في يوم من الأيام خطيب هذه المرأة ؟

أنجلو : نعم، يا مولاي.

الدوق : انسحب معها وتزوجها بدون إبطاء (للأخ بطرس) أرجو منك يا أبت أن تعقد قرانهما عاجلاً وبعد أن تنتهي من مراسم الاحتفال، أن ترجعوا إلى هنا. رافقهم أيها الضابط.

(يخرج أنجلو ومريان والأخ بطرس وضابط الشرطة)

اسكالوس : أنا متعجب، يا مولاي، من سفالته أكثر من اقتضاح أمره الآن.

الدوق : اقتربي يا ايزابيل. ان من لجأت اليه في شدتك أضحى الآن أميرك، والرجل الذي كان غيوراً على مصلحتك لم تغيّر الثياب عواطفه نحوك. سأظل أدافع عنك وأحميك ما دمت حياً.

ايزابيل : سامحني، يا مولاي، لأنني أسأت الأمانة بحق سعادتك عندما كنت متنكراً.

الدوق : لقد سامحتك يا ايزابيل. والآن سامحني أنت أيضاً، يا ابنتي، من أساء إليك. أنا أعلم أن موت أخيك يمزق قلبك، ولا بدّ من أن تتساءلي لماذا بقيت متنكراً أنا الذي سعيّت إلى إنقاذ حياته ؟ ولماذا لم أظهر بغتة حقيقة شخصيتي بدلاً من أن أعرضه هكذا للهلاك ؟ يا بِنْتِي الكريمة، ان الإسراع في إعدامه الذي كنت أظنه متأخراً قد شلّ تنفيذ مشروعي. لكن شقيقك الآن في أمان. والحياة التي لم يعد الموت يهددها هي أحلى وأفضل من التي قضاها مؤخراً في الخوف والقلق. فابتهجي لأن أخاك ينعم الآن بالأمان والسلام.

ايزابيل : ألف شكر لك يا مولاي.

(يدخل أنجلو، ومريان والأخ بطرس وضابط الشرطة)

الدوق : أمّا هذا العريس الجديد الذي يقترب منا والذي أساء، بانسياقه وراء أهوائه الذميمة إلى شرفك رغم تمسّكك به، فعليك أن تغفري له ذنوبه إكراماً لمريان. وبما أنه حكم على أخيك، هو المجرم مرتين لأنه عبث بوظيفته وواجبه، وحنث بالعهد الذي قطعه على نفسه بأن ينقذ شقيقك، فإن عدل القانون ذاته يصرخ بالبحاح على لساني الجاني نفسه : يجب إبدال كلوديو بأنجلو لينال هذا الأخير ما دبره ظلاماً للمحكوم عليه، أي موتاً بموت، ولتقابل العجلة بعجلة مثلها، والمهلة بمهلة نظيرها، والعدالة بعدالة ذاتها، فيكون قد تساوى كيل بكيل يوازيه. إذأ يا أنجلو، بما أن جريمتك ظهرت بعدما أخفيها، ولن يفيدك الإنكار بعد الآن، لذا أحكم عليك بقطع رأسك على جذع الشجرة الذي أعدته لقتل كلوديو، وليتمّ التنفيذ فوراً. خذوه.

مریان : يا مولاي الكريم، ألتمس منك أن لا تجعل من زوجي مهزلة.

الدوق : زوجك هو الذي جعل نفسه مهزلة. فلصيانة كرامتك اعتبرت

زواجك ضرورياً، وإلا تكون معرفته إياك جريمة تُلطّخ سمعتك وتقضي على مستقبل هنالك. أمّا أرزاقه، وإن يكن من حقّي أن أصادرها، فأنا أتنازل لك عنها جميعها كميراث لكي تحسلي بواسطتها على زوج أفضل منه. مريان : مولاي العزيز، أنا لا أريد غيره ولا أفضل عليه رجلاً آخر. الدوق : لا تلحّي في التماس العفو عنه، فإن قراري مُبرم كي أجعله عبرة لمن يُعتبر.

مريان : (تركع) : مولاي العطوف...

الدوق : لا تضيعي جهودك. أنزلوا عقوبة الإعدام بهذا الخسيس (اللوسيو) والآن جاء دورك، يا حقيّر.

مريان : مولاي الكريم، ويا عزيزتي ايزابيل، إصفحا عنه. ها أنا أجشو على ركبتيّ متوسّلة، وسأكون في خدمتكم ما حييت وأظل لكم جميعاً شاكراً فضلكم.

الدوق : التماسك مخالف لكل منطق، فإن تساهلت وسامحت المجرم من قبيل الشفقة فإن شبح أحبك، من مثواه الأخير، سينتقم منه ويقتله من هذه الأرض بعنف لم يسبق له مثيل.

مريان : يا ايزابيل، يا عزيزتي ايزابيل، اركعي بجانبي، وارفعي يديك إلى العلاء بدون أن تنبسي بينت شفة واصغي إلى توسّلي : يُقال ان أفضل الرجال مجبولون بالعيوب، وفي أغلب الأحيان، بعد أن يعترهم بعض الضعف ينصرفون إلى إصلاح ذواتهم والتكفير عن زلّاتهم. وأعتقد ان هذا هو حال زوجي أيضاً. فيا ايزابيل، أرجو منك أن تساعدني وتركعي إلى جانبي، ومعني تلتصقي العفو عنه.

الدوق : يجب أن يموت، كما حُكم بالموت على كلوديو. ايزابيل : (تركع) مولاي الكريم، ما أروع العفو عند المقدرة، ألتمس منك أن تصفح عن المحكوم، ما دام أخي لا يزال على قيد الحياة. أعتقد أن الأمانة ظلت من صفاته في الحكم إلى أن شاهدني. لذلك أرجو أن لا تدعه يموت. فإن شقيقي قد نال نصيبه من العقاب لأنه ارتكب جرماً استحقّ عليه حكم الإعدام. أمّا من ناحية أنجلو فإن الإجراء لم يتبع سوء نيّته،

لذلك لا بدّ من دفن هذه الكبوة في طيّات النسيان نظير الرغبة الجامحة التي انهارت أثناء مسيرتها الى السيطرة. فالأفكار لا تخضع للمحاكمة، والنّيّات ليست سوى أفكار.

مريان : كل ذلك لم يتعدّ، طور الأهواء، يا مولاي.
الدوق : رجاءك غير مقبول. لذا أسألك أن تكفّي عن الإلحاح. الآن أتذكّر مخالفة أخرى أيها الضابط، كيف جرى قطع رأس كلوديو في ساعة غير مألوفة ؟

ضابط الشرطة : بناءً على أمر مستعجل.

الدوق : هل استلمت مذكرة خاصة لتنفيذ الحكم ؟

ضابط الشرطة : لا، يا مولاي الكريم، بل طلباً شفهيّاً بلسان رسول خاص.
الدوق : لذلك أقيلك من وظيفتك. سلّمني مفاتيحك.

ضابط الشرطة : سامحني يا مولاي النبيل. أعترف بأن ذلك كان خطأ مني، ولم أكن على ثقة تامة من صواب تصرفي. مع ذلك ندمت بعد التفكير ملياً. والبرهان هو وجود رجل في السجن كان عليه أن يموت بموجب الأمر الخاص وتركته يعيش الى الآن.

الدوق : من هو ؟

ضابط الشرطة : اسمه برنردان.

الدوق : لماذا لم تتمهّل هكذا في إعدام كلوديو ؟ هيا اذهب واحضر لي هذا السجن لأراه.

(يخرج ضابط الشرطة)

اسكالوس : (لأنجلو) آسف أن يكون رجل مثلك، يا أنجلو، مستنيراً بالعلم ومتنبّصراً في العواقب قد وقع في مثل هذا الانحراف وانجرف وراء أهوائه منساقاً أمام ظلم كهذا في إصدار أحكامه الجائرة.

أنجلو : أنا نادم على ارتكابي هذه الأخطاء الجسيمة، وقد انسحق قلبي لأنني جلبت على نفسي النقمة بدل النعمة. ومع أنني أستحق العقاب، أطلب منك الصفح والغفران.

يدخل ضابط الشرطة ومعه برنردان، ثم كلوديو وقد لفّ رأسه بمططف، ثم تدخل جولييت.

الدوق : مَنْ منهما برنردان ؟

ضابط الشرطة : هذا يا مولاي.

الدوق : هناك راهب قد تكلم عن هذا الرجل يا صديقي. يُقال ان ذهناك متحجر، وانك لا تفهم شيئاً خارجاً عن أمور هذه الدنيا، وانك مستمر في حياتك على هذا النمط. أنت في الآخرة لا محالة هالك. أما قصاصك على هذه الأرض فأنا أعفيك منه بكامله. فاستفد إذاً من هذه الفرصة لكي تهيء لنفسك مستقبلاً أفضل. زوّده بالنصح يا أبت، فأنا أتركه بين يديك. والآن مَنْ هو هذا الفتى الملفوف الرأس ؟

ضابط الشرطة : هذا سجين آخر أنقذته وكان عليه أيضاً أن يموت مقطوع الرأس في نفس الوقت مع كلوديو. وهو يشبه هذا الأخير حتى أنه يبدو لكأنه هو ذاته.

(يكشف وجه كلوديو)

الدوق (لايزابيل) : هذا شقيقك على ما يبدو، فإكراماً لمودتك أعفو عنه. وإكراماً لي أيتها الحسنة، اسمحي لي بيدك، وقولي لي انك ترضين بأن تكوني لي زوجة، فيصبح هذا أخي أيضاً (يشير إلى كلوديو) وكل ذلك يتسنى تفسيره في الوقت المناسب. أما الآن فالسيد أنجلو يعلم أنه قد نجا، ويخيل إليّ اني أرى بريقاً في عينيه. ها أنت، يا أنجلو، تحصد خيراً من الشر الذي زرعته، فعليك أن تحب زوجتك، لأنها لا تقلّ عنك مكانة. وأنا أشعر في نفسي استعداداً لمسامحتك. مع ذلك يوجد شخص هنا لا يستحق العفو. (للوسيو) أنت يا هذا، تظنني رجلاً فاسداً جباناً فاسقاً حماراً غيباً، لكني لا أدري لماذا تتكرّم عليّ بكل هذه الألقاب البليغة.

لوسيو : يا مولاي، كنت أمزح كما هو الزي الرائع في هذه الأيام. فإن شئت أن تحاسبني على كلامي هذا، فأنت قادر أيضاً على مسامحتي. إنما أفضل أن تأمر على الأقل بجلدي لأنني أستحقه.

الدوق : أجل متجلد بالسوط أولاً، ثم يُعلّق في عنقك حبل المشنقة. يا ضابط الشرطة أذع في كل أنحاء المدينة أن هناك امرأة ظلمها هذا المستهتر، لأنني سمعته يقسم بأنه جعل إحدى الفتيات أمأ، فما عليها إلا أن تتقدم

لكي يتزوجها، وحالما ينتهي العرس يُجلد ثم يُشنق.
لوسيو : أستحلفك يا صاحب السعادة، أن لا تزوّجني عاهرة. لقد قلت
سيادتك الآن أنك ستجعل منها زوجتي، فأرجو منك يا مولاي أن لا تكافني
بأن تجعل مني زوجاً مخدوعاً.
الدوق : أقسم لك بأنك ستزوجه. وهذا هو شرطي لأعفو عن طيشك
ونميمتك وعن الاهانات التي وجهتها لي. خذوه الى السجن ونفذوا مشيئتي
فوراً.

لوسيو : تريدني أن أتزوج غيبة يا مولاي، فكأنك تحكم علي بالجلد وبالموت
شنقاً كل يوم من أيام حياتي.

الدوق : هذا جزاء النميمة وتحقير الأمير (يشير الى جوليت وكلوديو)
فكر يا كلوديو بأن تعوّض علي من سببت لها الأذى. ابتهجي يا مريان،
وأنت يا أنجلو، أخلص لها الحب، فأنا أعرفها جيداً وأقدر فضائلها. شكراً
لك يا صديقي اسكالوس على طيبة قلبك. فالمستقبل يخبئ لك مكافأة ثمينة
تستحقها. وشكراً لك يا ضابط الشرطة على غيرتك وعلى كتمانك سري.
سأرقيك إلى منصب أعلى. سامحه يا أنجلو على تقديمه لك رأس راكوزان
بدلاً من رأس كلوديو، فهذه غلطة تستحق الصفح. وأنت يا ايزابيل العزيزة
لديّ عرض أقدمه لك لتحقيق سعادتك، اللهم اذا أصغيت إلي ورضيت به
ويختصر بأن كل ما هو لي سيكون لك أيضاً، وكل ما هو لك سيصبح
ملكي الخاص. وعلى هذا الأساس أرجو أن تسيروا بنا إلى قصري حيث
أكشف لكم عما بقي من المشاكل التي أرى من الضروري أن أطلعكم عليها.
(يخرجون)

﴿ نَمَتْ ﴾

مَهْزِلَةُ الْأَخْطَاءِ

تعريب

أ.ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

صولينوس	: دوق أفسس.
أجايون	: تاجر من سرقوسة.
{	توأمان ابنا أجايون وإميلينا.
{	توأمان في خدمة الشقيقين انطيفولوس.
{	دروميون أفسس
بلطزار	: تاجر.
انجلو	: صائغ.
تاجر	: صديق انطيفولوس سرقوسة.
تاجر آخر	: دائن انجلو.
بنش	: مدرّس ودكتور محضر ارواح.
إميليا	: زوجة أجايون، كاهنة أفسس.
ادريانا	: زوجة انطيفولوس أفسس.
لوسيانا	: أختها.
لوسي	: خادمتها.
غانية	

سجّانون، ضباط أمن، رجال حاشية.
الأحداث تجري في مدينة أفسس.

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر دوق أفسس

(يدخل دوق أفسس وحاشيته، ثم ايجايون وسجان وحرس)

ايجايون : تابع انجاز تحطيمي، يا صولينوس، وبالحكم عليّ بالاعدام خلّصني من عذابي، واقطع كل ما يصلني بالحياة.

الدوق : كَفَّ عن هذه المرافعة، يا تاجر سرقوسه. انا لا أميل الى دروس شرائعنا. فما يشيره اميركم الشرس من الحقد والشقاق على التجار مهروا بدمائهم هذه القرارات الجائرة، يزيل كل شفقة عن نظرانا المتوقعة. فمئذ قيام الأحداث الدامية بيننا وبين هؤلاء الثوار في الجلسات العلنية بسببنا وبسبب اهالي سرقوسه، قد منع التعاطي فيما بين مدينتينا المتعاديّتين. فكل رجل مولود في أفسس يظهر في طرقات سرقوسه وأسواقها، وكل رجل من هذه المدينة الاخيرة يتجاوز خليج أفسس يكون نصيبه الموت الزؤام، ومصادرة أرزاقه لصالح الدوق، الا اذا قدّم الف دينار فدية لاعفائه من العقاب. وبما ان جميع ما تمتلكه، مهما غلا ثمنه لا يساوي مئة دينار، فبالتالي، انت بموجب هذا القانون محكوم عليك بالاعدام لا محالة.

ايجايون : في هذه الحالة، عند صدور قرارك، ستكون تعزيتي في زوال آلامي مع غياب الشمس.

الدوق : هيا ايها السرقوسي، قل لي بايجاز، لماذا غادرت مسقط رأسك، وما الغاية من مجيئك الى أفسس ؟

اجايون : لم يكن بالإمكان ان تفرض عليّ مهمة اصعب من البوح بمصائبي التي لا توصف. مع ذلك، لكي يدري العالم بأنني اموت عقابا على جرمي الوحيد في استجابتي نداء الواجب، سأصرح بما يسمح لي به عذابي من القول : انا من مواليد سرقوسة، وقد اقترنت بـزوجة بارّة أسعدتني كما أسعدتها بدون أي خلاف، وابتهجنا في عيشنا، ونمت ثروتي بفضل أسفار موفقة قمت بها بتواتر الى مدينة اييدفونوم. واذا بمساعدتي يقضي نحبه، ويضطرني السهر على اعمالي لتلا تبقى سائبة، الى حرمان نفسي من عناية زوجتي. وكنت غائبا منذ ستة اشهر عندما حرمت أمرها على أثر ما انتابها مما فرض على النساء من أوجاع المخاض المستحبة، فصممت على اللحاق بي، وما عثمت ان وصلت اليّ سالمة معافاة. ولم يمض بعض الوقت حتى اسعدها الحظ وأصبحت أم توأمين جميلين متشابهين بصورة غريبة الى حد عدم امكان تمييز التوأم عن اخيه الا بصعوبة، ومن اسم كل منهما. في ذات الوقت، وفي عين المكان ولدت امرأة مسكينة توأمين وسيمين ايضا متشابهين للغاية. ولما كان أبواهما في حالة بؤس وفاقه يرثى لها اشتريت منه هذين التوأمين وربيتهما ليخدما ولديّ. أما زوجتي المعتزة بابنيها فكانت تلحّ عليّ كل يوم للرجوع الى سرقوسة. فقبلت اخيرا على مضض، ويا للأسف. فركبنا سفينة مقلعة من اييدفونوم، وما كدنا نبحر حتى هاجت الامواج على بعد فرسخ من المرفأ، وقد عهدناها دوما هادئة طيعة تماشي الرياح التي لا تنذر عادة بأي شر. لكن أملنا برحلة مريحة ما لبث أن خاب، والنور الضئيل الذي كان يضيء من حولنا ما فتىء ان تحول الى شبه ظلام، ضاقت به صدورنا، وهددتنا الانواء بموت محتم عاجل. من جهتي، كنت اقبلته راضيا لولا نحيب قريتي الهلعة مما روعها سلفا من ويل مداهم، ومن صراخ الاولاد وعويلهم، اذ سيطر عليهم فزع غريزي جعلني أحاول عبثا تجنب حكم القدر الغاشم الذي يتهدد حياتنا جميعا. وإليك ما تيسر لي أن أفعله. لقد لجأ الملاحون الى قوارب النجاة، وتركونا في السفينة المشرفة على الغرق. وما كان من زوجتي المنشغلة بأحد

التوأمين، الا ان علقته بالصاري الاضافي الذي يحتفظ به البحارة على سبيل الاحتياط، ومعه ربطت احد التوأمين الآخرين. بينما رحلت انا أهتم بالاثنتين الباقيتين. وبعد ان رتبنا الاولاد على هذا النمط، عمدنا انا وقريتي، بدون ان تفارق أعيننا من تفتضيهن المراقبة، الى ربط ذواتنا في طرفي الصاري المذكور، وظللنا هكذا منساقين تحت رحمة الامواج التي تتقاذفنا باتجاه كورنثيا. اخيرا أطلت الشمس من وراء الغيوم وأرسلت أشعتها وبددت الضباب الذي كان يكتنفنا من كل جانب. واذا بالبحر، بفعل النور يهدأ، وتنقشع الرؤية، فيلمحنا عن بعد مركبان قادمان نحونا، الاول من كورنثيا، والثاني من أيودور. ولكن قبل وصولهما الينا، اسمحوا لي بأن لا أعلمكم بأكثر من هذا. عليكم مما سبق ان تحزروا ما جرى بعد ذلك.

الدوق : لا، ايها الشيخ، أكمل ولا تتوقف هكذا، فيتسنى لك ان تحظى بعوننا، ان لم تتل عفونا.

اجايون : لو مُنّت الآلهة برحمتها، لما وصفتها بالتصلب. كانت السفينتان لا تزالان بعيدتين نحو عشر فراسخ حينما اعترضتنا صخرة هائلة. وإذ قذفتنا الرياح اليها بعنف، تحطمت سفينتنا عند منتصفها وانشطرت الى قسمين جعلانا انا وزوجتي نفترق قسرا كل واحد في جهة، وترك لكل منا تعزية وحسرة معا. لان نصف الصاري الذي جرّها، ويا لها من مسكينة، كان على ما يظهر يحمل الثقل الاخف والالم الأوفر، فانجرف بسرعة اكبر. واذا بالثلاثة قد تلقاهم امام أعيننا صيادون من كورنثيا، على ما أظن. اخيرا التقطتنا سفينة اخرى، وعندما ابصر البحارة من أسعفهم الحظ بالنجاة من الغرق، بادروا الى الاهتمام بضيوفهم، وودّوا ان يحتفظوا ايضا بمن انقذهم الصيادون، لكن مركبهم لم يكن متين الاشرعة فاكتفوا بمن معهم وتوجهوا الى بلادهم. وهكذا أدركت، يا صاحب السيادة، كيف حرمت من سعادتني وهنائي، ولم يتشلني بؤسي من الهلاك الا لأقص عليك ما حل بي من بلاء وشقاء.

الدوق : باسم الذين تبكيهم، زدني تفصيلا عن كل ما لقيته، انت ومن فقدتهم، حتى يومنا هذا.

اجايون : ان ولدي الثاني الذي اصبح وحيدا بعد هذا الحادث، حينما بلغ

ربيعه الثامن عشر، شاء ان يتقصّى أخبار اخيه، وألح عليّ كي أسمح له ولخادمه الذي فقد نظيره اخا لم يعد يذكر اسمه، كي يرافقه في البحث. وفي غمرة رجائي بأن ارى ثانية ولدي المفقود، غامرت بحياة الذي خصصته بكل محبتي. وأثناء الصيف خلال خمس سنوات سافرت حتى أقاصي اليونان متنقلا حتى في متاهات آسيا الى ان القيت رحلي في عودتي على شواطئ أفسس وقد خاب أمني في العثور على ولديّ بعد ان جبت تقريبا جميع أصقاع المسكونة. هنا تنتهي قصتي، وأنا مستعد لتجرع كأس المنون راضيا في هذه الساعة لو أدت أسفاري الى التيقن من وجودهما على قيد الحياة.

الدوق : ما أتعسك يا اجايون، اذ رماك الدهر بصروفه القاسية. صدقتني ان قلت لك اني كنت حاولت المستحيل في هذا السبيل، لو لم يكن الأمر مخالفا لشرائعنا، ومذريا لتاجي ولقسمي وللهيبة التي لا يجوز للأمرء ان يمتنعوها عندما يمنّ لهم ذلك على بال. ولكن بالرغم من كونك محكوما بالاعدام، وكون نقض هذا الحكم يمسّ كرامتي، فأنا عازم على مساعدتك بقدر المستطاع. وبالتالي، أمتحك العفو، ايها التاجر، وأتعهد بمد يد العون اليك. فاتصل بجميع اصدقائك في أفسس، إلتمس او اقترض أي مبلغ تحتاج اليه فحيا، وإلا كان نصيبك الموت. احتفظ به ايها السجّان واحرسه واسهر عليه. السجّان : أمرك مطاع، يا مولاي.

اجايون : اني أنسحب مكسور الخاطر، محطم الامل غير ان نزاعي الاخير يمهلني ولا يهملني.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في الساحة العامة

(يدخل انطيفولوس سرقوسه ودروميون سرقوسه)

التاجر (لأنطيفولوس) : عليك ان تعلن انك من ايديمنوم، اذا شئت ان لا تصادر أرزاقك حالا. فاليوم بالذات ألقي القبض على تاجر من سرقوسه لانه نزل من السفينة الى شواطئنا المحظورة عليه. وبما انه لا يملك ما يقتدي به حياته حسب قوانين مدينتنا، تحتم عليه ان يموت قبل ان تغيب الشمس قريبا وراء أفق المغرب. هاك المال الذي احتفظت لك به كوديعة.

انطيفولوس سرقوسه (لدروميون) : خذ هذا الى نزل السنطور حيث نمكث، والبث هناك حتى أوافيك يا دروميون. اذ لا يزال امامنا ساعة من الزمن ليحين وقت الغداء. في هذه الاثناء سأطلع على عادات اهل المدينة وأرى التجار وأنفحص الأبنية، ثم اعود لأنام لان السفر الطويل قد أرهقني، هيا اذهب. دروميون سرقوسه (يأخذ كيس النقود) : اغلب الناس يصدقون كلامك ويمضون فعلا، وهم على احسن حال.

(يخرج دروميون سرقوسه)

انطيفولوس سرقوسه : عندما تنال مني الهواجس والاحزان، يا سيدي، يسري عني هذا اللص الشريف بنكاته. هيا، ألا تحب ان تتجول قليلا بمعيتي في أرجاء المدينة، ثم ترافقني لتتناول طعام الغداء معا ؟
التاجر : لقد دعاني، يا سيدي، بعض التجار الذين آمل ان أعقد معهم صفقات رابحة جدا، فألتبس منك ان تعذرني. وأنا حول الساعة الخامسة على أبعد احتمال، أوافيك الى السوق اذا شئت، ثم ألأزمك في السهرة حتى يحين وقت النوم. لان اعمالي تشغلني عنك في هذه الآونة.

انطيفولوس مرقومه : الوداع. أنوي ان أتجول في المدينة وأتعرّف الى معالمها.

التاجر : أتمنى لك حظا سعيدا، يا سيدي.

(يخرج)

انطيفولوس مرقومه : من يتمنى لي الحظ السعيد يرغب في ما لا يتسنى لي ان ألاقيه. انا في هذا العالم كقطرة الماء التي تبحث عن قطرة ماء اخرى ضائعة مثلها في المحيط. وهي تدع نفسها تسقط لتلاقي مثلتها، لكنها قلقة وغير منظورة، تغوص في أعماق اللجة. هكذا انا شئت ان ألاقي أمأ وأخأ تعيشين، أجدّ في البحث عنهما.

(يدخل دروميون أفسس)

هذا برنامج حياتي الحقيقي. فأية صدقة جعلتك تعود هكذا باكرا. دروميون أفسس : أنا عدت باكرا ؟ بل قل اني متأخر. الخبز قد احترق واللحم سقط عن المشواة. الساعة دقت الاثنتي عشرة وسيدتي لطمتني على خدي لطمة قوية. ولقد اغتازت هكذا لان طعام الغداء قد برد. والغداء برد لانك لم تعد. وأنت لم تعد لأنك فقدت شهيتك للأكل. وشهيتك مفقودة لانك تناولت وجبة افطارك متأخرا. غير اننا نحن الذين نعرف بالاختبار ما معنى الصوم والصلاة، نكفر اليوم عما سببته لنا من ذنوب.

انطيفولوس مرقومه : تمالك نفسك، يا صاح... ارجوك ان تقول لي اين تركت النقود التي اعطيتك اياها ؟

دروميون أفسس : تعني الدراهم الستة التي اخذتها يوم الاربعاء الماضي لأدفع اجرة تصليح سرج حصان سيدتي. لقد دفعتها للسراج يا سيدي ولم أحتفظ بها.

انطيفولوس مرقومه : لا قبل لي للضحك في هذه اللحظة. قل لي بدون مزاح اين النقود ؟ نحن هنا غرباء، فكيف تجاسرت على تبديد مبلغ هام كهذا ؟

دروميون أفسس : رحماك يا سيدي. يمكنك ان تمزح في اوقات فراغك. انا آت اليك على عجل من قبل سيدتي، واذا عدت بدون ان أصطحبك،

ستعاقبني عقابا صارما بسببك. على ما يظهر، ان معدتك نظير معدتي تسير بانتظام كالساعة وتنادينا الى البيت بدون حاجة الى رسول لاستدعائنا.
انطيفولوس سرقوسه : هيا يا دروميون، مزاجك الآن في غير محله. الأولى بك ان ترجعه الى وقت يسود فيه المرح اكثر من هذه الساعة. ولكن، اين الذهب الذي أوصيتك بالحرص عليه ؟

دروميون أفسس : هل اعطيتني اياه حقا ؟ لكنك لم تسلمني ذهابا.
انطيفولوس سرقوسه : ما هذا الكلام ايها البارد ؟ دعك من هذه الادعاءات الصبائية. واصدقني القول. ماذا فعلت بما أوكلت امره اليك ؟
دروميون أفسس : لم أكلف الا بمسألة واحدة، هي الذهاب الى السوق للبحث عنك ثم اصطحابك للغداء في بيتك في محلة الفينيق حيث تنتظرك سيدتي وأختها.

انطيفولوس سرقوسه : هيا أجبني، في أي مكان أمين اودعت مالي ؟ والله لأحطمنُ رأسك ان ثابرت على هذا النكران الذي لا أستسيغه. اين الالف دينار التي قبضتها مني ؟

دروميون أفسس : لقد تلقيت عدة ضربات من سيدتي على رأسي، ونظيرها على كتفي. انما لم يصل المجموع الى الألف. فان رددتها لسيادتك فلن تلقاها برضى وارتياح.

انطيفولوس سرقوسه : ضربات من سيدتك ؟ ومن هي سيدتك، ايها اللص المحتال ؟

دروميون أفسس : زوجة سيادتك، سيدتي التي تنتظر قدومك للغداء في محلة الفينيق، وهي تتضرع كي تعجل في الحضور.
انطيفولوس سرقوسه : ما هذا التصرف الأرعن ؟ أتصرّ على مضايقتي بالرغم من تنبيهك الى التزام الجد. هاك، ايها الوغد اللئيم.

(بضربه)

دروميون أفسس : ما هذه المعاملة الغريبة، يا سيدي ؟ بالله عليك، أوقف يدك. وإلا أجبرتني على اللجوء الى الفرار.

(يهرب)

انطيفولوس مرقومه (وحده) : أقسم بحياتي، ان هذا اللص، بحيلة من الحيل يسرق جميع نقودي. يقال ان هذه المدينة تعج بالنشالين البارعين الذين يخدعون النظر، والدجالين المحتالين الذين يسيطرون على العقول، والساحرات وقتلة النفوس الذين يشوهون الاجسام، والأوغاد المتتكرين والمراوغين الثرثارين، والعديد غيرهم من اهل الفساد. فان كان هذا هو الحال، فما عليّ الا ان أنسحب بأقرب وقت. سأذهب الى نزل السنطور للبحث عن هذا المراوغ، لأنني اخشى أن يكون مالي في خطر.

(يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في محلة الفينيق

(تدخل ادريانا ولوسيانا)

ادريانا : لم يعودوا بعد، لا زوجي ولا الخادم الذي ارسلته في طلب سيده
بعجلة فائقة. لا بد، يا لوسيانا، من ان تكون الساعة الآن الثانية.
لوسيانا : ربما دعاه احد التجار الى الغداء في مكان ما عند مغادرته السوق.
تعالى نتغدى، يا أختاه، ولا تبالي بأحد. فالرجال سادة حريتهم. وليس من
يتحكم بهم سوى الوقت، وحسب ظروفهم يروحون ويغدون. وعلى هذا
الاساس ليس امامنا، يا أختي، الا الصبر الجميل.
ادريانا : لماذا يتمتعون بحرية اوفر من حريتنا ؟
لوسيانا : لان مشاغلهم تستدعيهم دائما الى الخارج.
ادريانا : لكن، اذا تصرف انا مثلهم، لماذا يحملون عملي على محمل
السوء ؟

لوسيانا : لا تنسى ان الرجل في يده مقود ارادته.
ادريانا : الحمير وحدها ترضى بالانقياد هكذا.
لوسيانا : الحرية الجامحة تخضعها سياط المصائب. اذ ليس في السماء ولا

على الارض ولا في البحر ولا في الفلك ما لا يخضع للنظام. فإناث ذوات الاربع، والاسماك والطيور كلها خاضعة لذكورها المتسلطة عليها. اما الانسان الذي يمتّ بالصلة اكثر منها الى الخالق، سيد الكون، رب القارات الشاسعة والمحيطات الممتدة الاطراف، فيعتبر روح الثقافة، لانه ارقى من الاسماك والطيور، وهو سيد الائنى التي تزعن لما تفرضه عليها المقترضيات.

ادريانا : وهل هذه العبودية ذاتها هي التي تحول دون زواجك ؟

لوسيانا : كلا، هي خشيتي من التقلبات في سرير الزوجية.

ادريانا : لكن، ان تزوجتِ، تسنى لك الاستئثار ببعض النفوذ.

لوسيانا : قبل ان أتعلم الحب، عليّ ان أتمرس بالطاعة.

ادريانا : واذا كانت عيون زوجك تتطلع الى خارج البيت ؟

لوسيانا : أنتظر بصبر وهدوء حتى يعود اليّ.

ادريانا : محافظة المرء على الهدوء بطول أناة أمر بسيط حين لا يكون قد مر بالتجربة. والانسان يستطيع ان يلتزم اللطف عندما لا يسعه ان يلجأ الى عكسه. وهل يقوى البائس المسكين الذي حطمه الشقاء على الصراخ عاليا بدون ان نزرجه لكي يخرس ؟ انما، ان كان علينا ان نتحمل هذا القدر من العذاب، ستضاهي شكوانا ذروة ألمنا، ان لم تفقه. انت مثلا ليس لك زوج لئيم يضايقك، فتظنين انك تهونين عليّ بتحريضك اياي علي الصبر بسبب عجزتي. لكن، ان عشتِ حتى تري حقوقك مهضومة مستكفين حيثئذ عن الاعتصام بهذا الصبر الغيبي.

لوسيانا : سأزوج يوماً لأجرب ذلك بنفسى. ها هوذا خادمك يتبعه زوجك من بعيد.

(يدخل دروميون أفسس)

ادريانا : هل سيدك المتأخر آتٍ وراءك ؟

دروميون أفسس : لقد لحق بي شوطاً طويلاً. وها هي أذناي خير شاهد على صدق قلبي.

ادريانا : هل كلمته ؟ هل علمت بما ينوي عمله ؟

دروميون أفسس : نعم، نعم. لقد همس في أذني. ملعونة يده التي اطارت الشر من عيني.

لوسيانا : هل كلمك بطريقة مبهمة لم تتمكنك من ادراك ما يفكر به ؟
دروميون أفسس : كانت تعابيره في غاية الوضوح فطاش لها صوابي، وفي الوقت ذاته غامضة فأعمت بصيرتي.

ادريانا : ألا قل لي، بربك، هل هو عائد الى البيت ؟ أراه كثير الانهماك بارضاء زوجته.

دروميون أفسس : حقا، يا سيدتي، سيدي يحير أحيانا، لأنه مهووس.
ادريانا : مهووس، ايها المحتال ؟

دروميون أفسس : انا لا أدعي انه أجوف نظير القمر عندما يهل. لكنه مهووس بكل معنى الكلمة، أي انه لا يلتزم دائما جانب الاتزان والتعقل. فحينما رجوته ان يعود للغداء، طالبني بألف دينار ذهبي. الطعام يحترق، فرد : اين ذهبي ؟ سألته : ألا تنوي الرجوع ؟ فنهزني صارخا : اين ذهبي ؟ ماذا فعلت بالالف دينار التي سلمتك اياها، ايها السارق ؟ قلت له : الطعام يحترق، يا سيدي، فأجابني : اين ذهبي، اين ذهبي ؟ فقلت : يا سيدي، ان سيدتي... فعاجلني بقوله : قتل الطاعون سيدتك، انا لا اعرف سيدتك. اذهب انت وسيدتك الى الجحيم.

لوسيانا : من تكلم هكذا ؟

دروميون أفسس : سيدي. اذ قال : انا لا اعرف لا بيتا ولا زوجة ولا أفهم ما تقول. حتى انه حمل كفتي الجواب الذي كان على لساني ان ينقله اليك، يا سيدتي. بالاختصار، هنا تلقيت ضرباته القاسية (يشير الى كتفه).

ادريانا : إضر ايها اللص، واياك ان ترجع بدونه.

دروميون أفسس : أعود لأتلقى ضربات أفسى من الأولى ؟ بالله عليك، ابعثي اليه برسول غيري.

ادريانا : اذهب ايها المحتال، وإلا شطرت رأسك الى اربعة اجزاء.

دروميون أفسس : هذا يزيد الطين بلة فوق ما تكونين قد اتحفت به عقلي من الخبل.

ادريانا : اخرج من هنا، ايها الشرير الثرثار. عد بسيدك حالا وسريعا.
دروميون أفسس : أترينني غيباً بمقدار ما انت قاسية عليّ، حتى تقذفني
كالكرة من جديد ؟ انت تطرديني من هنا، كما يطردني هو من هناك. فاذا
كتب عليّ الاستمرار في هذه اللعبة المؤذية غلّفيني على الأقل بوسادة من
الجلد تخفف عليّ وطأة الوجع.

(يخرج)

لوميانا : تباً لك. ما أقبح قلة الصبر التي تمسخ سحتك !
ادريانا : هو وجود عليّ صديقاته بكرم حضوره، بينما انا في البيت اتوق الى
نظرة حنان منه. هل انتزعت السنون بهذه الخشونة ما كان محياي، الكتيب
حالياً، يتحلى به من جمال ؟ ان صح الامر، فهو المسؤول عن هذا التحول.
هل حديثي ممل وذهنّي مجذب ؟ ان كان كلامي لم يعد طلياً ومرضياً
كالسابق، فان عدم احساسه، الصلب كالصخر، قد ذهب برونقه. هل تجتذبه
صديقاته بملابسهنّ اللينة ويحظين باسمات بعطفه ؟ ذاك لا حيلة لي به، لانه
هو سيد مصيري. ماذا تغير فيّ، لم يكن هو العامل الاول على تشويبه ؟ فان
كنت مرهقة فسيبه، وان هرمت ملامحي فسيبه ايضا. لان نظرة مشعة يلقيها
عليّ ترمم سريعا ما تبقى لي من حسن متداع. اما هو المتمرد العزيز، فقد
حطم جميع الحواجز ليذهب ويرعى في حقل غير الذي ألفه بجواري. وأنا
المسكينة لم اعد في نظره سوى شيخ مخيف كرهه.

لوميانا : ما هذه الغيرة ؟ قبحاً لها. عليك ان تبتعدي عنها لئلا تترتاحي.
ادريانا : هناك بعض المستهترات، الخالعات العذار، الخاليات من كل شعور
نبيل، وحدثن لا يابهنّ لهذه الهواجس التي تدل على الامانة واللطفة. انا اعرف
ان عينيه تنظران على الدوام بتقدير الى غيري، وإلا ماذا يشغله عن الحضور
الى هنا ؟ انت تعلمين، يا اختي، انه وعدني بسلسلة، وأنا أتمنى ان تكون
الهدية الوحيدة التي اشتتها. كما ارجو ان يظل مخلصاً في علاقتنا الزوجية.
انا ألاحظ جيداً ان احلى الجواهر لا بد ان تفقد روعتها وبريقها. فالذهب
مهما قاوم تقادم عهده فكثرة اللمس تبريه على مدى الأعوام. هكذا ليس من
رجل لا تفسد اخلاقه اساليب الخداع والانحطاط. بما ان جمالي لم يعد باهرا

في نظره، أود بعد كثرة النحيب ان أحطم ما تبقى لي من إباء وأموت كمدا.
لوسيانا : كم من عديمي الاحساس ينساقون وراء الغيرة الحمقاء القاتلة !
(تخرجان)

المشهد الثاني

في الساحة العامة

(يدخل انطيفولوس سرقوسه)

انطيفولوس سرقوسه : ان الذهب الذي اعطيته دروميون هو الآن مودع في
نزل السنطور بأمان، والسارق المراوغ انطلق يبحث عني. حسب توقعات
مضيفي وتقديره، لم أتمكن من محادثة دروميون هذا منذ ان ارسلته الى
السوق، وها هو الآن قادم.

(يدخل دروميون سرقوسه)

ما وراءك من الاخبار يا سيدي ؟ هل تبدل مزاجك المرح ؟ ان كنت
تحب الضربات فما عليك الا ان تكرر مزاجك بأنك لا تعرف موقع السنطور
مثلا، وتدعي انك لم تستلم مني ذهباً، وان سيدتك ارسلتك لتصطحبني الى
الغداء. ألا اعلم اني باق هنا في محلة الفينيق. فهل يسرك ان تثابر على هوسك
وتجيبني بمثل هذه الحماقات ؟

دروميون سرقوسه : ما هذا الحديث يا سيدي ؟ متى تفوهت انا بمثل هذا
الكلام ؟

انطيفولوس سرقوسه : في هذه اللحظة، وفي هذا المكان بالذات منذ أقل من
نصف ساعة.

دروميون سرقوسه : انا لم ابصرك منذ مدة طويلة. فكيف اعدتني من هنا الى
نزل السنطور مع الذهب الذي سلمتني اياه ؟
انطيفولوس سرقوسه : يا لك من لص ماهر ! انت تنكر اني اعطيتك الذهب،

وانك كلمتني عن سيدة، وعن غداء. هذه الامور لا تعجبني بتاتا، وأمل ان تكون قد فهمت واستوعبت ذلك.

دروميون سرقوسه : يسرني جدا ان اراك مسرورا ومنشرح الصدر، يا سيدي. ولكن، ما معنى هذا المزاح ؟ ارجوك ان تفسره لي يا سيدي.
انطيفولوس سرقوسه : كيف تجسر على الهزاء بي هكذا وعلى انكار الحقائق ؟ أتظنني أداعبك ؟ خذ هذا، وهذا، ثم هذا ايضا.

(يضربه)

دروميون سرقوسه : كفى يا سيدي، بالله عليك. اضحى مزاحك مزعجا ومستهجنا. لماذا تهجم عليّ هكذا ؟

انطيفولوس سرقوسه : لاني أعترك احيانا سميري، أكلمك لأتسلى. انما اراك بكل وقاحة لا تبالي بحسن نيتي ولا تعباً بجديتي. عندما تسطع الشمس يظهر الذباب الطائش الثقيل الظل ويملاً الدنيا بطنينه المزعج. لكن حالما تحتجب وراء الغمام، عليه ان يختفي في أوكاره ويريحنا. اذا شئت ان تمازحني تمعن في ملامح وجهي وتصرف بما ينسجم وحركاتي الصامتة، او ألزمتك بعنف بالتقيد بأداب المعاشرة، يا ايها المسخ العنيد السمج.

دروميون سرقوسه : هل تعتقد بأنني مشاكس غبي، بقدر ما كنت تود ان تكون انت مسايروا ظريفا، حتى تكف عن مضايقتي ؟ فاذا ثابت على ضربي، اضطررت الى حماية نفسي منك، وإلا ظلت ضرباتك تنهال علي كالمطر. فرحماك يا سيدي ! بماذا اسأت اليك لأستحق العقاب ؟

انطيفولوس سرقوسه : ألا تعلم بعد ؟

دروميون سرقوسه : انا لا اعرف سوى ان الضربات تنهال عليّ.

انطيفولوس سرقوسه : هل عليّ ان أبين لك السبب ؟

دروميون سرقوسه : أجل يا سيدي. ما دام لكل امر علة.

انطيفولوس سرقوسه : اولاً، لانك سخرت مني، ثم لانك انت البادىء، والبادىء أظلم.

(يضربه مجددا)

دروميون سرقوسة : هل اتفق لك ان تضربني قبل الآن ؟ لذا شريك لا معنى له فشكرا.

انطيفولوس سرقوسة : علامَ انت تشكرني، يا سيدي ؟

دروميون سرقوسة : على اعطائك اياي ما أستحقه.

انطيفولوس سرقوسة : سأعوض عليك في المرة القادمة بعدم اعطائك شيئا

مقابل ما ستقدمه لي. لكن، قل لي يا سيدي، هل حان وقت الغداء ؟

دروميون سرقوسة : كلا، يا سيدي. أظن ان اللحم يحتاج الى ما حصلت عليه.

انطيفولوس سرقوسة : وعلامَ حصلت، من فضلك ؟

دروميون سرقوسة : على مرق لذيد.

انطيفولوس سرقوسة : لا يصعب اعداده. وهذا كل ما في الامر.

دروميون سرقوسة : في هذه الحالة، يا سيدي، ارجوك ان لا تلمس شيئا.

انطيفولوس سرقوسة : ولأي سبب ؟

دروميون سرقوسة : خوفا من ان تستشيط غضبا، وأن تغطسني مرة اخرى في المرق.

انطيفولوس سرقوسة : هيا، يا سيدي، تعلم ان لا تمزح الا في المناسبات. اذ لكل امر زمان.

دروميون سرقوسة : هذا ما كنت انكرته، لو ما تملكك الغضب.

انطيفولوس سرقوسة : وما حجتك، يا سيدي ؟

دروميون سرقوسة : حجتني في غير محلها نظير الصلح المبكر.

انطيفولوس سرقوسة : انا مستعد لسماعها.

دروميون سرقوسة : لا سبيل لاسترداد الاصلح ما تساقط من شعره.

انطيفولوس سرقوسة : ألا يمكن استرجاعه بوسيلة من الوسائل ؟

دروميون سرقوسة : نعم، بشراء شعر مستعار للاستعاضة به عن الشعر المفقود.

انطيفولوس سرقوسة : لماذا يخل الزمان علينا بعلاج الشعر في مثل هذا الحال ؟

دروميون سرقوسه : لان هذه الحسنة تشمل الحيوانات بسخاء. بينما الرجال محرومون منها. اذ يفقدون الشعر ويعوض عليهم بالفهم والذكاء.
انطيفولوس سرقوسه : لا يزال بين الرجال من تفوق كثافة شعرهم مدى ادراكهم وفطنتهم.

دروميون سرقوسه : ليس فيهم من يرغب في فقد شعره بغير مقابل.
انطيفولوس سرقوسه : منذ لحظة أكدت ان الرجال الأثقف شعرا هم الذين يتمتعون بالبلادة دون الذكاء.

دروميون سرقوسه : كلما ازداد الرجل بلادة تفاقم امكان فقده شعره، وهو يخسره راضيا مسرورا.

انطيفولوس سرقوسه : لأي سبب ؟

دروميون سرقوسه : لسببين مقبولين.

انطيفولوس سرقوسه : ارجوك ان لا تقول معقولين.

دروميون سرقوسه : اذا لسببين وجيهين.

انطيفولوس سرقوسه : لا تقل ايضا وجيهين، عندما يكونان مغلوطين.

دروميون سرقوسه : اذا هناك سببان اكيدان.

انطيفولوس سرقوسه : اذكرهما.

دروميون سرقوسه : الاولى ان يوفر نقوده فلا يصرفها على تجديد شعره، والثاني ان لا يخشى سقوط بعض شعره في الحساء اثناء الاكل.

انطيفولوس سرقوسه : لقد شئت، طوال هذه المدة، ان تثبت ان لا مجال لاسترداد الشعر بعد سقوطه.

دروميون سرقوسه : لقد اثبتته، يا سيد، ولا مجال بتاتا لاسترداد الشعر بعد فقدانه.

انطيفولوس سرقوسه : لكنك لم تبرهن بشكل قاطع لماذا لا مجال لاسترداده.

دروميون سرقوسه : هاك حجتي : الزمان هو ذاته اصلع. ولذلك يرغب حتى نهاية العالم ان يشيعه موكب من الصلعان.

انطيفولوس سرقوسه : كنت عالما بأن استنتاجك اصلع لكنه دامغ. ترى، من يوميء الينا بيده هناك ؟

(تدخل ادريانا ولوسيانا)

ادريانا : نعم، نعم. تعلمو محيا انطيفولوس امارات عدم المبالاة والخشونة، بينما انت تجود بنظراتك، الفياضة عطفًا وحنانًا، على احدى صديقاتك. انا لست ادريانا ولا زوجتك. مع ذلك، منذ مدة، اقسمت لي جازما بأنك لم تسمع كلمة واحدة حلوة الوقع على أذنيك، ولم تبصر ما يسر ناظريك، ولم تلمس يدا ناعمة، ولم تذق مأكلا شهيا الا وأنا بقربك، اتأمل فيك معجبة وأداعبك وأأخذمك. فكيف اتفق لك يا زوجي العزيز ان تتجاهل ذاتك ؟ اقول ذاتك لانك هكذا تتجاهلني انا التي لا أفارقك، بل أندمج فيك، وأنا احلى جزء من شخصك الغالي. لا تنصلّ مني، واعلم يا حبيبي ان سقوط قطرة ماء في المحيط وتبعثرها، ثم محاولة سحبها كاملة بدون زيادة ولا نقصان، لأهون من ان تحاول الابتعاد عني بدون ان تجرّني اليك. كم تشعر بأن جرحك عميق، لو أيقنت بأني خائنة، وان جسمي الذي خصصتك به قد ذوى في مغامرة زنى ؟ أولا تبصق في وجهي وتطرديني من بيتك ؟ أولا ترفض اعتباري زوجتك ؟ أولا تسلم جلدك الذي لوثته بعار وقاحتي وانحطاطي ؟ أولا تنتزع خاتمي من اصبعي الجاني وتحطمه تحت قدمك وتحلف عليّ بطلاق مؤبد ؟ انا واثقة بأنك تفعل كل ذلك. اذاً لا تتأخر عن تنفيذه. فأنا ملطبخة بجرم العهر، ومتمرغة في أوحال الدعارة التي اختلطت بدمي النجس. لاننا ان كنا فعلا كلانا شخصا واحدا، وأنت غير وفّي، فان عدوى جسديك تسري في عروقي وأكون انا عاهرة سرت خيانتك الى أحشائي. فاحتفظ اذاً بحبك وايمانك لزوجتك الشرعية لكي احيا انا بدون سفالة، وأنت بدون عار ومذلة. انطيفولوس سرقوسه : اتخاطبيني ايها السيدة الجميلة ؟ انا لا اعرفك، لاني ما قدمت من افسس الا منذ ساعتين فقط. انا اذاً غريب عن ديارك كغربيي وعما تنسبني اليّ. ومهما حصرت ذكائي في ادراك كل كلمة من اقوالك فالفتنة تخذلني ولن اعني حرفا واحدا منها.

لوسيانا : تباً لك، يا اخي. كم تبدلت الامور في نظرك ! متى عاملت هكذا اختي التي ارسلت دروميون في طلبك للغداء ؟

انطيفولوس سرقوسه : أنا ارسلت دروميون ؟

دروميون سرقوسه : هل أرسلتني أنا ؟

ادريانا : أجل، انت. وقد جئتني بجواب منه تستحق صفة لاجله، اذ انكر ان يتي يخصه، واني انا قرينته.

انطيفولوس سرقوسه (لدروميون) : هل تحدثت فعلا، يا صاح، الى هذه المرأة، ما معنى مؤامرتك، وما هدفها ؟

دروميون سرقوسه : انا، يا سيدي، لم ابصر لها وجهها قبل الآن.

انطيفولوس سرقوسه : انت كاذب، ايها المنافق الحقير، لانك نقلت اليّ كلامها تماما كما نطقت به في السوق.

دروميون سرقوسه : انا لم أكلّمها في حياتي.

انطيفولوس سرقوسه : كيف تسنى لها اذا ان تدعونا بأسمائنا ؟ هل نزل عليها وحي من السماء ؟

ادريانا : صدقني. لا يلائمك تمثيل هذه الرواية السخيفة مع خادمك الذي حرصته على مشاكستي في احزائي. يكفيني ظلما ان اصبح مهجورة. فلا تزد على اذلالي اهانة جديدة، إمعانا في تحقيري. هيا، انا أصرّ على التعلق بذراعتك يا قريني، فأنت كالشجرة الراسخة في الارض، وأنا كالكرمة الضعيفة. فبتغلغل قواك الطبيعية في كياني يتقل اليّ عنقوانك، وان فصلتك عني بعض نباتات مهملة او متسلقات طفيلية او اشواك جارحة او اعشاب عقيمة لم تقتلع، رغم انها اصبحت خانقة، فلا تجفف نسغك وتودي بك الى الهلاك.

انطيفولوس سرقوسه : هي تخاطبني، وتنصب حولي حائل اشواقها ومناجاتها. ماذا جرى ؟ هل اكون قد تزوجتها في الحلم ؟ ام اني لا ازال نائما ويخيل اليّ اني اسمع كل هذا يدور حولي ؟ ما هذه الاخطاء التي تضلل آذاننا وعيوننا ؟ فلكي يتسنى لي توضيح هذا الغموض، لا يسعني الا تصديق الاوهام التي تعترض سبيلي.

لوسيانا : اذهب، يا دروميون، وقل للخدم ان يجهزوا مائدة الغداء.

دروميون سرقوسه (على حدة) : اين سبحتي ؟ يخيل اليّ اني مخطيء. هذه دنيا الجنيات. يا لمهزلة المهازل. نحن نخاطب أبالسة وغيلان وعفاريت. اذا لم نطمعها ونخضع لها، حطمت قلوبنا وأزهقت أنفسنا.

لوسيانا : لماذا تغمغم بدلا من ان تجيب بصراحة ؟ يا دروميون، يا احمق، يا ذميم، يا حقير.

دروميون سرقوسه (لأنطيفولوس) : لقد تحولت الى مخلوق آخر، أليس كذلك يا سيدي ؟

انطيفولوس سرقوسه : أعتقد بأنك لا تزال على طبيعتك كما كنت نظيري تماما.

دروميون سرقوسه : لا، لا. انا استحلت كائنا جديدا، روحا وجسدا.

انطيفولوس سرقوسه : بل انت لا تزال على حالتك الاصلية خلقا وخلقا.

دروميون سرقوسه : كلا، انا اصبحت نسانسا.

لوسيانا : ان كنت قد تحولت فعلا فقد صرت حمارا.

دروميون سرقوسه : حقا هي ترهقني، وأنا اتوق الى المرعى. فعلا انا حمار، ولذا تعذر عليّ أن اعرفها كما عرفتي هي.

ادريانا : هيا، هيا. انا لا اريد ان اكون حمقاء، فأضع اصبعي في عيني وأبكي، بينما زوجي وخادمي لا يأبهان لأحزائي. يا زوجي العزيز، أود ان اتناول اليوم طعام الغداء بصحبتك، وأن أحملك على الاعتراف بألف مغامرة مشينة. ايها المحتال، اذا سأل احد عن سيدك، قل انه انه يتغدى خارج البيت، ولا تدع احدا يدخل دارى. تعالي يا أختاه. يا دروميون، قم كما يجب بوظيفتك كيواب يقط.

انطيفولوس سرقوسه : هل انا على الارض ام في السماء ام في الجحيم ؟ هل في نقطة انا ام في منام ؟ هل انا مجنون ام عاقل أتمتع بكامل ادراكي ؟ اراها تعرفني، وانا اجهل نفسي، أخبط خبط عشواء في ضباب هذه المغامرة الغريبة.

دروميون سرقوسه : هل عليّ ان اقوم يا سيدي، بوظيفة البواب ؟

ادريانا : أجل. ولا تدع احدا يدخل، وإلا حطمت رأسك.

لوسيانا : تعال، تعال، يا انطيفولوس، لاننا تأخرنا كثيرا. فهيا نتناول غداءنا.

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

امام الفينيقي

(يدخل انطيفولوس أفسس ودروميون أفسس وأنجلو وبلطزار)

انطيفولوس أفسس : ايها السيد الكريم انجلو، لا بد لك من ان تعذرنا. ان زوجتي تבלو في غاية الخشونة عندما لا آتي في الوقت اللازم. ارجوك ان تدعي اني تأخرت في محلك لأريك سلسلتها، وانك ستأتي بها الى البيت (يشير الى دروميون) انظر الى هذا المحتال الذي شهد امامي بأنني كنت في السوق واني ضربته وطالبته بألف دينار ذهبي، واني انكرت زوجتي وبיתי. تبا لك من سكّير. ماذا تعني بأقوالك هذه ؟

دروميون أفسس : قل ما شئت يا سيدي. فأنا اعرف جيدا ما اعرف. وبرهانا على انك ضربتني، ها هي آثار أظفارك في جسمي تشهد على ذلك. فان لم يكن جلدي مثل الورق وضرباتك مثل الحبر، فان كتابتك دليل قاطع على صحة تصريحاتي.

انطيفولوس أفسس : انا أؤكد لك انك حمار.

دروميون أفسس : يا إلهي ! لا يصدق السامع اني فعلا ألقى المعاملة السيئة التي أتمرض لها، وان الضربات الموجهة تنهمر عليّ. لا بد لي من ان أهاجمك

عندما أتلقى الضرب، ويتحتم عليك حيثئذ ان تتجنب رفض احدى قوائمى وأن تحاذرنى بصفتي حماراً.

بلطزار : انا لا أهتم الا قليلا للمآكل الشهية، يا سيدي، لان ما آبه له حقا هو حسن استقبالك.

انطيفولوس أفسس : يا سنيور بلطزار، بخصوص اللحم والسمك، ارى ان افضل استقبال لا يوازي صحننا من الطعام اللذيذ.

بلطزار : ان الطعام الشهى والاستقبال الفخم هما لدّي افخر وليمة. انطيفولوس أفسس : أجل، للمضيف البخيل وللضيف القانع على السواء. لكن مهما كانت مائدتي فقيرة، عليك ان تعتبرها نعمة كبيرة : اذ يمكن ان تلاقى مآكل ألد منها، انما القلوب تكون أقل طيبة. على كل حال، ارى باب بيتي مغلقا، فاذهب واطلب فتحه لنا.

دروميون أفسس (يتجه نحو الباب) : يا مدلين، يا يريجيت، يا مريانا، يا سالين، يا جوليت، يا جانين.

دروميون سرقوسه (من الداخل) : يا مغفل، يا غبي، يا بهلول، يا حقير، ابتعد عن الباب، اذا لم تشأ ان تعرقل السير. هل تريد ان تذكرنا ببنات الهوى حتى تنادي هذا السرب منهن، لا تدعو الحاجة الا الى واحدة ؟ هيا ابتعد عن الباب.

دروميون أفسس : ما أغباك من بواب ! ان سيدي ينتظر في الطريق. دروميون سرقوسه (من الداخل) : ليرجع من حيث أتى، اذا لم يرد ان تنعب رجلاه.

انطيفولوس أفسس : من المتكلم هنا ؟ هيا افتح الباب، يا هذا. دروميون سرقوسه (من الداخل) : عظيم ! سأقول لك مَنْ، حالما تقول لي لماذا.

انطيفولوس أفسس : لماذا ؟ لكي اتناول غدائي. لانني لم أتغذ اليوم. دروميون سرقوسه (من الداخل) : ولن تتغذى اليوم هنا. عد متى استطعت. انطيفولوس أفسس : من انت، يا من تمنعني عن دخول بيتي ؟

دروميون سرقوسه (من الداخل) : انا المكلف بحراسة الباب حاليا، يا سيدي، واسمي دروميون.

دروميون أفسس : ايها الاحق، لقد انتحلت عملي كما انتحلت اسمي ايضا. فالاول لم يوفر لي سوى قلة الاعتبار والثاني كثرة الاهانات. فاذا كنت اليوم دروميون بدلا عني، وجب عليك ان تريني وجهك عوضا عن اعلان اسمك، وتعطي اسمك الحقيقي بدلا من اسم الحمام.

لوسي (من الداخل) : ما هذه الضجة ! يا دروميون، من في الباب ؟ دروميون أفسس : دعي سيدي يدخل، يا لوسي.

لوسي (من الداخل) : بري، لن ادعه. لانه وصل متأخرا. قل ذلك لسيدك. دروميون أفسس : يا الهي ! هذا مضحك. هيا، يا غبية. هل تريدان ان اضربك ؟

لوسي (من الداخل) : أسكت انت، يا مغفل. كيف السبيل لإسماعك وإفهامك ؟

دروميون سرقوسه (من الداخل) : ان كان اسمك لوسي، يكون جوابك في محله.

انطيفولوس أفسس : اسمعي، انت يا حلوة. ألمي ان تدعينا ندخل. لوسي (من الداخل) : أعتقد بأنني طلبت ذلك منكم.

دروميون سرقوسه (من الداخل) : ورفضتم.

دروميون أفسس : هيا اكمل الحوار. جوابك سيدي. صاع بصاع.

انطيفولوس أفسس : افتحي، يا منافقة، ودعينا ندخل.

لوسي (من الداخل) : هل لك ان تقول لي باسم من ؟

دروميون أفسس : سيدي، إقرع الباب بعنف.

لوسي (من الداخل) : ليقرع حتى يكل.

انطيفولوس أفسس (يطرق الباب) : ستدفعين ثمن عنادك باهظا، يا عزيزتي، اذا اضطررتني الى خلع الباب.

لوسي (من الداخل) : وما همني ذلك. المشفقة منصوبة في المدينة.

ادريانا (من الداخل) : من يحدث كل هذه الضجة في الخارج ؟

دروميون سرقوسه (من الداخل) : قسماً بشرفي، اري مديتكم تعج بالاشقياء.

انطيفولوس أفسس : آنتِ هنا، يا زوجتي ؟ كان عليك ان تردّي قبل الآن. ادريانا (من الداخل) : زوجتك ؟ ايها السيد الغريب الاطوار. هيا ابتعد عن الباب.

دروميون أفسس : اذا حق سيدي، يا سيدتي، فأعتقد بأن ذلك سببه نعتك اياه بالغريب الاطوار. أفلا يغيظه ذلك منك ؟
انجلو : هنا لا وجود لطعام لذيد، ولا لاستقبال لائق، ونحن نود الحصول على الاثنين معا.

دروميون أفسس (بسخرية لأنطيفولوس) : ضيوفك ينتظرون ببابك، والمفروض ان تبادر الى استقبالهم.

انطيفولوس أفسس : الجو غير ملائم، ودخولنا متعذر.
دروميون أفسس : كنت تشقّت الهواء بصورة افضل، يا سيدي، لو كنت مرتديا ألبسة توفر لك الدفاع. قطعامك ساخن في بيتك، بينما هنا تظل معرضا للبرودة. في هذا المأزق الحرج، لا يجمل بالانسان ان يستشيط غضبا نظير حيوان ذي قرنين يمشي على اربع قوائم.

انطيفولوس أفسس : اذهب وائتني بأية آله متينة، لاني أنوي خلع الباب.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : أجل، حطّم انت ما تشاء، وأنا سأهشّم رأسك ايها الاحق المغرور.

دروميون أفسس : من المحتمل مبادلتك كلمة او كلمتين، لان الحديث ذو شجون. وأنا عازم على تشويه وجهك كي لا يرميني احد بالجبن.

دروميون سرقوسه (من الداخل) : يبدو عليك انك تروم كسر أضلاعك. ليت الطاعون أودى بحياتك ايها العلاج الذميم.

دروميون أفسس : هذا لا يطاق. اودى الطاعون بك انت يا مغفل. هيا، افتح الباب. ارجوك ان تدعني ادخل.

دروميون سرقوسه (من الداخل) : نعم، نعم. عندما يتخلى الغنم عن صوفه والسّمك عن زعانفه.

انطيفولوس أفسس : هيا اسرع، وإلا خلعت الباب، اذهب واتنني بخشبة ضخمة.

دروميون أفسس : خشبة ضخمة مألوسة. أوليس هكذا تفضلها، يا سيدي ؟
(للدروميون سرقوسه) وإذا كان لا وجود لسمك بدون زعانف، فعلى الأقل وجود الخشبة المألوسة متوفر. وسنجد وسيلة لدخولنا، يا غبي.

انطيفولوس أفسس : هيا اذهب واتنني بقضيب من حديد.
بلطزار : صبراً، يا سيدي. لا تحرك ساكناً. وإلا شوهت صيتك بتعريض سمعة زوجتك لشتى التهم وأخط الظنون بشرفها. هناك كلمة أخيرة. ان خيرة حكمتها الطويلة، وفضيلة عفتها وسنها وتواضعها جميعها تشفع بتصرفها هكذا لأسباب أجهلها. فلا تظن، يا سيدي، انها ستعذر عن اغلاق الباب في وجهك. صدقتي، وانسحب بهدوء. هيا بنا نتغدى جميعا في مطعم النمر. ثم تعود وحدك مساءً لمعرفة حجتها الغريبة التي حدثت بها الى هذا التمتع العجيب. أما اذا صممت على الدخول عنوةً في اكثر ساعات النهار ازدحاماً، فحشالة الناس يطلقون مختلف الاقاويل والتعليقات على لجوئك الى هذا العمل غير المألوف الذي يحط بكرامتك المشكورة. لان الجمهور سيختلق التهم الشنيعة التي تلاحقك حتى الممات، وتثقل في المستقبل على بلاط ضريحك الى الابد. ان النيمعة طويلة الاجل كأنها تتوالد وتتعاقب باستمرار حالما تستقر في مكان ما، وترسخ فيه كالطود الهائل الحجم الى آخر الازمان.

انطيفولوس أفسس : لقد أقنعتني، وسأمضي بسلام، ومهما صعب عليّ التستر بالفرح سألأزم ابتهاجي المصطنع. انا أعرف فتاة طليّة الحديث رائعة الجمال ذكية الفؤاد، وان لم تخل من العيوب تظل طيبة القلب. سنذهب لتغدى عندها. وعلى ذكر هذه الغادة، انا موقن بأن زوجتي، قسماً بشرفي، وبدون سبب، لن تكف عن مشاجرتي. هيا اذاً لتغدى عندها. (لأنجلو) عد الى محللك واتنني بالسلسلة التي لا بد من ان تكون الآن جاهزة. ارجوك ان توصلها الى نزل القنفذ حيث تقيم. سأهبط هذه السلسلة مضيّفتي نكابة بزوجتي. عجل، يا سيدي العزيز. فيما ان قرينتي ترفض استقبالي، سأطرق غير باهبا، وسأرى ان كنت سأظل محروماً من الاستضافة.

انجلو : سألحق بك الى هناك بعد حوالي ساعة من الزمان.
انطيفولوس أفسس : لا تتأخر. فهذه القصة ستكونني غاليا.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في نفس المكان

(تدخل لوسيانا وانطيفولوس سرقوسه)

لوسيانا : أيمكنك ان تنسى هكذا تماما سائر واجباتك الزوجية ؟ هل يجوز، يا انطيفولوس، ان تذبل زهرة حبك في مستهل ربيعها ؟ هل يعقل ان يهدد صرح الاسرة بالدمار قبل ان يتم بنيانه ؟ ان كنت انت اقترنت بأختي لاجل ثروتها، فعاملها بمقتضى اللياقة على الأقل من قبيل الاعتبار لا غير. وان تحول هيامك الى سواها، فعليك ان تعشق سرا لا علنا، وضع على عواطفك قناعا كي تستر معاصيك، فلا تقرأ أختي فصولها في عينيك. لا تدع لسانك يفصح ذلك. كن لطيفا، مهذب الالفاظ معها. اخفي خيانتك بثوب الفضيلة، وكن عالي الجبين مهما كان قلبك غارقا في الدنيايا. وألبس ذنوبك حلة الصلاح واخدع شريكة حياتك بطريقة متوارية. ما الفائدة من اعلامها بكل ما يجري لك ؟ فمن من اللصوص يتباهى بما تقدم عليه يدها من السرقات ؟ ان جرمك مضاعف، لانك تخون زوجتك اولا، ثم تعتمد أن تعلن لها خيانتك، وأنت جالس الى مائدة طعامها. هل نسيت ان التهمت الذي يداريه صاحبه، يكتسب ولو قليلا من الاعتبار حتى في نظر اللئيم ؟ أما الكلام البذيء فبطائنه شتائم غليظة لا تحتمل. أسفي على امرأتك المسكينة ! ألا اجعلها تعتقد، وهي السهلة التصديق، بأنك تحبها. وان حصل غيرها على النصلة، فاعطها المقبض على الأقل. نحن النساء ندور في فلككم ايها الرجال، فتصرفون بنا كما يحلو لكم.

وهكذا سألتك ان تعود الى بيتك، يا اخي الكريم، فتأس اختي اليك، ويهدأ روعها. قل لها انها رفيقة عمرك، فالظهور بمظهر الفضيل فضيلة، وان اتى ذلك منك على مضض. والتزلف احيانا وحلاوة اللسان، تبذل الشقاق وتتغلب على الفرقة والبغضاء.

انطيفولوس سرقوسه : سيدتي العزيزة، ولا ادري كيف أناديك، ولا كيف علمت باسمي، ان انوارك وأفضالك تجعل منك درّة الكون، بل مخلوقة سماوية اكثر منك أرضية. ارجوك ان تعلميني بماذا عليّ ان أفكر، وماذا اقول. اكشفي لبصيرتي البشرية الخشنة التي تكتنفها الاخطاء وهي هزيلة سطحية، معاني اقوالك المبهمة المخيبة للآمال. لماذا، بالرغم من خالص مودتي وأمانتي، تحاولين ان تضعسعي ثقتي بنفسي في متاهات مجهولة ؟ هل انت إلهة ؟ هل تطمحين الى خلقي من جديد ؟ حوّليني الى ما شئت، وأنا كلي خضوع لمقدرتك الفاتقة. لكن، ان ظللت كما انا، فاني على يقين بأن شقيقتك الحزينة ليس قريتي، وأنا لست شريك حياتها. هناك ما هو اهم بكثير مما نظن، فأنا من جهتي أشعر في أعماق صدري بميل لا يقاوم اليك. فأرجوك ان لا تجتذبيني بأناشيدك العذبة فقط، ايتها الحورية الساحرة، لكي لا تغرقيني في بحر دموع اختك. ترنّمي، ايتها الفاتنة، بما يعجبك، فذلك يهيج ايامي. انشري على الامواج المتلاعبة خصلات شعرك الذهبي، فأتمدّد عليها كفراش وثير، وأنام ملء أجفاني. وفي حلمي الجميل أستسيغ الموت هكذا في سبيل رضاك. دعي هيامي الاثري يغوص في بحر عواطفك، اذا كان مقدّرا لسراج حياتي ان ينطفئ بين يديك.

لوسيانا : هل اصابك مس من الجنون لتهدّي هكذا ؟
انطيفولوس سرقوسه : انا لست مهووسا، لكنني فقدت البصيرة، ولا ادري كيف.

لوسيانا : الذنب ذنب عينيك.
انطيفولوس سرقوسه : لقد بهرني التحديق في عينيك الساحرتين، ايتها الشمس الساطعة.

لوسيانا : وجّه أنظارك حيث يجب، فسترد وعيك ايها المغفل.

انطيفولوس سرقوسه : أَفْضَلُ أَنْ أَعْمَضَ عَيْنَيَّ، يَا حَبِيبَتِي، عَلَى أَنْ يَفْشَى ظِلَامُ
الليل بصري.

لوسيانا : لماذا تدعوني حبيبتك ؟ عليك ان تنادي أختي هكذا.

انطيفولوس سرقوسه : ولماذا لا أنادي هكذا أخت اختك ؟

لوسيانا : اختي انا ؟

انطيفولوس سرقوسه : كلا. انت، انت يا قطعة من كبدي، يا نور عيني، يا
احلى آمالي وأغلى أمانئي، يا نيمي وسعادتني، يا نصيبي من الخلود.

لوسيانا : أختي هي لك كل ما تعدّه الآن، او ما يجب ان توجهه اليها.

انطيفولوس سرقوسه : ألا كوني انت هذه الشقيقة. فأنت وحدك قبله رجائي،
وأنت وحدك اتيه في هواك، ومعك وحدك أريد ان اقضي بقية عمري. انت
غير متزوجة بعد، وأنا ليس لي من زوجة ان صح التعبير، فتكرمي عليّ برضاك
واقبلي بأن تصبحي شريكة حياتي.

لوسيانا : مهلا، مهلا. هديء روعك، يا سيدي. انا ذاهبة لآتيك بأختي،
ولأطلب لك موافقتها.

(تخرج لوسيانا)

(يدخل دروميون سرقوسه، وهو خارج من البيت)

انطيفولوس سرقوسه : الى اين انت مسرع، يا دروميون ؟

دروميون سرقوسه : أتعرفني، يا سيدي ؟ هل انا دروميون ؟ آنا رجلك ؟ هل
انا بذاتي ؟

انطيفولوس سرقوسه : أجل، انت دروميون. انت رجلي، انت بذاتك.

دروميون سرقوسه : انا حمار. انا رجل امرأة. انا غير ما انا.

انطيفولوس سرقوسه : انت رجل اية سيدة ؟ وكيف انت غير ما انت ؟

دروميون سرقوسه : انا، يا سيدي، لم اعد أخصّ نفسي. انا ملك امرأة تدّعي
انها زوجتي، وهي تهيمن على عقلي وتريدني ان اكون اسيرها.

انطيفولوس سرقوسه : وماذا لها عليك من حقوق ؟

دروميون سرقوسه : عين ما لك من حقوق على حصانك، يا سيدي. هي
تطالب بي كمطية، لا لاني مطيتها، بل لانها ترغب في ان اكون كذلك،

ولأنها هي ذاتها مغطورة على هذه الغريزة، لا تقوى على رؤيتي الا على هذه الصورة.

انطيفولوس سرقوسه : من تعني ؟

دروميون سرقوسه : زوجتي الفاتكة الاحترام التي لا يسعني ان أكلمها الا بكل وقار وإجلال. انما صفقتي في الاقتران بها عادت عليّ بأبخس الأرباح، مع ان هذا الزفاف كان دسما جدا جدا.

انطيفولوس سرقوسه : ماذا تقصد بالزفاف الدسم ؟

دروميون سرقوسه : انها ابنة مطبخ، وكلها شحم ولحم، لا ادري كيف أستخدمها، ربما لأصنع منها مصباحا اهرب منها على ضوئه. أؤكد لك ان ملابسها القديمة بما فيها من دهن تظل مشتعلة طوال الشتاء القارس البرد، وان عاشت الى يوم القيامة تظل مشتعلة مدة اسبوع زيادة عن سائر البشر.

انطيفولوس سرقوسه : ما هو لون بشرتها ؟

دروميون سرقوسه : هي سمراء كحذائي. انما محياها أبعد ما يكون عن النظافة. لماذا ؟ لان العرق يتصبب منها بمقدار ما يتجمع حول أقدام الرجل الشريف من قذارة حتى الكاحل.

انطيفولوس سرقوسه : هذا عيب يغسله الماء.

دروميون سرقوسه : كلا، يا سيدي، هذا متغلغل في مسام جسمها، وطوفان سيدنا نوح عليه السلام، لا ينظفه.

انطيفولوس سرقوسه : ما اسمه ؟

دروميون سرقوسه : الطنّ، يا سيدي. انما اذ تثلّت هذا الاسم أي اذا امسى ثلاثة أطنان، فلا يوازي زنة ردفها.

انطيفولوس سرقوسه : هي اذاً من الوزن الثقيل.

دروميون سرقوسه : وهي من اعلى رأسها الى أخمص قدميها ليست أطول من عرض ردفها. هي بالحري كالكرة الارضية، ونظرا الى سعة رقعتها يتسنى لنا ان نرى جميع البلدان عليها.

انطيفولوس سرقوسه : في أية بقعة من جسمها تقع إرلندا ؟

دروميون سرقوسه : في الحقيقة، يا سيدي، هي واقعة بين إلتيهيا. ولقد

أمكنني التعرف عليها من المستقعات.

انطيفولوس سرقوسه : وأين تقع إسكلندا ؟

دروميون سرقوسه : من أرضها الفاحلة، عرفت انها في راحة كفها.

انطيفولوس سرقوسه : وأين فرنسا ؟

دروميون سرقوسه : في جبينها المالس المقبب الدائم الشموخ مع رأسها.

انطيفولوس سرقوسه : وأين انكلترا ؟

دروميون سرقوسه : لقد بحثت عن شواطئها المرتفعة الحواريّة. وإذا لم اجد فيها بياضا، قدّرت ان تكون في ذقتها، نظرا الى المد المالح الذي يجري بينها وبين فرنسا.

انطيفولوس سرقوسه : وأين اسبانيا ؟

دروميون سرقوسه : والله، لم أعثر لها على أثر. انما أحسست بحرارتها في أنفاسها.

انطيفولوس سرقوسه : وأين اميركا والهند ؟

دروميون سرقوسه : على انفها المزّين بالياقوت والفيروز وسائر الاحجار الكريمة التي يهر بريقها بفعل وهج منطقة اسبانيا التي ارسلت اساطيلها لتزود من خيشمها.

انطيفولوس سرقوسه : وأين تقع بلجيكا ثم هولندا ؟

دروميون سرقوسه : لم أخفض نظري الى اسفل، يا سيدي. ففي الختام طالبت هذه الساحرة القذرة بحقوقها عليّ، ودعتني دروميون، وأقسمت لي بأنها اصبحت مالكتي، وأفهمتني ما لها عليّ من حقوق خاصة، وأحدثت علامة فارقة في كتفي وأخرى في عتقي، وبُثورا في يدي اليسرى، حتى انها اخرجتني عن رشدي، فهربت منها مهرولا كما يتعد الصحيح عن الأجرب. وأعتقد بأنها لو لم يكن صدري عامرا بالايامن وقلبي صلبا كالفلواز، كانت حوّلتني الى كلب صغير، وجعلتني أدير لها سيخ شواء اللحم.

انطيفولوس سرقوسه : عجل اذا في الذهاب الى الشاطئ، فالاولى ان تبعدنا الرياح بسرعة عن اليابسة. انا لا أريد قضاء الليلة في هذه المدينة. فان لقيت هناك مركبا مقلعا بادر وانبتي في السوق حيث انوي ان أتزّه قليلا. انا هنا

يعرفني الجميع ولا اعرف احدا، لذا يجعل بي ان اسافر في اقرب فرصة.
دروميون سرقوسه : كما يهرب الانسان من الدب ويطلق ساقيه للريح، هكذا
أقرّ انا من زوجتي لأغرم نفسي.

(يخرج)

انطيفولوس سرقوسه : هذه البلاد تسكنها الساحرات الخبيثات. لذلك يتحتم
عليّ ان أرحل عنها بسرعة. فان المرأة التي تدعوني زوجها، دفعتني الى كرهها
من كل جوارحي. انما اختها الرائعة اللطيفة الناعمة الطليّة الحديث الجذابة
العينين، فتنتني وحملتني على الكفر بنفسي. ولكني لكي لا أساهم في هدم
حياتي صممت على سد أذنيّ حتى لا أسمع نداءات هذه الحورية المغرية.

(يدخل انجلو)

انجلو : سيدي انطيفولوس ؟

انطيفولوس سرقوسه : نعم، انا هو.

انجلو : مرحبا، يا سيدي. هذه هي السلسلة. فكرت بأن أوافيك الى نزل
« القنفذ » انما السلسلة لم تكن بعد جاهزة. وهذا ما أخرني بعض الوقت.
(يقدم له سلسلة ذهبية).

انطيفولوس سرقوسه : ماذا تريدني ان أفعل بها الآن ؟

انجلو : ما يحلو لك، يا سيدي، فقد صغتها خصيصا لك.

انطيفولوس سرقوسه : هل صغتها لي ؟ انا لم اطلبها منك.

انجلو : لم تطلبها مرة او مرتين بل عشرين مرة. خذها وعد الى بيتك وقدمها
الى زوجتك. فها قد دنا وقت العشاء. سأزوركم عندئذ وأقبض ثمن السلسلة.
انطيفولوس سرقوسه : تفضل خذ القيمة حالا، وإلا لن تفوز لا بالسلسلة ولا
بشمنها.

انجلو : مزاحك مزعج، يا سيدي. الوداع.

(يخرج)

انطيفولوس سرقوسه : ما هذا التصرف السخيف ؟ لست أدري. انما لا يوجد
في الدنيا من أحق يرفض عرضا لشراء سلسلة كهذه. كيف لا يسع المرء ان
يتمتع بالحياة وهو يعالج أموره بالهرج والمرج، ويتسنى له ان يتلقى في

الطرقاٲ هدايا قِيمة كهذه ؟ سأذهب الى السوق حيث أنتظر قلوب دروميون.
واذا وجد سفينة مقلعة، عليّ ان أرحل فوراً.

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في الساحة

(يدخل تاجر وانجلو وضابط علي)

التاجر : هل تعلم ان المبلغ مستحق منذ مدة طويلة، وأنا في هذه الأثناء لم أضايقك بمطالبتك به، ولن أفعل ذلك اليوم حتى ولو كنت عازما على السفر الى بلاد الهند وكنت لا املك فلسا. فأرجوك ان تبرئ ذمتك حالا، وإلا طلبت الى هذا الضابط ان يوقفك.

انجلو : سأقبض الآن هذا المبلغ من انطيفولوس، وأسدد لك دينك. حينما التقيت بك، سلمته سلسلة وعدني بأن يدفع لي ثمنها حول الساعة الخامسة. فأرجوك ان ترافقني اليه لأفيك ما لك عليّ، وأغدو لك من الشاكرين.

(يدخل انطيفولوس أفسس ودروميون أفسس)

الضابط : وفر على نفسك هذا العناء، فهذا قد اتى.

انطيفولوس أفسس (لدروميون) : اذهب واشتر لنا قطعة من الحبل، ريثما أمضي الى الصائغ. سأكون سخيا على زوجتي وأعوانها، وأعلمهم كيف يفلقون الباب دوني في رابعة النهار. لكن مهلا، ها هو الصائغ مقبل. اذهب حالا واشتر الحبل وأوصله الى البيت.

دروميون أفسس : لقد اشتريت بألف دينار سلعا مختلفة، وها انا اشترى قطعة من الحبل ايضا.

(يخرج دروميون)

انطيفولوس أفسس (لأنجلو) : انا متكل عليك. وقد وعدت الصائغ بمجيك ومعك السلسلة. لكن لا السلسلة حضرت ولا الصائغ حضر. اعتقدت بأن حبا سيدوم الى الابد اذا ربطناه بسلسلة، وهذا ما أخرني عن القدوم. **انجلو :** لا تعكر مزاجك المرح، يا سيدي. هذا حساب قيمة السلسلة بموجب وزنها على آخر قيراط، مع ذكر عيار الذهب وأجرة اليد العاملة. المبلغ اجمالا يناهز ثلاثمئة دينار اكثر مما انا مدين لهذا السيد. فأرجوك ان تسدد ما له عليّ من الدين، لانه ينتظر قبض المبلغ ليركب البحر. **انطيفولوس أفسس :** انا لا احمل المبلغ اللازم. ثم لدّي قضاء حاجة في المدينة. رافق، يا سيدي الكريم، هذا الغريب الى منزلي واجلب السلسلة، وقل لزوجتي ان تنقذك الثمن عند استلامها اياها، ومن المرجح ان اكون في ذلك الحين قد وافيتكم الى هناك.

انجلو : انت تود ان تحمل اليها السلسلة بنفسك ؟ **انطيفولوس أفسس :** بل احملها انت اليها، خشية ان لا اصل في الوقت المناسب.

انجلو : حسناً، يا سيدي. هل معك السلسلة ؟ **انطيفولوس أفسس :** اذا لم تكن بحوزتي، يا سيدي، فلا بد من ان تكون معك انت، وإلا عدت بدون ان تستوفي ما لك. **انجلو :** ارجوك، يا سيدي، ان تعطيني السلسلة. لان الريح والبحر ينتظران هذا السيد، والملازمة تقع عليّ اذا حجزته هنا هكذا طويلا. **انطيفولوس أفسس :** يا الهي ! انت تلجأ الى هذه الثروة لكي تجد عذرا على إغلافك بوعدك في نزل القنفذ. عليّ ان أوبخك على عدم احضارها معك، وأنت المخالف تسبني الى اللوم والعتب.

التاجر (لأنجلو) : الوقت يمضي. ارجوك، يا سيدي، ان تعجل.

انجلو (لانطيفولوس) : أترى كيف يضايقني ؟ هاتِ السلسلة.

انطيفولوس أفسس : هيا خذها الى زوجتي التي ستقذك ثمنها.
انجلو : لماذا المماطلة ؟ انا واثق بأني سلمتك السلسلة منذ لحظة. فما عليك
الا ان ترسلها او ان ترسل كلمة بمعيتي.
انطيفولوس أفسس : تباً لك. لقد تعدى مزاحك ابعاد حدود الاحتمال. هيا،
اين السلسلة ؟ أرنى اياها. ارجوك ثم ارجوك.
التاجر : اعمالى لا تسمح لى بالتأخر اكثر مما فعلت. قل لى يا سيدى العزيز،
أتريد ان تدفع لى أم لا ؟ وإلا لىس امامى سوى ان اشكوك الى الشرطة.
انطيفولوس أفسس : آنا، ادفع لك ؟ وماذا عليّ ان ادفع لك ؟
انجلو : المال المتوجب عليك كضمن السلسلة.
انطيفولوس أفسس : انا لست مدينا لك بشيء طالما لم أستلمها بعد.
انجلو : هل نسيت انى سلمتك اياها منذ نصف ساعة.
انطيفولوس أفسس : انت لم تسلمنى شيئاً، وأدعاؤك الباطل اهانة بحقي لا
تفتقر.
انجلو : انك تهينتى اكثر، يا سيدى، بانكارك هذا، لا يغرب عن بالك ان دينى
مقدس.
التاجر (يشير الى انجلو) : ارجوك، يا سيادة الضابط، ان توقفه بناء على
طلبي.
الضابط (لأنجلو) : انا أقبض عليك، وأنذرك باسم الدوق، ان تنصاع
لأوامري.
انجلو (لأنطيفولوس) : هذا يمس بسمعتي وشرفي. ارجوك ان تدفع عني،
وإلا طلبت من هذا الضابط توقيفك حالا.
انطيفولوس أفسس : كيف ادفع عنك ما لا يتوجب عليّ. اوقفني ايتها
الاحمق، اذا تجاسرت على ذلك.
انجلو (للضابط) : هذه أتعابك، يا سيادة الضابط، واقبض عليه. لن أعف عن
اخي بذاته في مثل هذا الوضع، اذا احتال عليّ بصورة مفضوحة كهذه.
الضابط (لأنطيفولوس) : انى اقبض عليك، ايتها السيد، وقد سمعت الطلب
بأذنك.

انطيفولوس أفسس : انا اطيعك، ريثما اعطيك مبلغ الكفالة لإخلاء سبيلي.
انما ستدفع لي، ايها الخبيث، ثمن هذا المزاح باهظا جدا، وكل معدن محلك
لن يكفيني.

انجلو : أعلم، يا سيدي، اني سأقاضيك في أفسس، وأشك كثيرا في ان يصدر
الحكم لصالحك.

(يدخل دروميون سرقوسه)

دروميون سرقوسه (لأنطيفولوس) : سيدي، هناك مركب من ايدمنوم لا
ينتظر للاقلاع سوى وصول صاحبه. لذا نقلت امتعتنا الى السفينة، واشترت
زيتا وعطرا وخمرا. فالمركب جاهز والرياح مناسبة في هبوبها من اليابسة
بانتظار قدوم صاحبه وقدومك يا سيدي.

انطيفولوس أفسس : هل اصابك مس من الجنون ؟ ايها الحيوان الغبي ؟ أي
مركب من أيدمنوم ينتظرنني ؟

دروميون سرقوسه : المركب الذي ارسلتي لحجز امكتنا عليه بغية السفر
عاجلا.

انطيفولوس أفسس : يا لك من سكير أحمق ! أنا ارسلتك لتشتري جبلا
وأفهمتك ما غاييتي منه.

دروميون سرقوسه : وهل ارسلتني لكي اشق نفسي ؟ ما بك، يا سيدي. ثم
انت ارسلتني لأبحث لك عن مركب للسفر.

انطيفولوس أفسس : سأناقشك هذه المسألة في وقت فراغي، وسأعلم أذنك
كيف تصغيان الي بانتيباه اكثر. اذهب حالا، ايها الشقي، الى ادريانا واعطها
هذا المفتاح، وقل لها ان في المكتب المغطى بسجادة عجمية كيس دنانير،
أريد منها ان ترسله اليّ. قل لها اني اوقفت في الطريق، وان ما اطلبه من مال
سأدفعه لإخلاء سبيلي. اسرع ايها الاحمق، أسرع. انا طوع املك ايها الضابط،
هيا الى السجن، ريثما يعود (يخرج التاجر وانجلو وأنطيفولوس أفسس
والضابط).

دروميون سرقوسه : عزيزتي ادريانا، هنا قد تغدينا، حيث التقينا الغادة التي

أدعت اني زوجها. هي بدينة جدا، وآمل ان أتمكن من معانقتها. انا مرغم على العودة الى هناك، ما دام محتما على الخدم ان يطيعوا سيدهم.

(يخرج)

المشهد الثاني

في منزل انطيفولوس أفسس

(تدخل ادريانا ولوسيانا)

ادريانا : آه ! يا لوسيانا. لقد غشك المحتال الغدار. هل استطعت ان تتبينني جيدا ان كان عليه مظهر الجد ام لا ؟ هل كان محياه احمر ام شاحب اللون ؟ هل كان عابسا ام مرحا ؟ وهل تسنى لك ان تلاحظي على وجهه علامات انفعال عواطفه نظير عناصر الجو المتصارعة ؟

لوسيانا : لقد انكر في بادىء الامر ان لك عليه اية حقوق.

ادريانا : قصد ان يقول انه لا يمنحني أي حق، وهذه اهانة فظيعة.

لوسيانا : ثم أقسم انه هنا كالغريب.

ادريانا : لقد أقسم الخائن زورا وبهتانا.

لوسيانا : اذ ذاك تكلم باسمك.

ادريانا : وماذا قال ؟

لوسيانا : توسّل الخسيس مني لنفسه الحب الذي التمسته منه لك.

ادريانا : وما حجته في توسّله اليك ان تحبيه ؟

لوسيانا : كان لكلامه أثر لو انه قاله في قضية لائقة. أولا، امتدح جمالي، ثم اثنى على حديثي.

ادريانا : وهل خاطبته باللهجة اللازمة ؟

لوسيانا : أستحلفك بأن تطيلي بالك عليّ قليلا.

ادريانا : انا لا استطيع، ولا اريد ان اكبت شعوري. لان لساني وقلبي لا بد لهما من ان يطمئنا على مصري. هو معوج مشوه مسن ذابل قبيح الوجه مشلول الجسم، كل ما فيه كره نذل منحط احمق غبي عاق، كما هو شنيع الخلق كذلك هو بذيء الخلق.

لوسيانا : ومن ذا يغار من شخص ساقط كهذا ؟ أعتقد بأن لا احد يبكي أسفا على خسارة شرير ذميم نظيره.

ادريانا : لكني اظن بأنه يحوي حسنات اكثر مما أنسبه اليه. مع ذلك أتمنى ان يكون له نواقص أوفر في نظر الآخرين. يا له من ثعلب محتال يعوي وهو يتعبد عن مأواه، وبينما قلبي يلتمس له البركة ترى لساني يكيل له اللعنات.

(يدخل دروميون سرقوسة)

دروميون سرقوسة : هيا بنا نمضي على عجل. اعطني من المكتب، كيس النقود. اسرعي، ايها السيدة العزيزة، اسرعي.

لوسيانا : كيف تقطعت أنفاسك هكذا ؟

دروميون سرقوسة : من شدة الركض.

ادريانا : اين سيدي دروميون ؟ هل هو بخير ؟

دروميون سرقوسة : كلا. هو يتقلّى على جمر الغضى، كأنه في نار الجحيم، وقد أسلم ذهنه لشیطان رجيم، لا قلب له ولا ضمير، لمصاص دماء لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، لذئب مكشر الأنياب، لثور شرس هائج، لصديق خائن يعرف من أين تؤكل الكتف، لمارد يعرقل السير ويسد السبل، لمنافق مضلل شارد عن طريق الحق وهو يعرف جيدا أين السراط المستقيم، لعفريت ماكر بصورة بشر يقود النفوس الى ظلمات التيه والضيايع.

ادريانا : ما هذه الألفاظ، يا عزيزي ؟ ما الأمر ؟

دروميون سرقوسة : لست ادري. لقد القي القبض عليه.

ادريانا : هل ألقي القبض عليه حقا ؟ بربك، قل لي لأي سبب ؟

دروميون سرقوسة : لا أعلم لماذا اعتقل. انما الخبر اليقين، هو انه أوقف لتصرفه الدنيء. أتريدني، يا سيدتي، ان ترسلني له المال الموجود في مكتبه ليدفعه كفدية عن نفسه ؟

ادريانا : اذهبي واجليه له، يا اختي. (تخرج لوسيانا) انا متعجبة كيف استندان هكذا وبدون علمي. قل لي، هل اعتقل لاجل ورقة ؟
دروميون سرقومه : لا ليس لاجل ورقة بل لاجل ما هو اهم، لاجل سلسلة.
أجل لاجل سلسلة. هل سمعت الصوت ؟
ادريانا : صوت السلسلة ؟

دروميون سرقومه : لا، لا، صوت الجرس. لقد حان وقت ذهابي. كانت الساعة الثانية عندما غادرت سيدي، وها هي الساعة تدق الآن الواحدة.
ادريانا : وهل الساعة تسير الى الوراء، يا مغفل ؟ لم أسمع في حياتي مثل هذا الهراء.

دروميون سرقومه : نعم، طبعاً حينما تصادف الساعة شرطياً يجعلها الخوف تعود القهقري.

ادريانا : كأن الوقت عليه ديون. ما اسخف تفكيرك، يا هذا !
دروميون سرقومه : الوقت عامل فعال في الافلاسات، وفي هذه المناسبة، هو مدين بأكثر مما يساوي. وهو ايضا لص. أولم تسمعي بأن الوقت يسير اثناء الليل خلسة ؟ هو اذاً مدين وسارق، وما ان يصادف رجل أمن حتى يهرول الى الوراء مقدار ساعة في اليوم.

ادريانا : هيا، يا دروميون، هاك النقود، خذها عاجلاً وعد بسيدك فوراً. تعالي، يا أختاه، انا مرهقة الفكر، تارة اراه محقاً، وطوراً محقوقاً.

(يخرجون)

المشهد الثالث

في ساحة السوق

(يدخل انطيفولوس سرقوسه)

انطيفولوس سرقوسه : لم أصادف انسانا الا سلم عليّ كما لو كنت له صديقا قديما، والجميع ينادونني باسمي. البعض يعرض عليّ مالا، والبعض الآخر يدعوني الى الغداء، منهم من يشكرني على خدمة أسديتها له، ومنهم من يعرض عليّ بضاعة لاشترئها. منذ لحظة استدعائي خياط الى مشغله وأراني حرائر ابتاعها لأجلي، وما عثم ان اخذ قياساتي. حتما كل هذا مصطنع ومحير، لان جمعا من السحرة الدجالين يقيمون هنا.

(يدخل دروميون سرقوسه)

دروميون سرقوسه : اليك بالذهب الذي ارسلتني في طلبه، يا سيدي. ماذا ارى ؟ هل تخلصت من عقدة ايننا آدم المرتدي ثوبا جديدا ؟ انطيفولوس سرقوسه : ما هذا الذهب ؟ وعن أي آدم تتكلم ؟ دروميون سرقوسه : لا ليس عن آدم الفردوس، بل عن آدم المسجون، عن الذي وراعيك، يا سيدي، نظير ابليس اللعين، وأجبرك على التخلي عن حريتك. انطيفولوس سرقوسه : انا لا افهم ما تقول.

دروميون سرقوسه : مع ان الامر واضح نظير صوت مزمار القرب. فالرجل، يا سيدي، عندما يكون الناس مرهقين، يشفق على المفلسين منهم، ويلبسهم ثوب السجن المؤبد، وهو يدعي تنفيذ القانون بوسائل تبرزه أبرع من الخيال في تسديد رمحه.

انطيفولوس سرقوسه : ماذا تعني ؟ هل تريد ان تلجأ الى الشكوى ؟ دروميون سرقوسه : أجل، يا سيدي. فالضابط الذي يفرض على امرئ تأدية

حساب تمنع عن دفعه، قد تلكأ هو شخصيا في تأدية ما عليه من واجب، وهذا الضابط بعينه يظن نفسه انه ذاهب الى النوم، بينما هو يشتهي وجبة طعام لذيذ يملأ بها بطنه.

انطيفولوس سرقوسه : هيا، يا صاحبي، دعك من انحرافاتك هذه. هل من مركب مقلع هذا المساء ؟ وهل نستطيع ان نرحل على متنه ؟
دروميون سرقوسه : لقد اعلمتك، يا سيدي، منذ ساعة ان السفينة الراحلة تنشر اشعتها هذا المساء. لكن الضابط احتجزك وحرّم عليك السفر. ها هي الدنانير التي ارسلتني في طلبها لاجل خلاصك. (يناوله المال).
انطيفولوس سرقوسه : هذا المسكين يهذي، وأنا كذلك. وكلانا هنا نتيه في بحر من الأرواح. أَللهم نجنا من هذه الورطة.

(تدخل غاية)

الغاية : صدفة سعيدة، صدفة سعيدة حقا، يا سيدي انطيفولوس. ارى انك وجدت الصائغ اخيرا. هل هذه هي السلسلة التي وعدتني بها اليوم.
انطيفولوس سرقوسه : أبعد عني، يا شيطان، فأنا آبي ان تجرّبنني.
دروميون سرقوسه : يا سيدي، هل هذه شريكة الشيطان ؟
انطيفولوس سرقوسه : بل الشيطان بذاته.

دروميون سرقوسه : كلا، هي أفضح منه. إنها أنثى الشيطان قادمة الى هنا بهيئة غادة. لذلك عندما تقول المرأة لعنة الله عليّ، كأني بها تقول، جعل الله مني غادة فاتنة. لقد جاء في الكتاب الكريم، انها تظهر للرجال نظير المخلوقات الملتهبة، فاللهب مصدره النار، والنار محرقة. اذا وظيفة الغادة ان تحرق، فإياك ان تقربها.

الغاية : أنت وخادملك كلاكما ظريفان مرحان للغاية، يا سيدي، فهلا رافقتماني ؟ سنجد هنا حتما ما يكفينا لعشاء فاخر.
دروميون سرقوسه : اذا مضيت، يا سيدي، تكون قد وعدت نفسك بأكلة شهية. لذا عليك، يا سيدي، ان تتسلح بملعقة طويلة.
انطيفولوس سرقوسه : ولماذا يا دروميون ؟

دروميون سرقوسه : لان الانسان يحتاج الى ملعقة طويلة كي يتسنى له ان يأكل برفقة ابليس.

انطيفولوس سرقوسه (للغانية) : ابتعدي عني اذا يا بديلة الشيطان. لماذا تكلميني عن العشاء ؟ انتِ ساحرة نظير جميع أمثالك، فأستحلفك ان تدعيني وشأني وتبعدي عني.

الغانية : أعطني الخاتم الذي أخذته مني ونحن على مائدة الغداء، او السلسلة التي وعدتني بها لقاء الماسة التي كانت بحوزتي، وسأذهب، يا سيدي، بدون ان أسبب لك اي إحراج.

دروميون سرقوسه : هناك شياطين لا يطلبون الا مثقال ذرة، او قشة او شعرة او نقطة دم او دبوس او جوزة او بزررة كرز. لكن هذه الطماعة تريد ان تستولي على سلسلة ذهبية. انتبه، يا سيدي، اذا اعطيتها اياها فأبليس سيلفّ السلسلة حول عنقنا ويخنقنا.

الغانية : ارجوك، يا سيدي، ان تسملي خاتمي او السلسلة. ارجوك ان لا تنوي سرقتي هكذا.

انطيفولوس سرقوسه : ابتعدي عني ايها الساحرة. هيا، يا دروميون، نرحل فوراً.

دروميون سرقوسه : حتى الطاووس المتشامخ قال تباً للمتكبّر المتجبر. وحتماً انت لا تجهلين ذلك.

(يخرج انطيفولوس سرقوسه ودروميون سرقوسه)

الغادة : لا شك في ان انطيفولوس مجنون، وإلا ما تصرف على هذا النحو. لقد حصل مني على خاتم يساوي اربعين ديناراً، ووعدي مقابلته بتسليمي سلسلة من الذهب. والآن يريد أن يقنعني بأنه مهووس، فوق البرهان الذي قدمه الآن، وهو الحساب السخيف الذي يئنه لي اليوم اثناء الغداء، مدّعياً ان باب بيته قد أغلق هذا النهار في وجهه. ألا يجوز ان تكون زوجته التي بلغها ما اقترفه من منكرات قد منعه فعلاً من الدخول الى البيت ؟ فلم يبق لي سوى ان أسارع الى منزله وأبلغ قريبته انه في ساعات هله، قد داهم بيتي بغته وانتزع

خاتمي من اصبعي عنوة، وهذا أفضل موقف يمكنني ان الجأ اليه لأتلافى
خسارة الأربعين ديناراً الجسيمة جداً عندي.
(تخرج)

المشهد الرابع

في السوق

(يدخل انطيفولوس أفسس وضابط علي)

انطيفولوس أفسس : لا تخف ابدا، يا صديقي، فأنا لن اهرب. وقبل ان
اغادرك سأدفع لك ككفالة مبلغا يوازي الذي أوقفتني لأجله. زوجتي اليوم
حادة المزاج، ولن تصدّق ما يبلغها اياه الرسول عن اعتقالني في أفسس. أوكد
لك انها حتما وقعت على تفاصيل هذا النبأ المزعج.

(يدخل دروميون أفسس ممسكا بقطعة حبل)

هذا رجلي، وأظنه يجلب المال معه. هل أتيت، يا صاح، بما أرسلتك في
طلبه ؟

دروميون أفسس : هاك ما يكفي لدفع كل المتوجب عليك.

انطيفولوس أفسس : لكن أين بقية النقود ؟

دروميون أفسس : لقد دفعتها ثمن الحبل.

انطيفولوس أفسس : خمسمئة دينار، يا شقي، ثمن قطعة الحبل ؟

دروميون أفسس : سأقدم لك خمسمئة تحية، يا سيدي، بهذا المبلغ.

انطيفولوس أفسس : لماذا أرسلتك اذا الى البيت على عجل ؟

دروميون أفسس : لأجل قطعة حبل، وقد جئت بها.

انطيفولوس أفسس : واليك الغاية التي من أجلها استلمتها (يضر به).

الضابط : مهلا، يا سيدي العزيز.

دروميون أفسس : انا المحتاج الى الصبر، لأنني واقع في أصعب الورطات.

الضابط : ارجوك، يا سيدي، أن تصون لسانك.

دروميون أفسس : الأولي بك أن تقنعه بأن يصون يده.
انطيفولوس أفسس : يا ابن الزانية ايها اللص المحتال، أراك فقدت رشذك.
دروميون أفسس : أتمنى أن أكون فقدته كي لا أحس بضرباتك.
انطيفولوس أفسس : أنت كالحمار لا تشعر حتى بالضرب.
دروميون أفسس : في الواقع، أنا حمار كما تثبت ذلك أذناي اللتان أطالتهما
يداك. لقد خدمته منذ صغري حتى اللحظة الحاضرة، ولم ينبني منه لقاء ذلك
سوى الضرب. فعندما أبرد يدفني بلطمة، وعندما أحمي يوطبني أيضاً بلطمة.
لطمة توقظني حين أنام وتجعلني أهب واقفاً حين أجلس، ولطمة تدفعني الى
الخارج عندما أمضي، وتستقبلني عندما أعود. وهي على كفتي نظير طفل
متسول وأعتقد بأنه حين يعطيني ويشوهني سأنتقل بها من باب الى باب مثل
الشحاذ كأنها كشكول أضع فيه ما أجمعه من إحسان.

(تدخل ادريانا ولوسيانا والغانية والمدرس بنش)

انطيفولوس أفسس : هيا نتقدم. ها هي زوجتي تقترب.
دروميون أفسس : يا سيدتي، دنت ساعتك، فانتبهني الى تصرفك او بالحري
الى اقوالك التي ترددتها كالبغاء. ثم إياك وقطعة الجبل.
انطيفولوس أفسس : ما لك تثرثر وتثرثر على الدوام ؟ (يضر به).
الغانية : ما رأيك الآن ؟ أوليس زوجك مجنوناً ؟

ادريانا : لغوه اول شاهد على هوسه. ايها الدكتور الكريم بنش، انت محضر
أرواح، فأرجوك أن تعيده الى صوابه، وأنا مستعدة لمنحك ما تشاء.
لوسيانا : وا أسفاه ! نظراته تائهة وعيونه زائغة من شدة الغضب.
الغانية : انظر اليه كيف يزمجر في هذيانه.

بنش (لأنطيفولوس) : هات يدي، دعها تجس أذنك.
انطيفولوس أفسس : هاك يدي، دعها تجس أذنك.
بنش : اني أمرك، ايها الشيطان الساكن في هذا الرجل، أن تنسحب مخزياً
امام صلواتي المقدسة، وأن تعود بأسرع ما يمكن الى مملكتك في عالم
الظلمات. أمرك بالخروج باسم جميع أولياء الجنة.
انطيفولوس أفسس : اهدأ، ايها الساحر الخرفان، اهدأ، لأنني لست مجنوناً.

ادريانا : أتمنى أن تكون بكامل عقلك ؟ ايها المرهق المسكين.
انطيفولوس أفسس (لأدريان) : أهؤلاء هم اصحابك، يا حلوة ؟ هل هذا
الصديق، الكالـح الوجه كالزعفران، هو الذي يشترك اليوم في وليمتك، ويتنوّق
المآكل اللذيذة التي تزين سفرتي، بينما باب بيتي موصد في وجهي، ودخول
منزلي محرم عليّ.

ادريانا : ما هذا الكلام، يا زوجي العزيز ؟ أنسيت انك تغديت في البيت ؟ فلو
مكثت فيه حتى هذه الساعة، لتجنبـت الوقوع في هذه الفضيحة المشينة وهذه
المهزلة السخيفة.

انطيفولوس أفسس (للدروميون) : أنا تغديت في البيت ؟ ما قولك أيها
الخدّاع ؟

دروميون أفسس : اني لا انطق إلا بالحقيقة، يا سيدي، عندما أصرح بأنك لم
تناول اليوم طعام الغداء في البيت.

انطيفولوس أفسس : أولم يكن باب بيتي موصدا في وجهي، وأنا خارج
المنزل.

دروميون أفسس : والله، كان باب بيتك موصدا، وأنت خارج المنزل.

انطيفولوس أفسس : أوما أهانتني هي نفسها ؟

دروميون أفسس : بدون كذب، نعم، قد أهانتك.

انطيفولوس أفسس : أولم تشتمني مساعدتها في المطبخ وتحتقروني وتسخر
مني ؟

دروميون أفسس : أجل، ان خادمة المطبخ قد سخرت منك.

انطيفولوس أفسس : أولم أذهب ساخطا غاضبا ؟

دروميون أفسس : نعم، نعم. في الحقيقة، جرى كل ذلك بحذافيره، والبرهان
عظامي المرتجفة التي أحست بوطأة هياجها وعنفها.

ادريانا (لبنش) : أمن اللائق أن يتعرض الانسان الى أهوائها المستهترّة ؟
بنش : لا بأس. فهذا الشاب ينساق وراء ميوله، وبانهرافه يستسلم الى حماقته
وغطرسته.

انطيفولوس أفسس (لأدريانا) : انت حرّضت الصائغ ليطلب توقيفي.

ادريانا : مع الأسف، أرسلت لك النقود لإخلاء سبيلك بواسطة دروميون الحاضر ها هنا، وقد أتاني مستعجلاً ليأخذها.

دروميون أفسس : أرسلت نقوداً بواسطتي ؟ ان كان الأمر مسألة تخمين فهذا ممكن. لكنني على يقين، يا سيدي، بأن لا أثر في القصة لأية نقود.

انطيفولوس أفسس : ألم تذهب لتطلب منها كيس الدنانير ؟
ادريانا : لقد جاءني، وسلمته إياه.

لوسيانا : وأنا شاهدة على ذلك.

دروميون أفسس : الله وبائع الحبال يشهدان على أنني لم أذهب إلا لجلب قطعة الحبل.

بنش (لأدريانا) : يا سيدتي، ان سيدي والخادم يسكنهما ابليس، وأنا أرى ذلك في ما يبدو على سحتيهما من الشحوب والانقباض. لا بد من ربطهما ووضعهما على انفراد في غرفة مظلمة.

انطيفولوس أفسس (لأدريانا) : لماذا أغلقت الباب اليوم في وجهي؟
(لدروميون) وأنت، لماذا تنكر أنك استلمت كيس الذهب ؟

ادريانا : يا زوجي الكريم، انا لم أغلق الباب في وجهك.

دروميون أفسس : وأنا يا سيدي الفاضل، لم استلم ذهباً. لكنني أقر بأن الباب كان موصداً في وجهينا نحن الاثنين.

ادريانا : ايها الغشاش المنافق، انت هنا ترتكب لا خطأ واحداً بل خطأين.

انطيفولوس أفسس : ايها العاهرة الخبيثة، انت المخطئة في كل ما تدعين.

انت متواطئة وهذه الطغمة الحاكمة اللعينة، لتجعلني مني مخلوقاً مرذولاً ومهرجاً

حقيراً. لكني بأظفاري هذه سأقتلع عينيك هاتين اللتين شأتا ان تصيراني ألعوبة

في أيدي هؤلاء الأوغاد (يبادر بنش الى ربط انطيفولوس ودروميون

المتناقشين).

ادريانا : أوثقه، أوثقه جيداً، ولا تدعه يدنو مني.

بنش : النجدة ! أرى الشيطان ناثراً الأعصاب في بيته.

لوسيانا : يا للأسف ! كم شحب لون هذا الرجل المسكين واضطربت

أعصابه !

انطيفولوس أفسس (يدافع عن نفسه) : أتريد أن تقتلني ؟ أيها السجنان انا حبيسك. فهل ترضى بأن ينتزعني أحد منك ؟

الضابط : أتركوه وشأنه، يا سادة، فهو سجين، ولن تستأثروا به.

بنش : هيا اربطوا هذا الرجل، لأنه هو ايضا في حالة هياج مخيف.

ادريانا : ماذا تريد، ايها الضابط الأحمق ؟ هل يسرك أن ترى رجلا تعيسا يتعرض للאהانة والعذاب ظلما ؟

الضابط : هو سجين، واذا تركته يمضي، سأطالب انا بالمبلغ الذي يتوجب عليه تسديده.

ادريانا : انا ارفع عنك المسؤولية قبل ان يغادرك. خذني فوراً الى دائته، وحالما أعرف كيف تمت صفقة هذا الدين، سأخلي سبيله. عزيزي الدكتور اسألك بل ارجوك ان تؤمن له الحماية في بيتي. آه ! ما أتعب هذا النهار ! انطيفولوس أفسس : يا لك من عاهرة !

دروميون أفسس : لقد تلقيت عنك ضربة قاسية.

انطيفولوس أفسس : ليت الطاعون يفتك بك ايها المغفل ! لماذا تثير غضبي ؟ دروميون أفسس : أتريد ان تلبس التهمة وأنت بريء ؟ عليك أن تتفحص يا سيدي وتصرخ مثل ايليس.

لوسيانا : كان الله في عون المساكين. ما هذا الهديان ؟

ادريانا : خذيه من هنا، يا اختي، وتعالى معي. (بنش وأعوانه يأخذون

انطيفولوس ودروميون) قل لي، بناء على طلب من اعتقلته ؟

الضابط : بناء على طلب صائغ يدعى انجلو. هل تعرفينه ؟

ادريانا : أجل، أعرفه. ما مقدار المبلغ المطالب به ؟

الضابط : متان من الدنانير.

ادريانا : ومقابل ماذا هذا المبلغ ؟ قل لي، ارجوك.

الضابط : ثمن سلسلة، استلمها زوجك منه.

ادريانا : أوصى على سلسلة لي، ولم يستلمها ؟

الغاية : هل تعلمين أن زوجك جاءني اليوم غاضبا، وأخذ مني خاتمي، وقد

رأيت في اصبعه منذ هنيهة ؟ وبعد برهة صادفته وفي يده سلسلة.

ادريانا : هذا جائز، غير اني لم أبصره. هيا، يا سجان، خذني الى هذا الصائغ.
إذ يهمني جداً أن أطلع على حقيقة الأمر.

(يدخل انطيفولوس سرقوسه، وسيف المبارزة في يده يتبعه دروميون سرقوسه).

لوسيانا : رحماك، اللهم. ها هما قد أخلي سبيلهما.
ادريانا : وهما آتيان وفي يد كل منهما سيفه مجردا. علينا ان نستعين بمن
يقيدهما.

الضابط : لنهرب. فقد يقتلانا.

(يخرج الضابط ويتبعه لوسيانا وادريانا)

انطيفولوس سرقوسه : أرى أن هاتين المشعوذتين تخشيان السيوف.
دروميون سرقوسه : إن التي ودّت ان تكون زوجتك تهرب الآن منك.
انطيفولوس سرقوسه : تعال نذهب الى نزل السنطور لنأخذ أمتعتنا لأنني أرغب
في وصولنا بأقرب وقت الى السفينة سالمين.

دروميون سرقوسه : طاوطني لنقضي هذه الليلة هنا. فلا أحد يؤذينا. لقد
لاحظت كيف يخاطبنا الجميع بمودة ويوجدون علينا بالذهب. أرى أن القوم
هنا لطفاء، ولولا جبل الشحم واللحم، طالبة الاقتران بي، لفكرت جديا بالاقامة
في هذا المكان والعمل كساحر.

انطيفولوس سرقوسه : أنا لن أبقى الليلة هنا، ولو ملكوني جميع ثروات هذه
المدينة. هيا نضع أمتعتنا على متن السفينة.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

أمام معبد صغير

(يدخل التاجر وأنجلو)

أنجلو : أنا مستاء يا سيدي لكوني أخرتك هكذا. غير اني أحتج على أخذ السلسلة مني، وإن أنكر المحتال بطريقة سافلة.

التاجر : كيف يتمتع هذا الرجل بالاعتبار في هذه المدينة ؟

أنجلو : ميمعته محترمة جدا، والثقة به لا حد لها. هو محبوب للغاية، ولا يناوىء أحداً من السكان. وأنا استناداً الى تعهد بسيط منه أقرضه جميع ثروتي.
التاجر : تكلم بصوت خافت، فما هو مقبل على ما أرى.

(يدخل انطيفولوس افسس ودروميون افسس)

أنجلو : هذا هو، وحول عنقه تلك السلسلة التي أقسم بدناءة أنها ليست بحوزته. سيدي العزيز، إبقى بجانبني لأكلمه. يا سنيور انطيفولوس، يدهشني ان تكون وضعتني في مأزق حرج، لا يخلو من فضيحة تلحق بك، وأنت تنكر بإلحاح وتحلف بأنك لم تستلم هذه السلسلة التي تحملها الآن في عنقك علنا. فما عدا الانزعاج والتحقير والسجن، قد سببت ضررا بالغا لصديقي الشريف

الحاضر ها هنا، والذي لو لم يعتقل، بناء على طلبك، لكان الآن استقل السفينة وسافر بحرا في هذا النهار. لقد استلمت مني هذه السلسلة، فهل لك أن تنكرها ؟

انطيفولوس سرقوسه : أنا أعترف بأنني اخذتها منك، ولم أنكرها ابداً.

التاجر : لقد انكرتها، يا سيدي، وأقسمت انك لم تستلمها.

انطيفولوس سرقوسه : من الذي سمع إنكاري وقسمي ؟

التاجر : انا سمعتك بأذنيّ الاثنين، وأنت واثق بذلك. فليقض عليك الطاعون

ايها المحتال الحقيّر. عار عليك ان تجيز لنفسك معاشرّة الشرفاء الصالحين.

انطيفولوس سرقوسه : أنت تتعدى حدود الأدب واللياقة بتوجيهك اليّ هذه

الاهانة البالغة. وأنا حريص على صيانة شرفي وذمتي حيالك بدون امهال، اذا

ظللت مصراً على موقفك المهين.

التاجر : انا أتحدّك بشجاعة، ايها الخسيس. (يستل سيفه).

(تدخل ادريانا ولوسيانا والغانية وغيرهن)

ادريانا : قف، ولا تمسّ بسوء، بحق صداقتنا، لأنه مريض مهووس. امسكوه

وجردوه من سيفه. اوثقوا ايضاً دروميون، وخذوهما الى بيتي.

دروميون سرقوسه : عجل لنختبئ في أحد البيوت. ها هوذا معبد صغير،

فلنلجأ اليه، وإلا خسرنا حياتنا. (يدخل انطيفولوس ودروميون الى المعبد).

(تظهر الكاهنة)

الكاهنة : اهدأ ايها المرأتان الكريمتان. لماذا تدخلان بمثل هذه العجلة ؟

ادريانا : للبحث عن زوجي المسكين الذي أصابه مس من الجنون. دعينا

ندخل لكي نوثقه ونعود به الى البيت لمعالجته.

انجلو : انا كنت عالماً بأنه لا يملك كامل وعيه.

التاجر : وأنا الآن مستاء، لأنني اشتهرت عليه السلاح.

الكاهنة : منذ متى تيسكن العفاريث هذا الرجل ؟

ادريانا : منذ أول هذا الأسبوع، هو كتيب متجنّم الوجه حزين، خلافا لما

عهدناه فيه من البشاشة والمرح. لكنه قبل ظهر اليوم، بلغ ضياع رشده حدّاً

مقلقاً.

الكاهنة : ألم تصبه خسارة كبيرة في غرق اثناء سفره بحراً ؟ ألم يفقد صديقاً عزيزاً. ألم تورط عيناه قلبه في حب غير شرعي، وهذا شطط، كثير الحدوث لدى الشبان، يتيح لهم ملء الحرية لتوزيع ابتساماتهم بسخاء زائد يمينا ويسارا. فماذا حل به من هذه المصائب ؟

ادريانا : لا شيء تقريبا، سوى حب طائش غالبا ما أبعده عن بيته.

الكاهنة : كان عليك ان توبخه على هذا الزلل.

ادريانا : لم أقصّر في هذا الباب.

الكاهنة : لكن كلامك على ما يبدو لم يكن قاسيا كما يجب.

ادريانا : بل قاسيا بقدر ما يسمح به اعتدالي.

الكاهنة : هل جرى ذلك بينك وبينه فقط ؟

ادريانا : بل في حضور بعض الاشخاص ايضا.

الكاهنة : نعم، ولكن ليس في الغالب بالشدة التي يستوجبها استهتاره.

ادريانا : كان هذا موضوع معظم احاديثنا. في السرير كنت ألع كثيرا عليه كي ينام. على المائدة كنت أصر كي لا يأكل. في خلواتنا كان هذا مدار كل

تعنفي وبين الناس كنت غالبا ما أكرر عليه اقوالي بأن تصرفه سافل مشين.

الكاهنة : وهذا ما جعله يفقد صوابه. ان غير المرأة الحاقدة لسم قاتل، اقوى

من عضّة كلب مصاب بداء الكلب. ومن الواضح جدا ان اهاناتك حرمة

النوم، وهذا ما اورثه الهذيان. تؤكدين ان طعامه كان على الدوام مصحوبا

باللوم والتأنيب، فوقعات الأكل التي يرافقها الاضطراب تسبب عسر الهضم،

وهذا ما يفسر اصابته بالحمى المتواصلة. وما الحمى ألا مدخل الى الجنون.

تؤكدين ايضا ان ملذاته كانت تصحبها دوما مشاححاتك المستمرة. فلدى عدم

السكوت عن اخطائه، ماذا حدث ؟ سيطرت عليه السويداء الهدامة التي

صحبها يأس قاتل ورغبة جامحة في التخلص من القلق والعذاب المرهق وكبت

الحياء من اعداء الحياة أمثالك. فالهموم التي تلازم الانسان في الأكل والمتعة،

وتحرمه النوم المعوّض عن التعب، تؤدي به حتما الى الجنون مهما كان قليل

الاحساس. بصريح العبارة، بلغ تطرّف غيرتك حدود افقاد زوجك عقله.

لوسيانا : لم تكن توبخه الا بنعومة، بينما هو كان فظاً حاقداً عنيفاً.

(لأختها) لماذا، لماذا تحملت هذه الملامة بدون ان تردّي عليها ؟
ادريانا : لقد أحتالني على توييخ ضميري. ايها الرجال الأكارم، ادخلوا
وامسكوا به.

الكاهنة : كلا. لن يدخل المعبد احد.

ادريانا : اذاً، أوعزي الى خدمك ليمسكوا بزوجي.

الكاهنة : لن أفعل ذلك. لأنه اتخذ هذا المقر ملجأً، وتخلص هكذا من
ملاحظتك. فالى ان أردته الى رشده يأتيه الفرج، او أكل من محاولتي هذه.
ادريانا : اريد ان اسهر على زوجي، وأن أكون له ممرضة، وأداري علقته، لأن
ذلك من واجباتي، ولا أرضى بأن ينوب عني اي إنسان. لذا اسألك ان
تساعدني على إعادته الى البيت.

الكاهنة : صبرا. لن اتركه يخرج من هنا قبل ان أستنفذ جميع الوسائل التي
تطلبها يدي من اكسير وعقاقير ناجعة وصلوات حارة. فأعيد اليه صوابه
ورصانته. هذا هدفي، بل جزء من مهمتي، وواجب مقدس تحتمه علي دعوتي
المباركة. فاذهباً بسلام، واتركاه تحت رعايتي.

ادريانا : لن أغادر هذا المكان، ولن اترك زوجي هنا. أعتقد بأن طبيعة
خدمتك التقوية المشكورة لا تسمح لك بأن تفصلي بين الرجل وامرأته.

الكاهنة : عليك أن تصمتي وترجلي. فلن أدعه يذهب بمعيتك. (تدخل
الكاهنة الى المعبد).

لوسيانا : لا يسمعك الا ان تشتكي من هذا الاستبداد للدوق كي ينصفك.
ادريانا : هيا بنا نذهب اليه، يا سادة. أريد أن اجثو عند قدميه، ولن انهض قبل
ان تحمل دموعي وتوسلاتي سيادته على القبول بالمجيء شخصيا الى هذا
المكان، ليتشل زوجي عنوة من برائن هذه الكاهنة الطاغية.

التاجر : أعتقد بأن الساعة الآن تشير الى الخامسة، والدوق لا يعتمد ان يمر
بموكب من هنا للذهاب الى الوادي الحزين القريب من حقل الموت، ومكان
الاعدام الرهيب القائم خلف خندق هذا المعبد.

انجلو : لماذا ؟

التاجر : ليشاهد علنا قطع رأس تاجر محترم من اهالي سرقوسة، شاء حفظه

العائر أن يمر في هذا الخليج، مخالفا شرائع مدينتنا وقوانينها.
انجلو : انظر، ها هم آتون. تعال نشاهد اعدامه.

لوسيانا : انطرحي عند أقدام الدوق قيل ان يجتاز المعبد.

(يدخل الدوق مع حاشيته، ثم اجابون مكشوف الرأس ووراءه الجلابد وسواهم من الرسميين).

الدوق : أعلن من جديد، ان كان احد يريد التسديد عن هذا الرجل، فإنه لن يموت ما دمت أهتم شخصا بأمره.

ادريانا : العدل، ايها الدوق الكريم، العدل والانصاف من الكاهنة المستبدة.
الدوق : هي سيدة فاضلة ومحترمة. ومحال ان تكون قد ألحقت بك ضررا.
ادريانا : ألتمس من سيادتك الاصفاء الى كلامي. ان انطيفولوس زوجي الذي جعلته سيد انوثتي وثروتي، حسب توصيتك المحترمة، قد اتنابه في هذا اليوم المشؤوم عارض جنون، وبرفقته خادمه المهووس نظيره، وخرج الى الطريق فاقد الرشد لترويع المواطنين والتهجّم على بيوتهم واختلاس خواتمهم ومجوهراتهم وكل ما يحلو له الاستئثار به. لقد تمكنت من تقييده برهة وارجاعه الى المنزل حينما ذهبت لأعوض عن الخسائر التي انزلها بالاهلين ورؤّعهم بها. بفترة، لا ادري كيف تملص بعنف هو وخادمه المخبول مثله، من الذين كانوا يحرسونهما. وكلاهما صادفانا وهما يهذيان ويزمجران، والسيف مستلّ في يد كل منهما، فهاجمانا وطاردانا. وإذ طلبنا النجدة جئنا الى هنا لنوثقهما ونمنع أذاهما، فماكان منهما الا ان لجآ الى هذا المعبد، فطاردناهما. انما الكاهنة القاسية اغلقت الباب في وجهنا وهي غير راضية بأن تسلمني زوجي لأصطحبه الى البيت. لذا، ايها الدوق العطوف، ألتمس منك ان تأمر بسحبه من هذا المكان وتسليمي اياه للمعالجة.

الدوق : زوجك قدّم لنا عدة خدمات ايام الحرب، وعندما اصبح شريك حياتك، وعدتك بصفتي امير البلاد أن أسدي اليه كل ما بإمكانني من الخير. فليطرق احدكم باب المعبد ويوعز الى الكاهنة ان تأتي وتخاطبني. لأنني أود اتخاذ قراري قبل أن أذهب.

(يدخل احد الخدم)

الخدام (لأديانا) : سيدتي، يا سيدتي، اختي، اهربي، لأن سيدي وخدامه قد أطلق سراحهما، فضربا الخادمت الواحدة تلو الأخرى، وربطتا الدكتور الذي احرقا لحيته بجمرات متقدة، وكلما التهبت رشقه بدلاء من الماء الموحد لإطفائها. أما سيدي، فيلقي موعظة بالصبر وطول الأناة، بينما خادمه يجز له شعره بالمقص على طريقة المجانين. حقا، اذا لم ترسلي النجدة حالا لكليهما، سيقتلان الساحر شر قتله.

ادريانا : اصمت، يا بهلول. ها ان سيدك وخدامه هما هنا، وكل ما ترويه لنا هو مغاير للواقع تماما.

الخدم : بحياتي، يا سيدتي، انا لا اقول سوى الحق. منذ ان رأيته لم يتسن لي الوقت لتنفس الصعداء. هو يصرخ ويلعن ويحلف انه اذا امسك بك سيهشم رأسك ويشوه وجهك ويقطع جسمك (تسمع صيحات). اصغي، هيا اصغي. ها أنا أسمعه يقترب، وعليك أن تهربي حالا.

الدوق : لا، لا. ابقي بجاني، ولا تخشي امرا. احموها برماحكم ايها الرجال. ادريانا : بربكم، ارحموا زوجي. اشهدوا بأنه يتنقل في كل مكان بدون ان يبصره أحد. منذ برهة، دخل امامنا الى المعبد بطريقة خفية، والآن ها هو هنا. أولا يفوق هذا ادراك البشر ؟

(يدخل انطيفولوس أفسس ودروميون أفسس)

انطيفولوس أفسس : العدل، ايها الدوق الكريم. أرجوك ان تنصفني، باسم الخدمات التي أديتها لك عندما حميتك بجسمي في الحرب وتلقيت جراحا عميقة لانقاذ حياتك، باسم الدم الذي أهرقته لأجلك، أرجوك أن تنصفني. اجايون : إلا اذا جعلني الخوف من الموت أهذي، أصرح بأن هذين الشخصين اللذين اراهما هما ولداي انطيفولوس ودروميون.

انطيفولوس أفسس : العدل، ايها الأمير الحكيم. انصفني من هذه المرأة التي زوجتني اياها والتي عذبتني ولطخت شرفي بأقبح عار وأحط مذلة. أجل، ان الالهانة التي ألحقتها بي اليوم هذه المتهتكة تتعدى كل تصور وخيال.

الدوق : قل لي كيف ومتى تود ان أنصفك ؟

انطيفولوس أفسس : في هذا النهار بالذات، ايها الدوق النبيل. لقد اغلقت

زوجتي في وجهي باب بيتي، بينما هي تتلذذ بوليمة مع المستهترين.
الدوق : هذا خطأ فظيع. قل لي، يا امرأة، هل حقاً فعلت ذلك ؟
ادريانا : كلا، كلا، يا مولاي السموح. انا وأختي وزوجي هذا تغدينا جميعاً
معاً. اقسام لك بأعز ما لديّ ان ما يتهمني به لا أساس له من الصحة.
لوسيانا : اعدّم نظري. ولا ارى نور الشمس، ولا أنام طوال الليل، اذا كان
هذا القول لسموك يخالف الحقيقة الناصعة.

انجلو : تباً لها من امرأة جاحدة. صدقني ايها الامير، كلاهما تكذبان. وفي
هذا الموضوع ارى أن المجنون يتهمهما وأختها بحق وزناه.

انطيفولوس أفسس : يا مولاي، انا أزن كل كلمة أتلفظ بها. ولست مضطرباً
بمفعول الخمر، ولا مضطرب الحواس، ولا أهذي من الغيظ، وإن تكن هذه
المشاكسة تُخرج عن الرزاة أروصن العقالين. هذه المرأة قد اغلقت اليوم الباب
في وجهي وأنا عائد للغداء. وهذا الصائغ الحاضر ها هنا، لو لم يكن منحازاً
اليها، لأكد لك حقيقة ما جرى كما ارويّه، لأنه كان برفقتي. لقد غادرني
ليذهب ويجلب سلسلة، ووعدني بأن يوافيني بها الى نزل القنفذ، حيث
قصدت انا وبلطزار لتتغدى معاً. عندما فرغنا من الأكل، ورأينا انه لم يأت،
ذهبت للبحث عنه، فوجدته في الطريق بصحبة سيد. فأقسم هذا الصائغ
المحتال بأنني في بحر النهار قد استلمت منه السلسلة. والله يعلم اني لم
أستلمها بعد. وبهذه الحجة طلب من ضابط الأمن ان يعتقلني. فأرسلت
خادمي الى بيتي ليأتيني بكيس من الدنانير. فعاد بدون مال. فرجوت الضابط
حيثخذ بكل ادب أن يصحبني الى البيت. اثناء سيرنا صادفنا زوجتي وشقيقتها
وزمرة من أعوانها الأتذال، وبرفتهم شخص يدعى بنش، وهو أفاك نحيل يشبه
وجهه ميتاً قضى نحبه جوعاً ولم يبق منه سوى جلد على عظم، مشعوذ دجال،
كاشف حظ فاشل، متسوّل وقح غائر العينين موتور الملامح كأنه جثمان
متحرك يمشي. فهذا الأحمق المنحط، والله العظيم، قام بدور الساحر. وإذ نظر
الى بياض عيني، وجسّ نبضي وحدّق في وجهي بعينه المتطاير منهما شرر
الحقد، صاح بأن العفاريت تسكن في جسمي وتسيطر على روحي. حيثخذ
وثب الجميع عليّ وأوثقوني وجروني وحبسوني في مغارة بيتي المظلمة الرطبة

بصحبة خادمي المربوط مثلي. ختاماً، بعد ان قضمت وثاقي وقطعته بأسناني، استرجعت حريتي، وحالا أسرعت الى هذا المكان لاكثداً بحمي سيادتكم. فأستحلفك ايها الأمير الحكيم، ان تمنّ عليّ بإنصافي وانقاذي من العار ومن العذاب اللذين لا يرضى بهما انسان. انجولو : مولاي، في الحقيقة، أؤكد لك انه لم يتغذّ في بيته، وأنّ بابه قد أغلق في وجهه.

الدوق : لكن، هل استلم منك السلسلة المذكورة ام لا ؟ انجولو : استلمها، يا مولاي. وحين سارع الى هذا المكان منذ برهة، شاهد جميع الحاضرين تلك السلسلة حول عنقه.

التاجر (لأنطيفولوس) : علاوة على ذلك، انا مستعد ان اقسم يمينا اني سمعته بأذنيّ الاثنتين يعترف بأنك استلمت منه السلسلة، بعد ان اقسم على صحة عكس هذا في ساحة السوق. وعلى هذا الأساس، استلّنت سيفي في وجهك، فلجأت انت الى هذا المعبد الصغير الذي لم تتمكن من مغادرته، على ما أعتقد، الا بأعجوبة خارقة.

انطيفولوس أفسس : انا لم أدخل ابدا الى هذا المعبد، وأنت لم تستلّ السيف في وجهي مطلقاً. ولم أبصر السلسلة بتاتا، تشهد السماء على صدق قلبي، وكل ما تتهمني به لا اساس له من الصحة.

الدوق : ما هذه الادعاءات الغامضة ؟ أظنكم جميعا زمرة من المنافقين الأفاكين. لو رأيتموه يدخل الى هنا لبقّي في مكانه. ولو كان مخبولا لما دافع عن نفسه بهدوء أعصاب وصفاء ذهن كما فعل. (لأدريانا) انتِ تؤكدين انه تغدّى في بيته، وهذا الصائغ ينفي ذلك. (لدروميون) وأنت ايها المحتال، ماذا تقول ؟

دروميون أفسس (يشير الى الغانية) : لقد تغدّى مع هذه المرأة في نزل القنفذ.

الغانية : حقا، هذا ما جرى في الواقع. ولقد انتزع هذا الخاتم من اصبعي. انطيفولوس أفسس : صحيح، يا مولاي، انا اخذت الخاتم منها. الدوق : وهل رأيته يدخل المعبد ؟

الغانية : بكل تأكيد، يا مولاي، كما ابصر الآن سموك.
الدوق : لا، حقا هذا في غاية الغرابة. استدعوا لي الكاهنة. أظنكم جميعا
واهمين، او انكم جميعا من المعنويين.

(يخرج احد الخدم)

اجايون : ايها الدوق القدير، اسمح لي بأن اقول كلمة. ها انا أرى صديقا لي
قد ينقذ حياتي بدفع الفدية اللازمة لخلاصه.

الدوق : تكلم واشرح لنا غموض الموقف بإيجاز، ايها السرقوسي.
اجايون : ألا تدعى انطيفولوس، يا سيدي، وأنت دروميون خادمه ؟
دروميون أفسس : منذ ساعة كنت خادمه، يا سيدي، وأنا مكبل. لكنه قطع
وثاقي بأسنانه، وأنا اشكره على ذلك. والآن انا لا ازال دروميون خادمه، بعد
ان صرت حرا طليقا.

اجايون : انا على يقين بأنكما تتذكراني.
دروميون أفسس : انت، يا سيدي، تتذكرنا، لأننا كنا كلانا مقيدين. فهل
تكون عرضا من زبانية بنش ؟
اجايون (لأنطيفولوس) : لماذا تنظر إليّ نظرك الى غريب ؟ أؤكد لك انك
تعرفني جيدا.

انطيفولوس أفسس : انا، يا سيدي، لم ابصر قط في حياتي قبل الآن.
اجايون : لا بد للحزن من ان يكون قد غير ملامحي كثيرا. فمن حين رؤيتك
سابقا الى الآن، لا بد لسنين طويلة من العذاب ان تكون قد خطت بيد الزمن
الغدار تجاعيد بدلت ملامح وجهي. لكن، مع ذلك، قل لي ألم تتعرف على
صوتي ؟

انطيفولوس أفسس : كلا.
جايون : ولا انت، يا دروميون ؟
دروميون أفسس : والله، يا سيدي، انا ايضا لا أتذكرك.
اجايون : انا على يقين بأنك تعرف صوتي.
دروميون أفسس : كلا، يا سيدي، انا ايضا واثق بأنني لا أتذكره ابدا. وعندما
ينفي شخص مثلي امرا، عليك انت بنوع خاص ان تصدقه.

اجايون : أحقا لا تتذكر صوتي ؟ ما اعجبك ايها الزمان ! هل تغيرت هيتي خلال هذه السنين السبع الى درجة أن لا يتعرف ابني الوحيد حتى على صوتي انا والده ؟ وهل أضعفته الآلام وبُحْتُهُ الأيام الى هذا الحد ؟ مهما جُفُفَ الشتاء نسغ النبات، ومهما غطى معالم وجهي الذابل بياض الشيب كالثلج، وجُمُدَ الدم في عروقي برد الشيخوخة، فان أصيل حياتي لا يزال فيه قليل من الذاكرة، ومصباح عمري المائل الى الانطفاء لا يزال فيه قيس من الاشعاع، وأذنيّ الضيئتي السمع لا تزالان تلتقطان بعض النبرات، وجميع هذه الشواهد، وانا غير مخطيء حتما، تقول لي انك ابني انطيفولوس.

انطيفولوس أفسس : انا لم ابصر أبي في حياتي مطلقا.

اجايون : ولكن لم تمر سبع سنوات بعد، يا بني، على يوم فراقنا في سرقوسه، كما تعلم. ربما انت تستحي، يا ولدي، بأن تتعرف عليّ انا والدك في محنتي وبؤسي.

انطيفولوس أفسس : الدوق ومن يعرفونني في المدينة يؤكلون مثلي اني لست كما تظنني. فأنا لم أشاهد سرقوسه قط في حياتي. الدوق : أؤكد لك ايها السرقوسي، اني منذ خمسة وعشرين عاما، وأنا سيد انطيفولوس، أعرف جيدا انه لم يشاهد سرقوسه. اعتقد أن العمر والحزن قد تركا اثرا سيقا على وعيك.

(تدخل الكاهنة وتبعها انطيفولوس سرقوسه ودروميون)

الكاهنة : ايها الدوق الكريم، انت في حضرة رجل أسيئت معاملته بصورة مخزية.

(يلتفت الجميع الى انطيفولوس سرقوسه)

أدريانا : آنا أرى زوجين، أم ان عيوني تخدعني ؟ الدوق : أحد هذين الرجلين هو حتما رديف الآخر. وهكذا هو حال هذين الاثنين ايضا. فمن هو الرجل الأصيل، ومن هو الرديف ؟ من ذا الذي يستطيع ان يميز بينهما ؟

دروميون سرقوسه : سيدي، انا دروميون الأصيل. فاطرد هذا الرجل. دروميون أفسس : بل انا دروميون، يا سيدي. أرجوك ان تسمح لي بالبقاء.

انطيفولوس سرقوسه : أهذا انت، يا اجايون، ام طيفك ؟
دروميون سرقوسه : يا سيدي القديم، من أوثقك هكذا ؟
الكاينة : ليس المهم من أوثقه، فأنا أحلّ رباطه وأربح زوجا بنجاته. تكلم يا
اجايون المعجوز. ألسنت انت زوج المرأة المدعوة إميليا التي انجبت لك توأمين
وسيمين ؟ ان كنت انت اجايون بنفسه، تكلم، تكلم، وخاطب اميليا قريتك
المائلة الآن امامك.

اجايون : ان لم اكن في حلم، فأنت اميليا بعينها. ألا قل لي اين ذاك الابن
الذي كان يطفو معك على الطوف المشووم فوق الامواج المتلاطمة ؟
الكاينة : انا وهو، والتوأم دروميون، اسعفنا بعض اهالي ايديميوم واستضافونا
عندهم بعض الوقت. لكن، فيما بعد، خطف صيادون عتاة من كورثيا
دروميون وولدي بالقوة، وتركوني في عهدة اهالي ايديميوم. فماذا حل بهما
بعد ذلك يا ترى ؟ لست ادري. اما انا، فأنت ترى ما صرت اليه.

الدوق : ها هذا قصة هذا الصباح قد اخذت تنجلي. هذان هما المدعوان
انطيفولوس المتشابهان، والمدعوان دروميون المتشابهان ايضا. ثم فرّقه
حادث الغرق في البحر الذي تشير اليه. وأخير ها هما والدا هذين الابنين
اللذين جمعتهما الصدفة بهما. يا انطيفولوس، آنت القادم من كورثيا ؟
انطيفولوس سرقوسه : كلا، يا مولاي، لست انا. لأنني قادم من سرقوسه.
الدوق : انتظر اذاً حتى أميّز احدكما عن الآخر. فأنا لا أرى فرقاً بينكما.
انطيفولوس أفسس : انا القادم من كورثيا، يا مولاي الكريم.
دروميون أفسس : وأنا ايضا.

انطيفولوس أفسس : وقد جئت هذه المدينة بمعية المحارب الشهير الدوق
مينافون عمك المبجل.

ادريانا : من منكما تغدى اليوم معي ؟

انطيفولوس سرقوسه : انا يا سيدتي اللطيفة.

ادريانا : أولست زوجي ؟

انطيفولوس أفسس : كلا، يا سيدتي. هنا لا مجال لأن أقول لكم نعم.

انطيفولوس سرقوسه : وأنا أقول عين الكلام، بالرغم من كونها دعيتي زوجها،

وهذه الآنسة الجميلة اختها الحاضرة ها هنا، قد دعتني شقيقها. (للوسيانا)
ان ما قتلته لك حينذاك، أمل ان يتسنى لي تأكيده بالطبع، ان كان ما اراه
وأسمعه ليس حلما.

انجلو (لأنطيفولوس سرقوسه) : ها هي السلسلة التي اخذتها مني، يا
سيدي.

انطيفولوس سرقوسه : أعتقد بأنها هي، يا سيدي. وأنا لا انكرها.
انطيفولوس أفسس (لأنجلو) : وأنت، يا سيدي، لاجل هذه السلسلة قد
طلبت اعتقالني.

انجلو : أعتقد بأن هذا ما جرى تماما، يا سيدي، وأنا لا انكره.
ادريانا (لأنطيفولوس أفسس) : لقد ارسلت لك الدنانير مع دروميون لأجل
فديتك، يا سيدي، لكنني أعتقد بأنه لم يسلمك اياها.
دروميون أفسس : كلا، ليس معي.

انطيفولوس سرقوسه (لأدريانا) : انا استلمت هذا الكيس من الدنانير،
ودروميون خادمي هو الذي اعطاني اياه. ارى ان كلا منا التقى بخادم الآخر
(يشير الى اخيه) وقد ظنّه الجميع اني انا هو. ومن هنا نجمت كل هذه
الملايسات والاختطاء.

انطيفولوس أفسس : اني أدفع هذه الدنانير فدية عن والدي.
الدوق : لم يعد من حاجة الى ذلك. فأبوك اصبح حرا طليقا.
الغانية (لأنطيفولوس أفسس) : عليك اذا ان ترد لي هذه الماسة، يا سيدي.
انطيفولوس أفسس : ها هي، خذها، وأنا أشكرك على غداك الفاخر.

الكاينة : ايتها الدوق الكريم، تفضل بالقدوم معنا الى داخل المعبد لسماع
تفاصيل جميع مغامراتنا. وأنتم المجتمععون في هذا المكان، والمتضررون من
اخطاء مضاعفة في هذا النهار، ارجوكم ان ترافقونا جميعكم، ونحن على اتم
الاستعداد لمراضاتكم. ففي مدة خمسة وعشرين سنة قلقت على مصيركم، يا
ولديّ الحبيين ويا زوجي العزيز، ولم يرتح بالي من نحوكم الا في هذه
الساعة، اذ زال عن صدري كابوس فقدكم الاليم. وأنت يا سيادة الدوق، ويا
ذوي، يا نور عيني، وأنتم يا شهود مولد ابني، تعالوا كلكم الى التمتع بسماع

الاحاديث الشيقة التي تتوق جميعنا الى الوقوف على تفاصيلها تعالوا معي.
الدوق : أود من كل قلبي ان أشارككم فرحكم باجتماع شملكم.

(يخرج الدوق وحاشيته والكاهنة وأجايون والغانية والتاجر وأنجلو)

دروميون سرقوسه : أسمح لي، يا سيدي، بأن اجلب لك امتعتك من
السفينة ؟

انطيفولوس أفسس : تعني أمتعتي التي اخذتها الى متن السفينة، يا دروميون ؟
دروميون سرقوسه : أمتعتك التي كانت في نزل السنطور، يا سيدي.

انطيفولوس سرقوسه : هذا الكلام يجب توجيهه اليّ انا سيدك، يا دروميون.
هيا تعال معنا. سنهتم بالامر حالا. عانق اخاك الواقف بجانبك وابتهج بلفائه
بعد طول الغياب.

(يخرج انطيفولوس أفسس مع انطيفولوس سرقوسه وادريانا ولوسيانا)

دروميون سرقوسه : في بيت سيدك، امرأة بدينة اوصتني اليوم اثناء الغداء بأن
أهتم بك. فسأعتبرها من الآن وصاعدا اختي لا زوجتي.

دروميون أفسس : يخيل اليّ انك لست اخي بل المرأة التي أرى نفسي فيها
شابا وسيما، فهل تريد ان تدخل لنستمع الى احاديثهم ؟

دروميون سرقوسه : تفضل اسبقني، يا سيدي، لأنك اكبر مني سنا.

دروميون أفسس : هذه قضية لا أرى كيف يمكننا حلها.

دروميون سرقوسه : سنقترع لنرى من منا يكون المتقدم. لكنني في هذه
الساعة، ارجوك ان تدخل قبلي.

دروميون أفسس : كلا، لقد جئنا الى هذا العالم توأمين، وعلينا الآن ان نسير
متأبطين كل منا ذراع الآخر، لا الواحد تلو الآخر.

(يخرجان)

﴿ تَمَّت ﴾



Bibliotheca Alexandrina



0463860